القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الحادية والثلاثون العدد 9672 الأحد 22 أيلول (سبتمبر) 2019 – 23 محرم 1441 هـ
Volume 31 - Issue 9672 Sunday 22 September 2019

حوار مع الأكاديمية الفلسطينية رباب عبد الهادي

فواز طرابلسي: في صداقة إدوارد سعيد

بقيق السعودية: حزام رمال ذهبية متحركة

الكنيست: نتنياهو خاسر وغانتس ليس رابحاً 05

تويتر: حرب «وسوم» بين السيسي ومحمد علي 30

10 أرقام حائرة بين ميسي ورونالدو 46

رئاسيات تونس: دروس المفاجأة

أسفرت الانتخابات الرئاسية التونسية عن مفاجأة أولى كبرى هي إقصاء كبار ممثلي السلطة والأحزاب السياسية التي تصدرت المشهد التونسي منذ العام 2011، مقابل صعود المرشح العصامي المحافظ والمستقل قيس سعيّد، والمرشح السجين بتهمة التهرب الضريبي والفساد المالي نبيل القروي. ما لم يكن مفاجئاً في المقابل هو رغبة الشعب التونسي في إنزال العقاب بالمشاركين في الحكم على اختلاف مستوياتهم ومناصبهم، الأمر الذي اشار إلى رغبة شعبية عارمة في طي صفحة الماضي وتجديد التعاقدات الوطنية والالتفات إلى المستقبل. كذلك لم تقع مفاجأة بصدد أحزاب اليسار، التي لم يفلح أيّ من مرشحيها في عبور سقف الـ1%، رغم أنها تزعم تمثيل هموم الشعب وأنها لم تشترك في الحكم أصلا.

(حدث الأسبوع، ص 8ــ15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

الآلاف يتظاهرون للمطالبة برحيل السيسي وقوات الأمن تعتقل العشرات

مصر: ميدان التحرير يستقبل محتجين للمرة الأولى منذ عام 2014

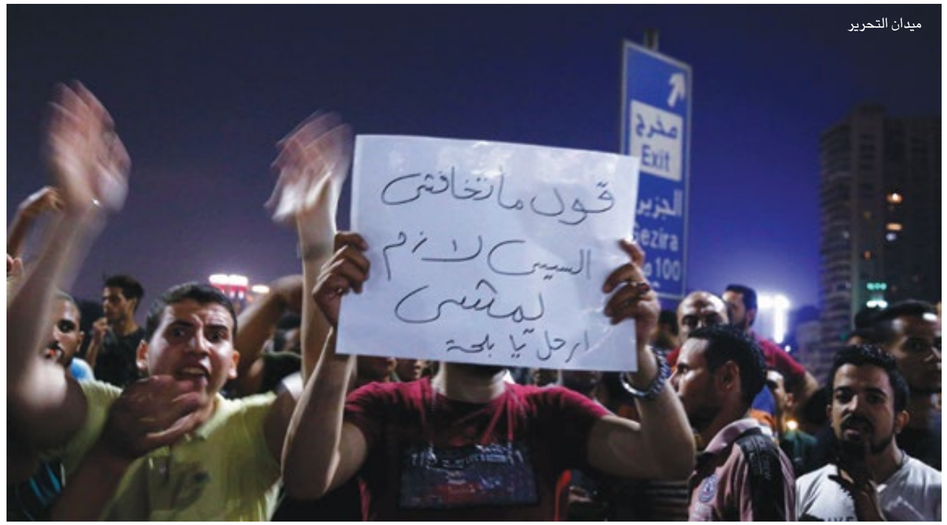

ميدان التحرير

تجمع المتظاهرون لأول مرة في ميدان التحرير، منذ وصول الرئيس السيسي للحكم، وإصداره قانونا يجرم التظاهر، وتحولت شوارع وسط القاهرة إلى مواجهات بين قوات الأمن والمتظاهرين، الذين تجمعوا في ميدان التحرير، قبل أن يضطروا للتفرق في الشوارع الجانبية بعد اشتباكات مع قوات الأمن، قبل أن يتجمعوا مرة أخرى فوق جسر السادس من أكتوبر.

ولجأت قوات الأمن إلى قذف المتظاهرين أعلى الجسر بالقنابل المسيلة للدموع، في محاولة لتفريقهم.

وشهدت محافظتا الاسكندرية شمال مصر، والدقهلية دلتا مصر، والسويس شمال شرق مصر، مظاهرات حاشدة شارك فيها الآلاف، قبل أن تشتبك قوات الأمن معهم وتفضها بالقوة. واعتقلت قوات الأمن المئات من المتظاهرين، واحتجزتهم في الشوارع الجانبية تحت حراسة أمنية مشددة، قبل نقلهم إلى مقرات الاحتجاز.

وتضمنت قائمة الصحافيين الذين جرى احتجازهم، خلال تغطيتهم الاحتجاجات، انجي عبد الوهاب محمد ونجلة شقيق والدها، أمنية شوقي محمد، وإيهاب محمد الحسيني، وحازم عبد الوهاب، وسليم سيف الدين، وعمر هشام. وقالت منظمة «هيومان رايتس ووتش» الحقوقية في موقعها الإلكتروني، السبت، إن على السلطات المصرية «أن تحمي حق التظاهر السلمي وفاءً بالتزامات مصر بموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان».

وطالبت السلطات المصرية أيضا بأن تُفرج فورا عمّن تعرضوا للتوقيف لمجرد ممارسة حقوقهم.

وأضافت: «إن التقارير الإعلامية ومقاطع الفيديو المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي مساء الجمعة أظهرت آلاف المتظاهرين المعارضين للحكومة، الذين احتشدوا في عدة مدن مصرية».

وتابعت «يبدو أن قوات الأمن، بما فيها الجيش والشرطة، قد طاردت المتظاهرين وقبضت على بعضهم، كما حاصرت القوات ميدان التحرير بالقاهرة، الذي له رمزية، بحسب تقارير إعلامية». وقال مايكل بيغ، نائب مديرة قسم الشرق الأوسط وشمال افريقيا في «هيومان رايتس ووتش» في موقع المنظمة على الإنترنت: «لجأت أجهزة أمن الرئيس المصري (عبد الفتاح) السيسي مرة تلو المرة إلى القوة الغاشمة في سحق المظاهرات السلمية. على السلطات أن تعي أن العالم يشاهد ما يجري، وعليها اتخاذ جميع الخطوات اللازمة لتجنب تكرار فظائع الماضي».

وقالت هيومان رايتس ووتش: «إن على الرئيس عبد الفتاح السيسي أن يوجّه أجهزة الأمن بالالتزام بالمعايير الدولية لقوات إنفاذ القانون أثناء المظاهرات».

وتابعت: «إن السيسي حذر على مدار الأشهر الأخيرة من المظاهرات، وقد استخدمت قوات الأمن المصرية القوة القاتلة بشكل مفرط وبدون ضرورة على مدار السنوات الأخيرة، ضد متظاهرين سلميين، مع إفلات شبه كامل من العقاب». وأضافت: «إن المظاهرات خرجت إثر دعوات من محمد علي – وهو مقاول عمل سابقا مع الجيش– إلى تنحي الرئيس السيسي. كان محمد علي قد نشر على مدار الأسبوعين الماضيين ادعاءات عن الفساد في صفوف الجيش ومن قبل السيسي نفسه».

وتوالت ردود أفعال القوى السياسية، وقالت حركة الاشتراكيين الثوريين في بيان: «أيّا كان ما ستسفر عنه التظاهرات التي تشهدها مصر، أيًا كان من يقف أو حتى لا يقف وراءها، فالأكيد أن صفحة الرعب الذي يسيطر على القلوب في مصر قد طُويَت، وأصبح من قبيل المؤكد لدى الجميع الآن أن جدار الخوف الذي شيده النظام طوال السنوات الست الماضية آخذٌ في التشقق وعلى وشك الانهيار، فرحيل السيسي لم يعد حلمًا بعيد المنال بل أقرب من أي وقت مضى».

وأضافت: «على الرغم من أي نتائج يحملها قرار التظاهر، وما قد يحمله قرار كهذا على صاحبه، إلا أن شجاعة هؤلاء النساء والرجال، ممن أعادوا ولا شك الأمل لملايين ممن أصابهم اليأس بعد هزيمة ثورة يناير، تستحق التحية كما تستحق التأمل، فلا أحد يعلم بكل تأكيد إلى أين ستقودنا شجاعة بلا قيادة ولا تنظيم لكننا نعلم على الأقل أن الشعب أقوى بكثير مما كان يبدو عليه حتى ساعات مضت فقط».

وتوجهت الحركة بالتحية لكل من بادر إلى التظاهر من دون أن يعرف مصيره ونتيجة احتجاجه. وزادت: «على مدى ست سنوات مضت منذ صعد السيسي إلى قمة السلطة على خلفية قضائه على الثورة بعد انقلابه على سلطة الرئيس الراحل محمد مرسي، عمد فيها الجنرال إلى ارتكاب أكبر قدر ممكن من جرائم القتل والتعذيب والإخفاء القسري مستخدما في البداية شعبية مصنوعة استطاع أن يجنيها من بث الخوف من خطر الإخوان تارة ومن مؤامرات خارجية تارة أخرى. لكن شيئًا فشيئًا وتحت ضغط إجراءات إفقار عنيفة لم تشهد مثلها البلاد على مدار أكثر من نصف قرن على الأقل، أخذت شعبيته تخفت بينما قبضة القمع تحكم سيطرتها على أي محاولة فقط للتعبير عن رفض التقشف والإفقار، حتى أصبح الكل يعلم أن السيسي لا يحكم البلاد إلا كما يسيطر مجرم مسلح على مجموعة مختطفة من العزل».

وتابعت: «ما حدث فقط خلال الأيام القليلة الماضية هو قدر من الاستفزاز لا يطاق من تسرب معلومات عن تورطه وأسرته في فساد منهجي بتوجيه الموارد العامة لبناء قصور رئاسية في الوقت الذي ما زال يتمسك فيه بخطاب يطالب الناس بالمزيد من الصبر على الغلاء وعلى التقشف والإفقار، خاصةً بعد الإعلان رسميًا قبل شهرين تقريبًا عن ارتفاع نسبة الفقراء من 27.8 في المئة عام 2015 إلى 32.5 في المئة عام 2018/2017 وفقًا لبحث الدخل والإنفاق والاستهلاك الصادر عن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء».

واعتبرت، المظاهرات التي شهدتها مصر، بداية لانهيار جدار الخوف واليأس، بداية لن يعمقها ويحميها سوى جماهير يقظة ومستعدة لخوض الصراع حتى النهاية ضد الديكتاتورية، جماهير تعلمت ألا تثور من أجل أن يجني غيرها ثمار ثورتها وتضحياتها، فأي تغيير لا يُخرج العسكر من السلطة، ويحقق الحرية والعدالة للشعب ليس سوى سطو جديد على تضحيات الجماهير، لم يعد بالإمكان تركه يحدث.

الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي، أكد في بيان، على حق المواطنين والمواطنات في ممارسة حقهم الدستوري والقانوني في التظاهر السلمي.

وأضاف: «اتساقا مع هذا الموقف المبدئي، يطالب الحزب قوات الأمن بالتوقف عن إلقاء القبض على المواطنين المسالمين الذين خرجوا اليوم للتعبير عن معارضتهم واحتجاجهم على سياسات النظام الحاكم وتوجهاته ويطالب بسرعة الافراج عن من تم القبض عليه وكذا عن كل أصحاب الرأي والمسجونين السياسيين».

المكتب العام للإخوان المسلمين، المعبر عن تيار الشباب داخل الجماعة، ثمن الحراك الجماهيري الذي اندلع مجدداً، وأعلن دعمَه الكامل ومشاركته لأي حراكٍ جماهيري يعملُ على إسقاطِ الحكم العسكري، واستعادة مصر الثورة من جديد.

وأضاف المكتب في بيان، أنه يؤكد على حرصه على أن يكون التحرك الجماهيري الراهن هو مشهد وطني غير ملون، لإجلاء الحقيقة الدامغة بأن الصراع في مصر هو صراع بين الحكم العسكري والشعب الذي لم يعد يطيق الفساد والطغيان ويسعى لحكم مدني وطني شريف.

وناشد جميع أطياف الشعب المصري وتياراته تجنب رفع أي شعارات حزبيةٍ خلال المشهد الوطني المنشود، ودعا كافة القوى الوطنية والرموز بعدم توظيف المشهد في أي إطار سياسي ضيق والعمل على الالتحام بالجماهير على أرضية يناير وبهدفِ إنهاء الحكم العسكري كهدف أصيل.

وكان الفنان محمد علي نشر فيديوهات تهاجم نظام الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، قبل أن يدعو للتظاهر أمس فيما أطلق عليه بدء المرحلة العملية في الإطاحة بالسيسي، مؤكدا أن تظاهرات الجمعة ستمثل بداية، وأنها ستتصاعد يوم الجمعة المقبل، إذا لم يقدم وزير الدفاع المصري الفريق محمد زكي على عزل السيسي.

اليمن: جماعة التمرد الحوثي تعلن وقف إطلاق الطائرات المسيّرة على السعودية وتطلق مبادرة للحوار

مقاتلو الحوثي

جاءت المبادرة في وقت تعاني فيه السعودية من أزمة عسكرية حادة حيال التعامل مع التمرد الحوثي المسلح الذي يقف على حافة حدودها الجنوبية.

تعز–«القدس العربي»: خالد الحمادي

أعلنت جماعة الحوثي المتمردة في اليمن وقف إطلاق الطائرات المسيّرة على أراضي المملكة العربية السعودية، كما أطلقت مبادرة للسلام وبدء الحوار مع الفرقاء، وكذا العفو العام عن خصومها السياسيين اليمنيين.

وقال رئيس المجلس السياسي الأعلى لجماعة الحوثي مهدي المشّاط، في كلمة بثتها قناة «المسيرة» لسان حال الجماعة، بمناسبة الذكرى الخامسة للانقلاب الحوثي على الحكومة الشرعية في اليمن في 21 أيلول (سبتمبر) 2014 «نعلن عن وقف استهداف أراضي المملكة العربية السعودية بالطيران المسير والصواريخ الباليستية والمجنحة وكافة أشكال الاستهداف».

واشترط على هذا العرض الرد الإيجابي المماثل من المملكة العربية السعودية فقال «وننتظر رد التحية بمثلها أو أحسن منها في إعلان مماثل بوقف كل أشكال الاستهداف والقصف الجوي لأراضينا اليمنية ونحتفظ لأنفسنا بحق الرد في حال عدم الاستجابة لهذه المبادرة».

وفي الوقت الذي رحب فيه المشّاط بضرورة الانتقال المباشر إلى (مفاوضات جادة) ووقف تام لإطلاق النار تفضي إلى الحل السياسي الشامل، أكد أن استمرار الحرب في اليمن لن يكون في مصلحة أحد وأن ذلك «قد يفضي إلى تطورات خطيرة لا نريدها أن تحدث مع كوننا على يقين من أن ضررها الأكبر لن يكون علينا وإنما على دول العدوان (التحالف السعودي الإماراتي) بالدرجة الأولى وبشكل أساسي ومباشر».

وطالب المشّاط دول التحالف السعودي الإماراتي برفع الحظر على نحو فوري عن مطار صنعاء الدولي ووقف اعتراض السفن المتجهة إلى ميناء الحديدة واحترام معاناة الشعب اليمني.

ودعا جميع فرقاء الصراع المسلح من مختلف أطراف الحرب، من دون أن يسميها إلى «الانخراط الجاد في مفاوضات جادة وحقيقية تفضي إلى مصالحة وطنية شاملة لا تستثني أي طرف من الأطراف».

وقال «إننا أطلقنا فكرة تشكيل فريق وطني مفتوح العضوية للراغبين من المكونات المخدوعة بالعدوان الأجنبي حقنًا للدم اليمني وحرصاً على ما تبقى من أواصر الإخاء وتغليبا للمصالح الوطنية العليا، وأشد على يد الفريق في مواصلة ومضاعفة جهود التواصل مع مختلف الأطراف اليمنية».

وأضاف المسؤول الحوثي الرفيع، الذي يعد الأعلى في السلطة السياسية الحوثية، انه يعلن العفو العام عن المعارضين لسياسة جماعة الحوثي والذين وصفهم بـ(المخدوعين) من أفراد وقيادات المؤسسات العسكرية والأمنية والحزبية، ودعاهم إلى «استغلال هذه الفرصة والعودة إلى حضن الوطن وجادة الصواب» في إشارة إلى القيادات السياسية التابعة للرئيس عبدربه منصور هادي المقيمة في السعودية وفي العديد من الدول العربية.

وأعلن المشاط أنه وجّه الجهات المعنية في جماعة الحوثي بفحص قضايا وملفات المعتقلين في السجون الواقعة في إطار مناطق سيطرة المسلحين الحوثيين «وإطلاق سجناء الرأي وكل سجين لم تثبت بحقه تهمة ما لم يكونوا أسرى أو مسجونين على ذمة التورط في جرائم تمس حقوق المواطنين أو متورطين في خيانة البلد» وهي مبادرة اعتبرها بعض المحللين فارغة المضمون في هذا الإطار كونها استثنت جميع فئات المعتقلين من المعارضين لها، والذين وجهت لهم هذه التهم كمبرر لشرعنة استمرار اعتقالهم.

وجاءت هذه المبادرات الحوثية في الوقت الذي تعاني فيه المملكة العربية السعودية من أزمة عسكرية حادة حيال التعامل مع التمرد الحوثي المسلح الذي يقف على حافة حدودها الجنوبية، وبالذات جراء عمليات القصف الجوي الحوثي الذي تكرر كثيرا على المنشآت الحيوية في الأراضي السعودية والتي كان آخرها القصف بطائرات مسيرة على المنشآت النفطية التابعة لشركة أرامكو بالمنطقة الشرقية للسعودية، الأسبوع الماضي، والتي أحدثت ضربة موجعة لانتاج النفط السعودي.

ووصف عضو مجلس النواب (البرلمان) اليمني شوقي القاضي ذكرى انقلاب الحوثيين بـ(اليوم المشؤوم) وقال «يمثل لي يوم 21 أيلول/سبتمبر 2014 ذكرى خيانات ونكبات وكوارث، منها غدر ميليشيا الحوثي الإرهابية بالاتفاقيات ونقضهم العهود والعقود، ومؤامراتهم ضد الجمهورية والمواطنة والدستور وسيادة القانون، ونهبهم الأموال العامة والخاصة، وجلبهم الحرب والدمار على اليمن واليمنيين».

إلى ذلك قال الناشط الحقوقي رياض الدبعي إنه «من بداية الانقلاب الحوثي وحتى اللحظة لا توجد أي خطوات ايجابية للحوثيين. بعد اتفاق ستوكهولم أعلن محمد علي الحوثي التزام جماعته بعدم إطلاق صواريخ بالستية تجاه السعودية ولم يلتزموا. وإذا كانوا صادقين - في عرضهم الحالي - عليهم فك الحصار عن تعز والانسحاب من الجبهات الداخلية».

وقال المدير التنفيذي لمركز صنعاء للدراسات ماجد المذحجي «ان اليمن يتمزق في صميمه. ورغم تكاثر القتلة واللصوص وتجار الحرب والموت الآن، إلا اننا جميعا سنتذكر انه في 21 أيلول/سبتمبر 2014 بدأت حكاية الخراب اليمني، وان انقلاب الحوثيين هو النافذة التي اطل منها الجحيم، ومن حينها تتوالى العواقب: حرب وخوف وجوع وحياة بلا أمل».

باختصار

الجبير يحمل إيران مسؤولية الهجوم على أرامكو

الرياض – أكد وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية السعودية عادل الجبير أمس أن الهجوم على أرامكو عمل إجرامي تتحمل مسؤوليته إيران.

وقال في مؤتمر صحافي إن التحقيقات تشير إلى أن الأسلحة المستخدمة في الهجوم هي إيرانية، مشيرا إلى أن التحقيقات تهدف إلى تحديد مصدر الإطلاق، و«نحن متأكدون أن المصدر ليس اليمن بل إيران في الشمال».

الجزائر: وزير إسلامي سابق يعلن ترشحه للانتخابات الرئاسية

الجزائر– أعلن عبد القادر بن قرينة، وهو وزير سابق ورئيس حزب إسلامي السبت، ترشحه للانتخابات الرئاسية الجزائرية المقررة في 12 كانون الأول/ديسمبر، ليصبح أول مرشح بشكل رسمي لخلافة عبد العزيز بوتفليقة.

وقال بن قرينة في مؤتمر صحافي «أعلن أمامكم اليوم تقدمي للترشح لرئاسة الجمهورية في الاستحقاق الانتخابي المقرر يوم 12 ديسمبر 2019».

الشرطة اليونانية تعتقل لبنانيا يشتبه بضلوعه في اختطاف طائرة

أثينا – قالت الشرطة اليونانية السبت إنها ألقت القبض على لبناني يبلغ من العمر 65 عاما يشتبه بأنه ضالع في اختطاف طائرة وأفراد في جريمتين وقعتا عامي عام 1985 و1987.

وذكرت وسائل إعلام يونانية أن الرجل يشتبه بأنه ضالع في اختطاف طائرة تابعة لشركة «تي.دبليو.إيه» عام 1985 في واقعة أسفرت عن مقتل راكب أمريكي.

توصيات إسرائيلية للمستوطنين بتملك أراض في الضفة

رام الله – قالت منظمة التحرير الفلسطينية، إن مستشارين قضائيين بوزارتي الأمن والجيش الإسرائيليين، حضّروا وجهة نظر قانونية وتوصيات تسمح للمستوطنين، بصفتهم الخاصة، بتملك أراض بالضفة الغربية المحتلة.

وذكر «المكتب الوطني للدفاع عن الأرض ومقاومة الاستيطان» السبت، أن «أذرع الجهاز القضائي في الجيش الإسرائيلي، والإدارة المدنية في إسرائيل، يستخدمان مختلف الحيل للسيطرة على أراضي الفلسطينيين والأملاك العامة».

هونغ كونغ: الشرطة تطلق الغاز المسيل للدموع على المحتجين

هونغ كونغ – استخدمت شرطة مكافحة أعمال الشغب الغاز المسيل للدموع ضد المتظاهرين المناهضين للحكومة في هونغ كونغ أمس.

ووضع المتظاهرون الأقنعة المضادة للغاز والخوذ الصلبة وارتدوا القمصان السوداء ذات الأكمام الطويلة ونصبوا حواجز من قضبان الحواجز الحديدية في الشوارع وغيرها من المواد، وكسروا الأرصفة لجمع الحجارة التي نقلوها إلى الخط الأمامي في عربات التسوق.

القوات الأفغانية تحبط هجوما صاروخيا في كابول

كابول – أحبطت القوات الأفغانية هجوما صاروخيا على العاصمة كابول، باعتقال إرهابي ومصادرة العديد من قذائف صواريخ «بي.إم.١» طبقا لما ذكرته وكالة «خاما برس» الأفغانية للأنباء أمس.

وقالت وزارة الداخلية في بيان إن قوات الأمن ألقت القبض على الإرهابي في المنطقة الثامنة في كابول.

وأضاف البيان أن الإرهابي كان يسعى لنقل العديد من قذائف صواريخ «بي.إم.١» في محاولة لإطلاقها على كابول.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9672 الأحد 22 أيلول (سبتمبر) 2019 – 23 محرم 1441 هـ

تركيا تحيل عقدة «تحرير الشام» إلى فصائل المعارضة العاجزة

مقاتلو هيئة تحرير الشام

أبلغت أنقرة أن «هيئة تحرير الشام» عقدة يجب على الفصائل حلها، وهو ما يشير إلى بداية تحول في الموقف التركي وزيادة الضغط السياسي على الهيئة.

منهل باريش

اختلف معارضون عسكريون وسياسيون حول تفسير الطرح التركي خلال اجتماع مسؤولي الملف السوري بقادة الفصائل العسكرية في العاصمة أنقرة، الثلاثاء الماضي. وتباينت قراءة الرؤية التركية نفسها للوضع في إدلب واتفاق سوتشي وهو ما يشير إلى أن كلام المسؤولين الأتراك كان في العموميات وفي الإطار العام وهذا مرده إلى أن القمة الثلاثية الروسية التركية الإيرانية ولجانها التقنية الموازية لم تتوصل إلى اتفاق نهائي يخص منطقة خفض التصعيد الرابعة في إدلب وجوارها، أو أن تركيا لا تريد إخبار قادة الفصائل بتفاهماتها الجديدة.

وحذر المسؤولون الأتراك من انهيار اتفاق سوتشي في حال لم يطبق بشكل جدي وتحديدا سحب السلاح الثقيل وخروج الفصائل «الراديكالية» و«المتطرفة» من المنطقة منزوعة السلاح الثقيل.

ونبهوا إلى أن «هيئة تحرير الشام» هي عقدة يجب حلها وعلى الفصائل إيجاد مخرج لها، وهو ما يشير إلى بداية تحول في الموقف التركي وزيادة الضغط السياسي على الهيئة. وهذا يذكّر بموقف تركيا الحازم عندما رفضت «تحرير الشام» نشر نقاط المراقبة التركية، حيث هددت أنقرة بعملية عسكرية ونشرت جيشها على حدود ولاية هاتاي وبدأت بتفكيك الجدار الأمني بين البلدين، ما أجبر قيادة «تحرير الشام» على التراجع وقبول دخول القوات التركية مطلع تشرين الأول (أكتوبر) 2017.

خلافاً لما تم تداوله، فإن أنقرة لم تطرح فكرة التعامل العسكري المباشر مع الرافضين لتطبيق الاتفاق نهائياً. واكتفت بتحميل الفصائل الحرج الذي وضعتها فيه مع موسكو كونها لم تنجح بتطبيق الاتفاق بسبب بقاء المجموعات المتطرفة في المنطقة منزوعة السلاح الثقيل أو ما يعرف بمنطقة الـ20 كم. وحذر المسؤولون من استمرار روسيا في عملية القضم التدريجي إذا لم تلتزم الفصائل بتطبيق الاتفاق وتفتح الطرق الدولية أمام حركة الترانزيت.

وتشترط روسيا وجود قواتها على الطرق الدولية وتسيير دوريات مشتركة مع القوات التركية في المنطقة منزوعة السلاح، بهدف التأكد من إخراج فصائل المعارضة المعتدلة لسلاحها الثقيل من دبابات ومدافع وراجمات الصواريخ، وكذلك استطلاع تبعية المقرات العسكرية والتثبت من أنها تضم مقاتلين يتبعون لـ«الجبهة الوطنية للتحرير» وليس للفصائل «المتطرفة». ويتطلب هذا الشرط إنضاج آلية معقدة للغاية تحتاج إلى حصول موسكو على كامل بيانات الفصائل وأسماء مقاتليها، وهذا لن يتم إلا إذا قامت أنقرة بمشاركة قوائم فصائل الجبهة الوطنية التي تدعمها. بذلك فقط تستطيع الشرطة العسكرية الروسية تمييز المقاتلين وانتمائهم، فمسألة تغير الأشكال وإنزال الرايات السوداء للفصائل المصنفة على لوائح الإرهاب أو تغيير لباسها وحلق ذقون مقاتليها لن يجدي نفعاً مع صعوبة المطالب الروسية.

وسيشكل قبول فصائل الجبهة الوطنية تسيير الدوريات المشتركة في المنطقة منزوعة السلاح وعلى الطريقين الدوليين، بداية التطبيع الحقيقي مع القوات الروسية في المرحلة الأولى وقوات النظام في المرحلة الثانية. فتسيير الدوريات وحمايتها سيتم كما جرت العادة مع أمنية فيلق الشام أو فصائل الجبهة الوطنية حسب توزع القطاعات.

ويضاف إلى ذلك، إخطار قادة فصائل «الجبهة الوطنية» إصرار روسيا على تعديل عمق المنطقة منزوعة السلاح الثقيل لتصبح 20 كم طبقا للمتغيرات العسكرية الأخيرة بعد قضم ريف حماة الشمالي وخان شيخون، أي اعتبارا من خط الجبهة الجديد وليس خط ما قبل 5 أيار (مايو) 2019 قبل بدء العملية العسكرية المشتركة للنظام وحلفائه. وهو ما يتفق إلى حد كبير مع الشرط الروسي بتوسيع عمق المنطقة الآمنة مطلع الشهر الجاري إلى 30 كم اعتبارا من خط الجبهة الجديد.

بطبيعة الحال، سواء تم التوافق بين الضامنين التركي والروسي على أن تكون المنطقة العمقية 20 كم أو 30 كم، فهذا يعني إعطاء روسيا الحق بتفتيش أكثر ما تبقى من سهل الغاب وريف حماة وريف إدلب الشرقي وريف معرة النعمان وكل الأراضي شرق طريق حلب - دمشق الدولي (M5). هذا فضلا عن جبل التركمان والأكراد وريف حلب الغربي والجيب الصغير الذي يضم عندان وحريتان في ريف حلب الشمالي، وضمان طرد الفصائل المتشددة منها بشكل نهائي، وحصر الفصائل التي لا تقبل بالاتفاق في جيب حدودي صغير شمال مدينة إدلب يشمل سرمدا وحارم وسلقين وكفر تخاريم وجوارهما ومنطقة جبل السماق ذات الغالبية السكانية الدرزية.

على صعيد الحكم المحلي، نقل بعض المعارضين قبول روسيا إدارة منطقة إدلب من قبل الحكومة السورية المؤقتة التابعة للائتلاف الوطني المعارض. في حين أن النظام يصر على عودة مؤسسات «الدولة السورية» إلى كامل منطقة خفض التصعيد، ويشترط كذلك دخول الشرطة المدنية بصفتها السيادية مقابل التخلي المرحلي عن نشر قوات الجيش والمخابرات. وهذا ما يدفع إلى الاعتقاد أن الحديث عن دخول الحكومة المؤقتة هو مجرد أوهام في رأس بعض المعارضين السوريين، الذين مازالوا يعيشون حالة نكران الهزيمة الحاصلة والواقع الجديد. فنقطة المراقبة التركية في مورك أصبحت محاطة بقوات النظام وطريق إمدادها يمر بين جنود برعاية روسية، وسيكون ذلك حال النقاط الأربع شرق طريق حلب - دمشق. ويغيب عن ذهن الناطقين بهذا الادعاء أن تركيا هي الطرف الضعيف في ذلك الاتفاق، وأنها غير قادرة على تنفيذه حسب ما خبر الجميع منذ توقيعه حتى اليوم.

من الواضح أن ملف إدلب أصبح معلقا ببقاء هيئة «تحرير الشام» بشكل كامل. لكن تلك الأخيرة تدرك عدم مقدرتها مواجهة الهجوم المدعوم من روسيا، وأن المواجهة هي معركة استنزاف ضدها بشكل رئيسي، فحاولت الزج بالفصائل القاعدية الأخرى كما فعلت في محور سكيك والتمانعة شرق خان شيخون عندما أوكلت مهمة الدفاع عنه لفصيلي حراس الدين وأنصار التوحيد بهدف استنزاف قوتهما هناك، وهو ما حصل بالفعل. وتحاول تحرير الشام تخفيف خسائرها في هذه المرحلة، ويرجح أنها لن تقاتل فيما لو استكمل النظام وروسيا حربهما للسيطرة على ريف إدلب الشرقي ومدينتي سراقب ومعرة النعمان وكامل طريق حلب - دمشق، وهو ما بدأته بسحب مواردها من شرقي الطريق مع وصول النظام إلى خان شيخون.

لقد أصبحت معادلة إدلب بمجاهيل كثيرة، إن لم تصبح مستحيلة الحل. فالصمود في وجه روسيا غير ممكن، والتطبيع معها مرفوض وتطبيق الاتفاق متعلق بخروج تحرير الشام وأخواتها، وفي حال رفضها فإنها لن تستطيع الصمود. كل ذلك سيؤدي إلى استعادة النظام لإدلب، لكن بعد تدميرها وتهجير غالبية سكانها.

Volume 31 - Issue 9672 Sunday 22 September 2019

حالة تعادل تدخل إسرائيل في خيارات صعبة

انتخابات الكنيست الـ 22: نتنياهو خاسر وغانتس ليس رابحا

غانتس

نتنياهو

هناك اتفاق على أن عهد نتنياهو دخل مرحلة النهاية فيما يقول مراقبون آخرون إنه قد سقط وصفقة القرن أيضا قد سقطت معه.

الناصرة ـ «القدس العربي»: وديع عواودة

أفرزت نتائج انتخابات الكنيست الـ 22 عن حالة تعادل مع زيادة طفيفة للحزب المعارض «أزرق–أبيض» ما أدخل إسرائيل في مأزق سياسي مجددا يفتح الباب أمام انتخابات ثالثة بعد شهور أو حكومة وحدة وطنية غير متجانسة لن تدوم طويلا. وقال تقرير صحافي في إسرائيل إن رئيس حكومتها الخاسر في الانتخابات العامة بنيامين نتنياهو، طلب عفوا من رئيسها، رؤوفين ريفلين مقابل إنهاء حياته السياسية. ويبدأ اليوم الأحد رئيس إسرائيل ريفلين ممارسة صلاحياته الدستورية بالمشاورات الخاصة بتكليف رئيس حزب «أزرق–أبيض » أو رئيس «الليكود» بنيامين نتنياهو بتشكيل حكومة جديدة في ظل «ورطة ائتلافية» نتيجة حالة تعادل مفادها أن نتنياهو قد خسر فيما لم يربح بني غانتس. وقال المحرر السياسي في القناة الإسرائيلية 13 رفيف دروكر، إن الحديث يدور عن عفو ضمن «مسار 300» أي الحصول على إعفاء في كافة الملفّات المشتبه فيها قبل المحاكمة وإدانته، لا بعدها. وتحدّث نتنياهو حول الموضوع مرّة واحدة على الأقل، وفق دروكر، إلا أنه أبدى «تشاؤمًا» حيال إمكانية أن يمنحه ريفلين عفوًا.

وكشف دروكر أن نتنياهو أوفد إلى مقرّ الرئيس شخصًا يمكن التنكّر إليه لاحقًا لاستكشاف موقف ريفلين، وتلقى ردًا أن موقف المستشار القضائي للحكومة هو الذي سيحسم عند الرئيس إن كان عليه أن يوافق على طلب نتنياهو العفو أو لا. وفحص نتنياهو، أكثر من مرّة، وفق دروكر، الموضوع إعلاميًا وقانونيًا، بينها عن طريق خصمه وزعيم المعارضة الأسبق، يتسحاك هرتسوغ، الذي طلب سابقا منح نتنياهو عفوًا ضمن «مسار 300 ». ولم ينفِ هرتسوغ، للقناة، علاقته بالموضوع، إلا أن مكتب نتنياهو نفى ذلك، بشدّة. ونقلت القناة الإسرائيلية الأولى عن مصادر في أجهزة تطبيق القانون قولها إن النيابة العامة ستعترض على أيّ صفقة ادّعاء مع نتنياهو لا تتضمّن اتهاما واضحًا وسجنا فعليا، إن قُدّمت ضدّه لائحة اتهام. ومن المقرّر أن يخضع نتنياهو إلى جلسة استجواب في الملفات المتّهم بها، مطلع تشرين الأول/أكتوبر المقبل قبيل تقديم لائحة اتهام ضده مما يزيد الحالة السياسية ومساعي تشكيل حكومة في إسرائيل تعقيدا.

أربعة ملفات فساد

ويجري التحقيق مع نتنياهو في ثلاثة ملفات، هي: الملف 1000 المشتبه نتنياهو فيه بتلقي هدايا بمئات آلاف الدولارات من رجل الأعمال أرنون ميلتشين، مقابل توسّطه لمنح ميلتشين تأشيرة للإقامة في الولايات المتحدة؛ الملف 2000 المشتبه فيه بمحاولته سنّ قانون لتقليص أعداد صحيفة «يسرائيل هيوم» مقابل تغطية داعمة له في صحيفة «يديعوت أحرونوت»؛ الملف 4000 المشتبه فيه نتنياهو بإرساء مناقصات على رجل الأعمال شاؤول ألوفيتش، مقابل تغطية داعمة لنتنياهو في موقع «واللا». وبعد فوزه في انتخابات نيسان/أبريل الماضية، حاول نتنياهو أن يمرر تعديلا لـ «قانون الحصانة» وإعادته إلى صيغته قبل العام 2005 التي نصّت على أن عضو الكنيست سيحظى بحصانة أوتوماتيكية من محاكمة، وأنه من أجل رفع الحصانة يتعين على المستشار القضائي للحكومة أن يطلب ذلك من لجنة الكنيست، التي ستقرر في الأمر، وبعد ذلك يجري التصويت في الهيئة العامة للكنيست وهذا ما اعتبرته أوساط قضائية أمرا فاسدا. وكان عضو الكنيست ميكي زوهار، من حزب الليكود، قدم إلى الكنيست مشروع قانون لإجراء التعديل وإعادة الصيغة إلى ما قبل العام 2005. ويشار إلى أن النظام الإسرائيلي يضمن أغلبية للائتلاف في لجنة الكنيست، وبطبيعة الحال تكون أغلبية للائتلاف في الهيئة العامة للكنيست، أيضا. وفي إطار هذه الخطوة، سعى نتنياهو إلى دفع مشروع قانون يسحب من المحكمة العليا صلاحية التدخل، وإبطال قوانين عنصرية ومعادية للديمقراطية، وإنما بقرارات إدارية تصادق عليها الحكومة أو الوزراء أو الكنيست ويرف بـ «قانون الغلبة» وكان مشروع القانون هذا يهدف إلى السماح بمنع المحكمة من رفع حصانة نتنياهو، في حال سنه.

ليبرمان صانع الملوك

وفي سياق التجاذبات السياسية نفى رئيس حزب «يسرائيل بيتينو»، أفيغدور ليبرمان صحة ما نشر في وسائل الإعلام أمس، حول التوصل إلى تفاهم مع كتلة «أزرق–أبيض» حول انضمام حزبه إلى أي حكومة سيتم تشكيلها برئاسة بيني غانتس. ليبرمان الذي رفض الانضمام لحكومة محتملة يقودها نتنياهو في الانتخابات الماضية مما تسبب بجولة انتخابات ثالثة قال في صفحته في«فيسبوك» إنه لم يتحدث بعد مع زعيم الليكود بنيامين نتنياهو ولا مع غانتس، مشددا على أن لا مشكلة لديه إذا اضطر إلى عدم المشاركة بالحكومة، والانضمام إلى المعارضة مكررا مطلبه بتشكيل حكومة وحدة علمانية بدون المتدينين المتزمتين(الحريديم) وبدون العرب. وادعى ليبرمان أن الإنجاز الذي حققته القائمة «المشتركة » في الانتخابات، كان بفضل نتنياهو وتصريحاته العنصرية التي حرضت المواطنين العرب على المشاركة في الانتخابات ورفع نسبة التصويت، مقترحا على رئيس القائمة، أيمن عودة، إرسال باقة ورود لنتنياهو. وفي ما يتعلق بغريم اليوم وصديق الأمس، الأحزاب الحريدية، أوضح ليبرمان أنه لن يتنازل عن الشروط التي حددها وتسببت بحل الكنيست الـ20 والذهاب إلى انتخابات مبكرة، وأفشلت مساعي نتنياهو في تشكيل حكومة عقب الانتخابات في نيسان/أبريل الماضي، ما أدى إلى انتخابات ثانية. كما عدد ليبرمان مطالبه التي تتعلق بالدين والدولة كشرط للتحالف وهي: المصادقة على قانون التجنيد، زواج مدني، إتاحة التهويد بواسطة حاخامات السلطات المحلية، فرض تعليم العلوم واللغات على المدارس الدينية، إتاحة مواصلات النقل العام وفتح المصالح التجارية أيام السبت.

بطة عرجاء

وبات ليبرمان والذي يعيش في مستوطنة نوكديم يتبنى نهجا متشددا تجاه قضايا تتعلق بالأمن والدين والدولة ما عزز من تمثيله في الانتخابات الأخيرة. لكن بعدما تواصل نتنياهو مع غانتس أول أمس، وهو ما قد يبعد ليبرمان عن المشهد، رد ليبرمان بغضب قائلا إن نتنياهو «مجرد انتهازي» يسعى إلى التحايل على خصومه لتهيئة الرأي العام لجولة ثالثة من الانتخابات، وقد ينتهي الحال بأن يكون ليبرمان صانع ملوك بعدما كان قد بدأ حياته حارسا لنوادٍ ليلية.

ويرى عدد كبير من المعلقين أن إسرائيل تقف عمليا بين خيارين فقط، وهما حكومة وحدة أو انتخابات ثالثة في شباط/فبراير الماضي وهذا خيار مفضل على نتنياهو باعتبارهما خيارين أحلاهما مرّ. لكن الانتخابات على الأقل تعطيه فرصة أو حظا للإفلات من المأزق إما من خلال حدث أمني كبير أو تغير خريطة الاصطفافات الحزبية ونتائج انتخابات الجولة الثالثة. بين هذا وذاك المؤكد أن نتنياهو الذي يحاول التظاهر بأن كل شيء طبيعي قد بات بطة عرجاء وجريحا سياسيا وهناك اتفاق على أن عهده قد دخل مرحلة النهاية فيما يقول مراقبون آخرون إنه قد سقط وهناك من يقول إن صفقة القرن أيضا قد سقطت معه.

الهدف الحقيقي لزيارة غرينبلات

والتقى المبعوث الأمريكي المستقيل للشرق الأوسط، جيسون غرينبلات أمس نتنياهو، بمشاركة السفير الأمريكي في البلاد والسفير الإسرائيلي في واشنطن، في زيارةٍ لم يُعلن عنها سابقًا. وخلال الأسبوع الأخير، أصرّ نتنياهو على أن «صفقة القرن» ستُنشر بعد الانتخابات الإسرائيلية «بفترة قصيرة جدًا» أو بأيّام. ومن المقرّر أن يلتقي غرينبلات اليوم الأحد رئيس قائمة «أزرق–أبيض» الذي حلّ أولا في الانتخابات الأخيرة، بيني غانتس. وبينما اكتفى مكتب نتنياهو بنشر صورة من اللقاء، بدون أن يكشف عن تفاصيله ونقاط البحث الرئيسيّة، تباينت مواقف المطلعين الإسرائيليين من الزيارة وتوقيتها وعلاقتها بالانتخابات الإسرائيليّة و«صفقة القرن». وذكر المراسل الدبلوماسي لصحيفة «يديعوت أحرونوت» إيتمار أيخنر، أن هدف زيارة غرينبلات هي فحص إن كانت الساعة حانت لإعلان تفاصيل «صفقة القرن» وما هو التوقيت المناسب لذلك، إن كان أثناء مفاوضات تشكيل الحكومة الإسرائيليّة، أم بعد الإعلان عنها. وقدّر أيخنر أنّ «زيارة غرينبلات في الوقت الحالي جاءت للتأثير على المشهد السياسي في إسرائيل، وللتأكد من أن صفقة القرن ستكون جزءًا من الاتصالات لتشكيل الحكومة المقبلة» وأضاف أن غرينبلات سيحاول خلال لقاءاته «تحضير الأرضية لإعلان صفقة القرن ومحاولة تقويض المعارضة لها».

يائس من «صفقة القرن»

بالمقابل ذهب محرر صحيفة «معاريف» السياسي، شلومو شمير، إلى أن زيارة غرينبلات تبرهن على «وضع صفقة القرن الميؤوس منه». وأضاف أنّ «حقيقة أن غرينبلات، الذي ينهي منصبه مبعوثًا للرئيس الأمريكي في المنطقة، لم ينتظر حتى تشكيل حكومة جديدة في إسرائيل، وبدون أن ينتظر الحسم من سيكون رئيس الحكومة المقبل، تكشف بأسه من الخطّة». وعلّل شمير ذلك بأن غرينبلات سيكتشف «كم أن» صفقة القرن «لا تثير اهتمام نتنياهو، ولا تظهر حتّى في قائمة مخاوفه. كما أن لغانتس سلّم أولوياته، صفقة القرن غير واردة فيه، علما أن بعض أحزاب اليمين ترفضها وتعتبرها خطرا على إسرائيل».

وحده القادر على مخاطبة الرياض وباريس

سعد الحريري يلعب دور والده في الاقتصاد والانماء وحزب الله

حزب الله الممسك بالأغلبية النيابية وبقرار الحرب والسلم وبالتحالف مع التيار الوطني الحر شريكه المسيحي بات في حاجة إلى سعد الحريري.

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

لم يعد لدى لبنان المزيد من الوقت للمناورات السياسية، فالبلد على عتبة انهيار اقتصادي إن لم تُنفّذ الإصلاحات الضرورية وإن لم تُتخذ الإجراءات السريعة للانقاذ بدل تسجيل النقاط من كل فريق على الآخر. ولعلّ موازنة 2020 التي بدأ مجلس الوزراء مناقشتها على أن يرسلها إلى المجلس النيابي ضمن المهلة الدستورية، تشكّل الفرصة الأخيرة قبل انزلاق لبنان نحو الهاوية. وهذا يتطلّب من الكتل الوزارية والنيابية التقشّف وتخفيف الهدر المالي ومعالجة عجز الكهرباء وتخصيص عدد من المرافق ووقف رحلات السفر وتكاليفها الباهظة على حساب الخزينة إلا الرحلات الضرورية التي تنتج دعماً للبنان كسفر رئيس الحكومة سعد الحريري إلى فرنسا للقاء الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون من أجل تحريك مساعدات مؤتمر «سيدر» وضخّ السيولة في السوق اللبنانية التي تعاني من غياب كبير للدولار وحجز للمبالغ المالية بتوجيهات من مصرف لبنان.

ومن المعلوم أن وضع لبنان المالي والاقتصادي ليس بخير، ولم يكن ينقصه سوى العقوبات الأمريكية المفروضة على حزب الله والتي تترك تأثيرات سلبية أيضاً على التحويلات من الخارج. وإذا كانت التحويلات من دول الخليج تساعد بعض العائلات اللبنانية التي يعمل أبناؤها في الدول العربية وتضخّ عمولات أجنبية في الأسواق المحلية، فالخشية هي من نشوب أي حريق كبير في الخليج كما حذّر رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط، الأمر الذي يعني توقّف أعمال الكثير من اللبنانيين ما سيزيد من حجم الأزمة.

من هنا، تُعلّق الآمال على الحركة التي بدأها الرئيس سعد الحريري لمحاولة تحريك المساعدات الخارجية وإبعاد شبح السقوط الكبير، علماً أن الأزمة ضربت داخل بيت الحريري وتسبّبت في تعليق العمل في تلفزيون «المستقبل» بعد إقفال الجريدة.

ويشبّه بعضهم الوضع السائد في لبنان حالياً بما كان عليه قبل عام 2005 عندما كان الرئيس الشهيد رفيق الحريري رئيساً للحكومة لعدة مرّات حيث كان يتولى زمام الاقتصاد والإنماء في مقابل تولّي سوريا زمام الأمن والسياسة الخارجية.

وواشنطن لانقاذ لبنان من الانهيار

والتيار البرتقالي يتوليّان الأمن والسياسة الخارجية

أما المعادلة اليوم فهي أن حزب الله الممسك بالأغلبية النيابية وبقرار الحرب والسلم وبالتحالف مع التيار الوطني الحر شريكه المسيحي بات في حاجة إلى سعد الحريري كشريك سنّي للتخفيف من حجم الضغوط الاقتصادية على لبنان بإعتباره الأقدر على مخاطبة الدول العربية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية للوقوف إلى جانب لبنان والفصل بين هذا الدعم وبين موقفها السلبي من حزب الله، علماً أن لبنان الرسمي لم يصدر عنه أو عن مجلس الوزراء موقف مستنكر للهجوم على منشآت «أرامكو» النفطية ، واقتصرت الإدانة على رئيس مجلس الوزراء وعدد من الحلفاء في قوى 14 آذار. ولم تُعرَف بعد نتيجة زيارة الحريري إلى السعودية وإذا كانت أفضت إلى دعم معيّن لبيروت مع العلم أن وزير المال السعودي محمد عبد الله الجدعان تحدث عن دعم مالي للحكومة اللبنانية لم تُعرَف طبيعته وهل هو عبارة عن شراء سندات خزينة من إصدارات وزارة المال أو وديعة مالية في المصرف المركزي أو قرض مالي بفائدة ميسّرة؟

أما انتقال الرئيس الحريري إلى باريس بعد زيارته الأخيرة إلى واشنطن فيأتي بعد حوالي سنة ونصف السنة على انعقاد مؤتمر «سيدر» واكتسبت هذه الزيارة أهمية على صعيد إطلاق المسار التنفيذي للمقررات والمشاريع التي اعتمدت في المؤتمر، وسط الظروف البالغة التعقيد التي يعيشها لبنان.

وكان سبق زيارة الحريري إلى فرنسا وصول المبعوث الفرنسي المكلّف متابعة مقررات «سيدر» بيار دوكين الذي أبدى شكوكاً حول جدّية المسؤولين اللبنانيين في تنفيذ الإصلاحات المطلوبة على الرغم من الخطوات الايجابية المحدودة التي تحققت في موازنة 2019.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9672 الأحد 22 أيلول (سبتمبر) 2019 – 23 محرم 1441 هـ

الأردن: عودة «التنمر» وحالة من «عدم اليقين» الإداري السياسي تخلط الأوراق

المشهد في العاصمة يشير إلى عودة الاحتجاجات والاعتصامات في الشارع الشعبي خصوصا بعد أن دخل إضراب المعلمين أسبوعه الثالث.

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

الوقوف على مشهد مجموعة من عمال المياوة وهم يحاولون اقتحام مكتب عمدة العاصمة ورئيس بلديتها يوسف الشواربة الأسبوع الماضي برفقة أوركسترا من الشتائم والألفاظ النابية وبوجود مجموعة من قوات الدرك تحمي مكتب رئيس البلدية، يعني عمليا وسياسيا ووطنيا اليوم مصافحة إحدى أكثر النقاط حساسية في التفاعلات التي يشهدها الشارع الأردني.

لا علاقة للأمر هنا بمناخ وأجواء الربيع العربي عام 2011 حيث سلسلة طويلة من التنمر الإداري قابلتها الدولة باسترخاء القبضة والمجازفة بالهيبة وحكم القانون لاعتبارات لا مجال لذكرها والتحدث عنها الآن.

يشهد أحد رجالات الدولة أمام «القدس العربي» بأن مرحلة الربيع العربي وتحديدا بعد إسقاط النظام في مصر، كانت صعبة وحرجة وتخللها ليس فقط بعض التنازلات الدستورية والإصلاحية لكن الكثير من مؤشرات الخوف والارتباك من قادم مجهول.

عبر الأردن بعبقرية قيادته وشعبه أيضا من تلك المرحلة المنفلتة. بعد العبور بسبع سنوات على الأقل تعود مظاهر التنمر الإداري والحراك الشعبي تحت يافطة معيشية ومطلبية قد يكون أصعب ما فيها أنها خالية من المطلب السياسي وتنمو وتتغذى على الأزمة الاقتصادية والمالية المتنامية.

يساهم في تعقيد الموقف هنا ما يسميه محلل سياسي من الوزن الثقيل مثل عدنان أبو عودة حالة «عدم اليقين» وهي حالة ينتج عنها في رأي صاحب النظرية الكثير من الخوف والارتجال وأحيانا العشوائية التي تنعكس على مسارات الإدارة في كل التفاصيل.

في كل حال المشهد المشار إليه في بلدية العاصمة يمكن تأمله باعتباره مؤشرا مقلقا على عودة التنمر وحراكات الاعتصامات في الشارع الشعبي خصوصا بعدما قرع قطاع المعلمين كل أجراس الإنذار بإضرابهم الناجح والذي دخل أسبوعه الثالث وبصيغة الهبت مطامح ومطامع غالبية مكونات وشرائح قطاعات العمل العام.

انتجت نقابة المعلمين هنا ولا تزال مستويات متسعة من الجدل والتجاذب المطلبي في الوقت الذي تبدو فيه بعض مستويات التعبير الأمني منفعلة أو حائرة وتتراوح ما بين الخشونة والنعومة عند التعاطي مع أي فعاليات في الشارع وبارتياب شديد.

يحصل ذلك لأن حالة عدم اليقين السياسي والإقليمي لا تشمل دوائر القرار والحكومة والسلطة فقط، فهي تشمل أيضا شرائح المجتمع. بمعنى أن تلك الحالة تفرض إيقاعا أكثر صخبا عند الجمهور عندما يقرر الاعتراض أو المطالبة بالإصلاح أو يعزف على وتر الفساد والمال المنهوب أو حتى عندما تلجأ شرائح منه وبدون تنظيم أو بنية مؤسساتية إلى أنماط باتت ملموسة في الشارع بعنوان «التنمر الإداري».

تبقى الاعتصامات والاضرابات المنظمة لها مرجعية، بالتالي هي أقل خطرا وإشارة للحساسية من المجموعات التي تصعد بالخطاب والهتاف المنفلت وتمس بهيبة الدولة والقانون ضمن معطيات التنمر الإداري في الوقت الذي تبدو فيه قبضة القانون حائرة أو متأثرة عمليا بمجمل ملف التجاذبات في بنية المجتمع وفي عمق مراكز القوى في الدولة.

تظاهرات مطلبية في الدوار الرابع

يبقى دوما أن حالة عدم اليقين التي تتحدث عنها حتى النخب الرسمية في الجلسات المغلقة من الطبيعي أن تنتهي بغياب حكم القانون وتسييس الاعتبارات الأمنية والتعامل بالقطعة مع التحديات والمشكلات وفقا لمنطق رئيس الوزراء الدكتور عمر الرزاز وهو يقول إن حكومته لن تسعى لحل المشكلات العميقة واستراتيجيته ستكون انتظار حصول مشكلة للتعامل معها.

ويفسر مقربون من الرزاز هذا الإطار التنظيري بأنه ممر إجباري، لأن استراتيجيات التغيير والتحول والإصلاح الهيكلي البنيوي تحتاج في أبسط نماذجها لعدة سنوات بعد العمل المكثف وهو ما تقر به الناطقة الرسمية باسم الحكومة الوزيرة جمانة غنيمات.

لكن مثل تلك المرحلة لا تنتهي، فالفوضى في المقابل فإن التحدي عندما يتعلق الأمر باستعادة أو محاولة استعادة ميكانيزمات هيبة الدولة لا تبدو المهمة سهلة فعليا ليس فقط بدلالة الأزمة التي تدحرجت وتراكمت وأصبحت قضية وطنية رغم انها تتعلق بعلاوة للمعلمين.

ولكن أيضا لأن الشعور بتراخي القبضة القانونية يتغذى على أزمة اقتصادية طاحنة تردع أجهزة ومؤسسات الدولة من أي صدام مباشر وجوهري وشمولي مع الهيبة وحكم النص القانوني وهي مرحلة لمصلحة الشعب والدولة وينبغي ان تنتهي كما أبلغ «القدس العربي» وزير الداخلية القوي سلامة حماد مباشرة.

التي نتجت عن مطالب حراك المعلمين سبقتها أحداث مدينة الرمثا التي خضعت لها السلطات بحيث أصبحت التجارة غير المشروعة عبر الحدود حقا مكتسبا لشريحة كبيرة في مدينة تشتكي من أن التنمية لا تصلها ونظام خدمات الدولة مقصر معها.

بالتزامن مع الرمثا وبعد ثلاثة أشهر من التحضير المكثف توسعت صدمة في أوساط القرار بعدما اخفق ما سمي بمؤتمر قبيلة بني حسن لدعم الوطن والدولة، فيما بدأت تتكرر مظاهر ومؤشرات الاعتداء على المياه في الوقت الذي يؤكد فيه وزير المياه الأسبق والوزير البارز الدكتور حازم الناصر أن الأمن المائي الوطني لم يحسم ولا يزال في نطاق الخطر الاستراتيجي.

Volume 31 - Issue 9672 Sunday 22 September 2019

ألمانيا تدخل على خط الأزمة الليبية لكن أفق الحل ما زال بعيدا

برزت قوى جديدة رسخت أقدامها في ليبيا خلال السنوات الأخيرة، وهي في سبيلها إلى أن تُصبح طرفا لا يمكن تجاهله.

رشيد خشانة

دخلت ألمانيا على خط الأزمة الليبية، عارضة مبادرة سياسية جديدة تبدو التفافا على باريس وروما، المتصارعتين على النفوذ في ليبيا. واستشف المحللون من تصريحات الرئيس الألماني فرانك شتاينماير، أن برلين أجرت اتصالات مع الأطراف الدولية والإقليمية المعنية بالملف الليبي، تمهيدا لإطلاق مبادرة ثلاثية، مع إيطاليا وفرنسا، من أجل «منع تآكل الدولة الليبية» على حد قوله. ويؤكد الألمان أن العمل التمهيدي الذي قاموا به بعيدا عن الأضواء، سيُؤسس لـ«حدث دولي ذي مغزى» بشأن ليبيا في الخريف الحالي. ومن العناصر المهمة التي جعلت برلين تدفع بقوة في اتجاه عقد ذلك المؤتمر حول ليبيا، وجود حكومة إيطالية جديدة أفرزتها الانتخابات، ما حفز الرئيس الألماني شتاينماير على زيارة روما والاجتماع مع نظيره سيرجيو ماتيرلا، لدرس مشروع المؤتمر الدولي. وقال شتاينماير في روما إنه متأكد من توافر شروط العمل على إيجاد حلول مشتركة مع الحكومة الإيطالية الجديدة. وفي السياق أسمعت المستشارة إنغيلا مركيل صوتها لتدعو بقوة إلى عقد المؤتمر في أسرع وقت.

على أن الألمان يربطون هذه المبادرة لحل الأزمة الليبية بملف الهجرة غير النظامية من الضفة الجنوبية للمتوسط نحو الضفة الشمالية. وهم يعتبرون أن عليهم ألا يتركوا إيطاليا بمفردها، بسبب تباعد المواقف من ملف الهجرة، ويعتقدون أنهم يستطيعون الاعتماد على المفوضية الأوروبية الجديدة، للعمل بحزم من أجل إيجاد حلول لقضية الهجرة. لكن الأكيد أن فرنسا والمانيا ليستا على قلب رجل واحد في الموضوع الليبي.

استبق الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الاجتماع السنوي للجمعية العامة للأمم المتحدة، أواخر الشهر، بدعوة الفرقاء الليبيين إلى اجتماع مصالحة لم يُحدد مكانه ولا ميقاته. وأتى هذا العرض الجديد لمحاولة محو آثار انحياز باريس لإحدى القوتين المتصارعتين، وهما الحكومة المعترف بها دوليا، برئاسة فائز السراج، وقوات الشرق التي يقودها الجنرال خليفة حفتر. وحاول ماكرون أن يحصل على مُباركة لمبادرته من قمة البلدان الصناعية السبع الأخيرة في بياريتس، إلا أن المشاركين اكتفوا بكلام عام، من دون منح تفويض، مثلما كان يتمنى الرئيس الفرنسي، ليس فقط لقلة اكتراث الزعماء الآخرين لما يجري في ليبيا، وإنما أيضا لأن حكومة الوفاق اعتبرت فرنسا طرفا منحازا لا يصلح وسيطا.

تغيرت أمور كثيرة منذ أن استضاف ماكرون الغريمين السراج وحفتر في «سيل سان كلو» بباريس، في تموز/ يوليو 2017 بعد شهرين فقط من صعوده إلى سدة الرئاسة. وكان يبحث عن إنجاز خارجي كبير يُدشن به ولايته. وتعززت تلك الخطوة لاحقا بجمع أربعة زعماء ليبيين مرة واحدة في قصر الإيليزيه، لكنه لم يُفلح في كسر الجليد بين حكومة الوفاق (الغرب) والبرلمان (الشرق). مع ذلك، ظل الليبيون يعتبرون فرنسا وسيطا مقبولا، إلى أن ارتفع النقاب عن الدعم الاستخباري والعسكري الذي كانت (وما زالت؟) باريس تُقدمه للجنرال حفتر، والذي كشفت بعض أبعاده عملية «طوفان الكرامة» الرامية لغزو طرابلس.

وللمرة الأولى بدا في الخطاب الذي ألقاه ماكرون في قمة السبع الكبار، ضربٌ من الاعتراف بالخطأ الجسيم الذي اقترفه، إذ علق على مواقف نظرائه بقوله، في جلسة غير علنية، «نجحنا في أن نتفق على التوقف عن قتال بعضنا البعض، بالوكالة، على الأراضي الليبية» من دون إيضاح من كان يُحارب من؟ ولا من من القيادات الليبية يحتمي بالدعم الخارجي لتغيير الموازين العسكرية لصالحه؟

يعتقد الخبير الفرنسي باسكال إيربوك أن باريس لم تتعود على وضع بيضها في سلة واحدة، مؤكدا أنها تتعاون مع حكومة الوفاق من خلال وزير الداخلية فتحي باشاغا، إلى جانب الدعم الذي تقدمه لحفتر. ويندرج التعاون مع الجانبين في إطار الحرب على الإرهاب، وخاصة في منطقتي فزان (جنوب) وبرقة (شرق) ويشمل هذا التعاون أيضا مجال التدريب. غير أن المراقبين لحظوا في الأسابيع الأخيرة ثلاثة متغيرات في موقف باريس من الأزمة الليبية، أولها إقرار وزير الخارجية لودريان في تصريح لقناة «أوروبا 1» بأنه لن يكون هناك حل عسكريٌ للأزمة. وثانيها اعتراف ماكرون خلال قمة السبع الكبار، بأن باريس وروما كانتا تتصارعان بالوكالة في ليبيا، وأن هذه الحرب ينبغي إنهاؤها، و«وقفُ القتال مع بعضنا البعض». أما الثالث فهو دعوة باريس الملحة على لسان وزير الخارجية لودريان، إلى عقد مؤتمر دولي حول ليبيا، «لإيجاد حل سياسي للأزمة».

وبعدما كان هذا الصراع أساسا فرنسيا إيطاليا، برزت قوى جديدة رسخت أقدامها في ليبيا خلال السنوات الأخيرة، وهي في سبيلها إلى أن تُصبح طرفا لا يمكن الالتفاف عليه أو تجاهله. وهذه القوى الجديدة هي روسيا والصين وتركيا، بالإضافة للدول الخليجية. ولا تهتم هذه الدول «الجديدة» بالهجرة غير الشرعية، التي جعلت منها إيطاليا وفرنسا عنوانا كبيرا لموقفها من الصراع في ليبيا، وإنما ينصبُّ اهتمامها على ثروات البلد وموقعه الجغرافي كجسر كبير إلى افريقيا. وأتى هذا الاهتمام من ضمن استراتيجيات جديدة تُركز على القارة الافريقية، منها مؤتمر القمة الروسي الأفريقي الذي تستضيفه سوشي غدا وبعد غد، وسيكون مشغوفا بمنتدى اقتصادي. ومنها أيضا مؤتمر القمة السنوي الصيني الأفريقي، الذي أظهر الأهمية الكبيرة التي بات الصينيون يولونها للقارة السمراء، ونقل عنهم اليابانيون هذا التقليد، من خلال مؤتمر «تيكاد» للصداقة مع أفريقيا، الذي يحرصون على إقامته سنويا. أما تركيا، فبالرغم من وصولها المتأخر إلى ليبيا، حصدت صفقات تجارية كبرى وأقامت علاقات متينة مع حكومة الوفاق. تتقاطع مبادرة البلدان الثلاثة (ألمانيا وفرنسا وإيطاليا) إذا ما أبصرت النور، مع الحل الذي دافع عنه موفد الأمم المتحدة، رئيس بعثتها للدعم في ليبيا، غسان سلامة، الذي كان اقترح، في إحاطته إلى مجلس الأمن، خطة من ثلاث مراحل لمعالجة الأزمة الراهنة، تبدأ بهدنة يتطلب تطويرُها خفض التصعيد، والتوصل إلى اتفاق يقضي بوقف شامل لإطلاق النار، ثم تنظيم مؤتمر دولي تشارك فيه الدول المعنية باللف الليبي، يليه مباشرة ملتقى ليبي يضم الأطراف المحلية الفاعلة في الأزمة. وقد دعمت قمة الدول السبع الصناعية الكبرى أطروحة الدكتور سلامة من أجل تحقيق تسوية سلمية للصراع.

ينطلق الحرص الألماني على تسريع الحل السياسي في ليبيا، من تزايد المخاوف من انتقال مقاتلي «تنظيم الدولة» و«القاعدة» من العراق وسوريا إلى جنوب ليبيا ومنطقة الساحل والصحراء عموما، حيث لا تسيطر أية دولة من دول المنطقة على المجال الجغرافي الشاسع. وتداخلت في المنطقة خلايا الارهاب مع شبكات الجريمة المنظمة والتهريب وتجارة السلاح. كما يُخشى أن تستثمر تلك الخلايا الحرب الدائرة في طرابلس، منذ خمسة أشهر، لـزرع شبكات وخلايا نائمة في العاصمة.

ويمكن القول اليوم إن منطقة الساحل في خطر، إذ لا تملك الجيوش المحلية من السلاح والعتاد والرجال ما يؤهلها لمراقبة منطقة تُعادل مساحتها مساحة الاتحاد الأوروبي، وتضم 135 مليون نسمة. وانتهت الخطط العسكرية، التي وضعت في هذا الإطار، منذ أكثر من ثلاث سنوات، بتوجيه من فرنسا، إلى فشل ذريع، ما حمل زعماء المنطقة على عقد قمة في واغادوغو عاصمة بوركينا فاسو، أواسط الشهر الجاري، درسوا خلالها تفاقم المخاطر الارهابية في منطقتهم. وأظهرت دراسات تم تداولها في القمة، أن نشر 4500 جندي فرنسي من قوة «بركان»، و13 ألف عنصر من القبعات الزرقاء في مالي، لم تمكن من احتواء الجماعات المسلحة التي تتحرك في المنطقة. من هنا أتت هواجس الألمان، الذين يتقاسمون مع الأمم المتحدة المخاوف من تحوّل ليبيا إلى منصة للجماعات المسلحة، التي يمكن أن يتسرب عناصرها وخلاياها إلى أوروبا من خلال موجات الهجرة غير النظامية، عبر المسالك الليبية. وكان أمين عام الأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش وقف على هذه الحقيقة، عندما صرح قائلا «لسنا في صدد كسب الحرب في منطقة الساحل». فمع أن دول المنطقة اتفقت على تشكيل قوة جديدة قوامها 4000 إلى 5000 جندي للملاحقة الجماعات الارهابية، بقيادة فرنسية، فإن الجهود مازالت متعثرة لأسباب مالية، إذ إن الدول التي ستتشكل منها تلك القوة، تعتبر من أفقر البلدان في العالم، وهي مالي والنيجر وبوركينا فاسو وموريتانيا والبنين.

في هذا المشهد المعقد اختار الأمريكيون العمل لحسابهم الخاص، مُكتفين بضربات جوية جراحية تستهدف عناصر يُعتقد أنها من قيادات «تنظيم الدولة» أو شبكة «القاعدة»، في الجنوب الليبي. وكانت آخرتها العملية التي استهدفت الأسبوع الماضي ثمانية عناصر من «تنظيم الدولة» في محيط مدينة مُرزُق جنوب غرب ليبيا، والتي قالت القيادة العسكرية الأمريكية في أفريقيا (أفريكوم) إنها تمت بالتنسيق مع حكومة الوفاق الوطني. غير أن حكومة الوفاق لا تملك أية سيطرة على الأرض في الجنوب، ما يُعزز مخاوف دول الجوار والدول الأوروبية من تحوّل تلك المنطقة الشاسعة إلى نوع من مركز الخلافة غير المعلن لـ«تنظيم الدولة».

وكانت لهذه الحرب، المستمرة منذ ثلاث سنوات، إلى الجنوب من ليبيا، تداعيات اجتماعية مدمرة في جميع دول الساحل، إذ أظهرت إحصاءات حديثة أن 3005 مدرسة أقفلت أبوابها في دول المنطقة، نتيجة للحرب التي أودت بحياة 7764 شخصا في ستة أشهر (من نوفمبر إلى مارس الماضي). من هنا فإن وقف التمدد الداعشي يبدأ من طرابلس في رؤية الألمان والأوروبيين عموما، لأن التسوية السياسية للأزمة تفسح المجال لمعاودة بناء مؤسسات الدولة وتوحيد الجيش وبسط سلطته على الجنوب. لكن هل ستهتدي القوى الكبرى المتنافسة على ليبيا إلى توافق حقيقي يُنهي الحروب بالوكالة؟

إدارة الجامعات الساحة الأولى لمعركة «تطهير»

في سابقة لم تشهدها الجامعات ألقت الشرطة القبض على مدير جامعة السودان المفتوحة عبد الرؤوف عباس، على خلفية اتهامه بالتورط في قضايا فساد إداري.

الخرطوم ـ «القدس العربي»: مصعب محمد علي

أعلن 36 من مديري الجامعات السودانية، الخميس الماضي استقالتهم بشكل جماعي من إدارة الجامعات، ويأتي هذا استباقا لقرار تنوي وزيرة التعليم العالي بروفيسورة انتصار صغيرون اتخاذه بشأنهم قبل بداية الدراسة المقررة في الأول من تشرين الأول/ أكتوبر المقبل.

وقال المستقيلون في مؤتمر صحافي، إن البيئة الجامعية غير صالحة للتدريس، وأبدى مدير جامعة أم درمان الإسلامية د. حسن عباس خلال المؤتمر مخاوفه من مهاجمة الطلاب لهم وتأسف على خطاب وزيرة التعليم العالي الذي وصفه بالخطير والمهدد لحياتهم وعده خطاب تعبئة وكراهية، وتابع قائلاً: «كنا نتمنى ان نناقش وضع التعليم المتردي بدلاً عن تهديدها».

ولفت حسن إلى أن استمرار الدراسة لا يتم إلا عبر التوافق والتسامح، وكشف عن مساعي إدارته لاستئناف الدراسة بالجامعة، ورهن استمرار الدراسة باستيفاء متطلبات بيئة التعليم ووضع تقويم لاستقبال الطلاب الجدد والقدامى.

ووصف نائب مدير الجامعة د. ابراهيم خطاب الوزيرة بالمثير للكراهية وأنه تجاوز الأعراف والتقاليد على مستوى العالم والإقليم، داعيا لعدم تقزيم الثورة بحصرها في إطار محدد.

وكانت وزيرة التعليم العالي والبحث العلمي البروفيسورة انتصار الزين صغيرون لدى مخاطبتها تجمع أساتذة جامعة أم درمان الإسلامية، قد أدلت بتصريحات عن ترتيبات لفصل مدراء الجامعات.

وطالب مدراء الجامعات المستقيلون في مذكرة موجهة لرئيس مجلس الوزراء الدكتور عبد الله حمدوك بالإسراع في إصدار قرار إعفائهم عبر راعي التعليم العالي حسب تصريحات وزيرة التعليم العالي لأكثر من مرة وذلك قبل الموعد المحدد لفتح الجامعات ليتمكن المديرون الجدد من استئناف الدراسة في الأول من تشرين الأول/اكتوبر المقبل.

واستنكر الأستاذ حسن بدوي في حديثه لـ«القدس العربي» بشدة ما بدر من وزيرة التعليم العالي والبحث العلمي، وقال حديثها حول إبعاد مديري الجامعات لا يليق بمنصبها كوزيرة تعليم عال، وذكر أنها لم تلتق مديري الجامعات منذ تعيينها بينما التقت بتجمع الأساتذة فقط، ونبه إلى الجهود الكبيرة التي بذلها مديرو الجامعات طوال الثمانية أشهر الماضية متحملين عبء المسؤولية وإدارتها في ظروف استثنائية بالغة التعقيد على حد قوله، وانهم تحملوا في ذلك الأذى المعنوي الجسيم وحاولوا الحفاظ على ممتلكات الجامعات واصولها وإعادة استئناف الدراسة حرصا منهم على مصلحة الطلاب. وأعرب حسن عن خيبة أمل المديرين الذين استبشروا خيرا بقدوم الوزيرة لجهة انها من أسرة التعليم العالي ومشاركتها في اللجان التعليمية المختلفة على مدى عقود من الزمان.

وتوقع حسن تعاوناً من الوزيرة والسعي لجمع الصف بالمنهج العلمي السليم لإعادة استئناف الدراسة بالجامعات.

وكانت مبادرة أساتذة الجامعات السودانية (تتبع للثورة) حددت في وقت سابق تسعة مطالب لمعالجة أوضاع الجامعات السودانية من ضمنها إقالة كل المديرين، وذكرت أن تعيينهم كان سياسياً من قبل الرئيس المخلوع عمر البشير. ووضعت المبادرة جملة اتهامات طالبت وزيرة التعليم العالي بالإسراع في التحقيق بشأنها، منها بيع أراض تتبع لجامعتي الجزيرة والخرطوم.

وقال الأستاذ في جامعة الجزيرة، محمد الرفيع، لـ«القدس العربي» إن إدارة جامعة الجزيرة قامت ببيع 350 قطعة أرض ملك للجامعة ومصدقة باعتبارها مزارع تجريبية. وأكد أن اللجوء إلى البيع جاء بعد فشل إدارة الجامعة في وقف التعديات من المواطنين بمنطقة (عترة) المجاورة للجامعة.

وذكر أن مدير الجامعة بروفيسور محمد السنوسي قدم خطابا معنونا إلى أعضاء هيئة التدريس والعاملين بالجامعة يدعوهم للموافقة على بيع الأراضي.

الاستاذ في جامعة الخرطوم احمد زهير كشف لـ«القدس العربي» أن مدير جامعة الخرطوم متورط في بيع أراض تتبع للجامعة، لوداد بابكر حرم الرئيس السابق، وقال إن الجامعة في عهده شهدت توتراً غير مسبوق، وسيق واغلقت أبوابها بقرارات أمنية، وكان يمرر قرارات سياسية لصالح الحزب الحاكم على حساب استقرار الجامعة.

البروفيسور في جامعة النيلين مهدي عباس أكد أن الجامعة منحت عددا من السياسيين درجة الدكتوراه، من دون وجه حق، لقيادي بالمؤتمر الوطني يدعى فضل شعيب الحاصل فقط على الشهادة الابتدائية، وكانت أنباء ذكرت ان جامعة النيلين منحت قائد الدعم السريع محمد حمدان دقلو الدكتوراه الفخرية، إلا ان الجامعة نفت الخبر على موقعها الرسمي.

وفي سابقة لم تشهدها الجامعات السودانية ألقت الشرطة القبض على مدير جامعة السودان المفتوحة عبد الرؤوف عباس، وذلك على خلفية اتهامه من قبل النيابة بالتورط في قضايا فساد إداري وتم إيداعه إحدى حراسات الشرطة قبل أن يُطلق سراحه بالضمان العادي بعد التحري معه.

الخدمة المدنية بين قوى الثورة وفلول البشير

تجمع المهنيين على الخط

وفي أول رد فعل لتجمع المهنيين السودانيين قائد الثورة السودانية حول خطاب وزيرة التعليم العالي قال إن الخطاب أقلق مضاجع منسوبي المؤتمر الوطني وأبواقهم ليعلنوا حملة هجوم شعواء على السيدة الوزيرة، لمجرد إعلانها الالتزام بمبادئ الثورة وكنس آثار الإنقاذ، بإقالة إدارات الجامعات وعمداء الكليات الموالين للنظام السابق، والذين تم تعيينهم لمعيار الولاء السياسي، وليس الكفاءة والأهلية.

وعد عملية «الكنس والكسح والمسح» عملا ثوريا من أجل الحرية والسلام والعدالة، وإنجاز شعارات ثورة ديسمبر المجيدة، وتثبيت أركان الدولة المدنية، بتفكيك الدولة العميقة.

وأشار إلى أن تقديم الاستقالات الجماعية خطوة استباقية لقرار الإقالة ولا تقدم ولا تؤخر.

وأعلن التجمع مساندته لقرارات الوزيرة، كما أعلن أكثر من ألف استاذ جامعي داخل السودان وخارجه انحيازهم التام لقرار وزيرة التعليم العالي صغيرون، وأبدوا استعدادهم للعمل بلا مقابل مادي.

الوزيرة أكدت ان هناك قرارات ستصدر منها إقالة عمداء لكليات جامعية وكذلك الحرس الجامعي ومجالس الإدارات، وكشفت ان القرار صدر قبل تقديم مديري الجامعات لاستقالاتهم، ونبهت الوزيرة إلى أن الإقالة قرار ثوري، يجب تنفيذه.

حدث الأسبوع

انتخابات الرئاسة التونسية: نهاية منظومة أم ثورة جديدة؟

تونس – «القدس العربي»: روعة قاسم

مـرة أخـرى تـصـنـع تـونـس الـحـدث، ويـفـرض شعبها على المتابعين والملاحظين الانصات إلى صوته الذي عبّر عنه بكل تحضر وانضباط في انتخابات لم تشهد تجـاوزات أو خروقات تمس من مصداقيتها. الحدث التونسي جاء هذه المرة في النتائج التي أفرزتها الصناديق الانتخابية الرئاسية السابقة لأوانها التي عاشت على وقعها تونس يوم الأحد الماضي 15 أيلول/سبتمبر الجاري.

هذه النتائج ستبقى محل قراءة ومتابعة لمدة طويلة، لأن الجميع اتفق على انها زلـزال سياسي ستكون لـه ارتـدادات‌ـه الـتـي قد تقوض البناء المؤسساتي الذي قامت عليه الدولة التونسية. ولئن شكلت هـذه الانتخابات محطة هامة في مسيرة هذه الديمقراطية الفتية إلا أنها أيضا أسست لمشهد سياسي جديد في البلاد.

خريطة طريق جديدة

ولا شـك أن الـقـراءة المتعقلة للحدث وتداعياته تفرض الانطلاق من الإشـارة إلى ان صعود قيس سعيد ونبيل القروي إلى الدور الـثـانـي للانتخابات الرئاسية لم يفاجئ إلا الطبقة السياسية وخاصة منافسهما الأبرز يوسف الشاهد الـذي اعتبر نفسه فائزا بـدون حاجة إلى حملة انتخابية كبرى في ظل اعتقاده ان حصيلة حكومته مقبولة وأن لديه شعبية أقوى من عمليات استطلاع وسبر الآراء التي أكدت مرارا ومنذ أشهر الـصـعـود الـلافـت إلـى مستوى سعيد ونبيل القروي مقابل تراجع متواصل ليوسف الشاهد. وقد اعتبر عدد من الملاحظين أن وفاة الباجي قايد السبسي وما حف بها من ملابسات، علاوة على الظهور المفاجئ لعبد الكريم الزبيدي الذي تحول من وزير دفاع إلى مترشح للانتخابات إلـى جـانـب تشتت «نـداء تونس» كان من العوامل التي أنهكت يوسف الشاهد وأنهت طموحه الرئاسي. ولكن عبد الكريم الزبيدي لـم يكن أوفـر حظا من يوسف الشاهد الذي كان هدفا من أهداف حملته الانتخابية. وهزيمة الـرجـلـيـن هـي فـي عمقها دليل متجدد على انتهاء الدور السياسي لحركة «نـداء تـونـس». ولا يمكن لحديث الهزيمة وربما النهايات ان يقف عند يوسف الشاهد وعبد الكريم الزبيدي بل قد ينسحب على حمادي الجبالي ومنصف المرزوقي ومهدي جمعة الذين لم يشفع لهم تحملهم المسؤولية في المرحلة الثورية من الوقوع تحت طائلة «التصويت العقابي». ومن الاستخلاصات اللافتة في نتائج الدور الأول للانتخابات الرئاسية التونسية هزيمة مرشح حركة النهضة ونائب رئيسها عبد الفتاح مورو وهي هزيمة تؤكد تراجع شعبية الحـركـة وتقلص حجم كتلتها الانتخابية إلى جانب تأثير خلافاتها الداخلية التي لم يعد في الإمكان اخفاءها على موقعها على الخريطة السياسية التونسية.

وجه الدور الأول للانتخابات الرئاسية التونسية انذارا شديد الـلـهـجـة لـلأحـزاب السياسية وحمّلها مسؤولية الأزمات التي تعرفها البلاد ولم تعرف طريق الخـروج منها، ومنح شخصيتين غير حزبيتين فرصة رسم خريطة طريق جديدة يبدو التونسيون فـي أشـد الـحـاجـة إلـيـهـا. قيس سعيد ونبيل القروي يجمع بينهما النجاح في مجالين مختلفين وهما التدريس والمـبـادرة الاقتصادية والإعـلامـيـة، وبينهما من نقاط الاخـتـلاف أكـثـر مـمـا يحصى وإن كانا قد نجحا في أن يهزما المنظومة ويقوضا الأسـس التي انبنت عليها. وهو ما يطرح أكثر من تساؤل حول مستقبل المسار الانتخابي والسياسي التونسي في ظل تـراجـع دور الأحـزاب والانـتـقـادات الـكـبـرى الموجهة للدور وتآكد تشتت الأصوات في الانتخابات التشريعية وغموض البرنامج السياسي لنبيل القروي وقيس سعيد.

سيكولوجيا التصويت

عـن الأسـبـاب الـتـي دفـعـت الناخبين للتصويت لقيس سعيد ونبيل القروي اعتبرت الأكاديمية وأسـتـاذة الاتصال في الجامعة الـتـونـسـيـة سـلـوى الـشـرفـي لـ «الـقـدس العربي» أن أغلبية من نسب البطالة، وحسب مؤسسات سبر الآراء فإن غالبية من صوتوا لقيس سعيد هم من المتخرجين الذين يعانون من البطالة ويحملون النظام الحالي أو المنظومة الحالية السبب. فوجدوا في قيس سعيد شخصية تتطابق مع أحلامهم وطموحاتهم فهو استاذهم الذي سينقذ الـبـلاد. وتـضـيـف: «مـا يحدث سيكون له تأثير كبير على الانتخابات التشريعية المقبلة باعتبار أن من صوت لنبيل القروي سيعطي صـوتـه لـحـزبـه الجديد «قـلـب تـونـس» أمـا قيس سعيد فليس لديه حـزب وهـذا سيؤثر تأثيرا سلبيا ويضعف من مكانة رئيس الجمهورية وصلاحياته باعتبار أن أي مقترح تشريعي يحال على البرلمان لن يجد دعما كافيا من الكتل البرلمانية».

ثورة شباب جديدة

ولعل التساؤل الأهم الذي يطرح نفسه هو، هل ما يحدث هو نهاية منظومة أم ثـورة جديدة يقودها أيضا الشباب الثائر على وضعه الاقتصادي والمجتمعي والإهمال السـيـاسـي؟ فقد نبهت تقارير عديدة مؤخرا من تصاعد حالة العزوف السياسي الذي شهدته الـسـاحـة السياسية التونسية لـدى الشباب. في هـذا السياق يقول الكاتب السياسي الناصر الخشيني لـ «القدس العربي» إن الأسـتـاذ الجامعي قيس سعيد أسـتـاذ الـقـانـون الـدسـتـوري في الجامعة التونسية وصل للمرتبة الأولى بمؤازرة من شباب تونس الـذي قـاد انتفاضة 17 كانون الأول/ديسمبر2010 و14 كانون الثاني/يناير 2011. وتحمل هذا الشباب صنوفا من القهر من جراء سياسات الحكومات المتعاقبة منذ تلك التي تسمى بـاكورة الربيع العربي والـتـي أدت إلـى نتائج كارثية على الشعب التونسي من ازديـاد منسوب الفقر والمديونية والبطالة وتوقف عجلة التنمية». ويضيف: «اندفع شباب تونس إلى مغامرات قاتلة سواء بالانخراط في بـؤر التوتر بـدعـوى الجهاد أو المغامرة بالهجرة السرية عبر البحار في اتجاه الجنة التي يحلم بها في أوروبـا، وكم حصلت من مآس في مختلف هذه المغامرات وكـان رد شبابنا على سياسات الحـكـومـات الـلاوطـنـيـة والـتـي تـمـاهـت مـع كـل أنـواع الفساد إلـى درجـة أن شعبنا عاقب في الانتخابات الأخيرة كل المنظومة القديمة، بعدم التصويت لها بكثافة حتى تسقط». واعتبر الخشيني أن الشباب التونسي أحدث ثورة جديدة هذه المرة ليس في الشوارع وبالحناجر كما حصل في كانون الأول/يناير2011 وإنما هذه المرة بالأقلام وعبر صناديق الاقتراع. فكان النجاح في المرتبة الأولى من نصيب الأستاذ قيس سعيد الذي صوت لنبيل القروي هم من الكهول وكبار السن. وعندما نعلم ما هي الآلية الانتخابية لنبيل القروي نعرف ان قناته «نسمة» التي تمرر على مدى اليوم مسلسلات وبرامج خيرية، نفهم انـه استطاع جلب شرائح اجتماعية لديها الوقت ليشاهدوا التلفزيون ويتأثروا به».

وتضيف: «بالنسبة لناخبي نبيل القروي يتطابق ملمحهم مع خطابه الانتخابي. وبالنسبة لقيس سعيد نجد أن أغلبية ناخبيه أي 55 في المئة هم ثانويون أو جامعيون وأيضا في الوقت نفسه سنهم ما بين 18 و25 عاما، يعني هم ما زالوا في سـن الـشـبـاب، لذلك تحضر أمامنا صورة الطالب الجامعي أو العاطل عن العمل، فتم استقطابهم بالأمل والطموح. وبحكم احتكاكي اليومي مع الطلبة أعرف أن قيس سعيد بالنسبة لهم هم المـدرس والمعلم والشخص المثالي، وحتى خلال حملته الانتخابية بقي مدرسا وخطابه أشبه بمحاضرة جامعية، وهذا سيكون له تأثير سيكولوجي قـوي عليهم. وهناك جانب آخر يتعلق بالوضع المعيشي الصعب في البلاد وما أفـرزه من تصاعد وسيعمل آمـن بـه شباب الـثـورة على إنجاحه في الـدورة الثانية التي ستقع خـلال الأيـام المقبلة. وكـان الثاني وهـو نبيل القروي المسجون حاليا بتهمة التهرب الضريبي وتبييض الأموال ومع ذلك تأهل لخوض الدورة الثانية».

وعن الأسباب التي دفعت لانتخاب نبيل قـروي أجـاب بالقول: «لأنه أولا يملك قناة «نسمة» التلفزيونية وقد ساعدته على تسويق نفسه كمنقذ للشعب من خلال برنامج «خـلـيـل تـونـس» حـيـث قـدم من خلاله لعشرات الآلاف من الأسر مساعدات قيمة مالية وغذائية وغـيـرهـا مـن مـا يسد حاجيات عدد كبير من المواطنين ما جر له تعاطفا شعبيا كبيرا بحيث عوض الدولة في القيام بهذه المساعدات الاجتماعية. وأمـا الأستاذ قيس سعيد فتم اختياره من قبل النخبة المثقفة والواعية والتي آلمها ما صار إليه وضع تونس بالرغم من امكانياتها وثرواتها المهدورة ومع ذلـك شعبها يعيش الخصاصة والذل».

التداعيات

أمـا عن تداعيات هـذه النتائج فـيـضـيـف الخـشـيـنـي بـالـقـول: «أتصور أن الانتخابات التشريعية التي ستقع يوم 6 تشرين الأول/أكتوبر المقبل سيواصل خلالها الشعب معاقبة المنظومة القديمة ولن يسمح لها إلا بأقل ما يمكن من المـقـاعـد فـي مجلس الـنـواب المقبل، ولـكـن لا ننسى أن هذه المنظومة تمتلك المـال والإعـلام والإدارة والقضاء والأمن والجيش فيمكنها ان تفعل أي شيء لضمان مصالحها والأيـام الآتـيـة مليئة بالمفاجئات في تونس ونأمل خيرا مع التحذير من قوى الشر التي تهدد في مصالحها».

وأكد الناشط الحقوقي والمحلل الـسـيـاسـي رمـزي الخـلـيـفـي لـ «القدس العربي» أن هذه النتائج ستكون لها تداعيات كبيرة على الانـتـخـابـات التشريعية التي ستجري في 6 تشرين الأول/أكتوبر المقبل، ويـبـدو سيكون لها المنحى نفسه في الانتخابات التشريعية. مضيفا: «لذلك نجد أن أغلب الأحـزاب خاصة ما يسمى بالعائلة الوسطية، تـحـاول الآن لملمة شملها وأن تعود بقوة كي تتحصل على نسب مهمة في الانتخابات التشريعية التي لها أهمية قصوى، باعتبار ان النظام القائم في تونس هو نظام شبه برلماني والبرلمان له الكلمة الفصل فـي تشكيل الـحـكـومـة ورسـم السياسات العامة للدولة وفي تسيير دواليبها.

الوضع العام في تونس مرتبك وهـنـاك تململ فـي كل الأوسـاط وخشية من ارتدادات هذا «الزلزال الـسـيـاسـي» عـلـى الـوضـعـين الاجـتـمـاعـي والاقـتـصـادي في البلاد.

متى سينجح الشيخ إمام في إنقاذ اليسار التونسي؟

صبحي حديدي

في ظهوره الأوّل خلال المناظرات التي نظمتها التلفزة التونسية تحت إشراف الهيئة العليا للانتخابات، اضطر حمّة الهمامي، مرشح «حزب العمال» والناطق باسم «الجبهة الشعبية» التي تمثّل 12 حزباً يساري التوجّه، إلى الغرق في سفسطة لفظية كادت أن تستهلك الوقت المخصص له؛ قبل أن يتنبه المذيع المنشّط للمناظرة إلى أنّ الهمامي قد يكون نسي ما سُئل عنه، فبادره قائلاً: هل تريدني أن أعيد عليك السؤال؟ ولقد اتضح أنّ صاحبنا كان قد نسي، بالفعل، بعد ثوانٍ معدودات على انخراطه الأوّل في المناظرة!

هيهات أن يكون هذا السلوك شكلياً فقط، عند سياسي يتزعم اليوم التجمّع اليساري الأكبر في تونس، وسبق له أن حلّ ثالثاً في انتخابات 2014 بعد الباجي قائد السبسي والمنصف المرزوقي؛ وعند مناضل ماركسي مخضرم، وسجين سياسي سابق قضى نحو 10 سنوات في معتقلات الحبيب بورقيبة وزين العابدين بن علي. ولكن... كيف لا يكون الارتباك صفة هذا القيادي تحديداً، وهو الذي واجه استقالة جماعية من تسعة نوّاب في مجلس الشعب، من أصل 15 نائباً يمثلون «الجبهة الشعبية»، وذلك قبل أسابيع معدودات من وفاة السبسي وذهاب تونس إلى انتخابات رئاسية سابقة لأوانها؟ وهو الذي جوبه ببيان حمل تواقيع 146 من كوادر حزبه، يعلن مقاطعة مؤتمر الحزب الخامس الذي انعقد في كانون الأول (ديسمبر) الماضي، بسبب «بيروقراطية التسيير» و«غياب الأساليب الديمقراطية في إدارة الاختلاف»، و«التفرد بالحكم داخل الحزب»، وتوجهه إلى تجميد وطرد عدد من قياداته.

الإنصاف، إلى هذا، يقتضي التشديد على أنّ حال العجز والموقع الهامشي والارتباك لا تسري على الهمامي وحده ضمن صفوف قيادات الأحزاب اليسارية التونسية، بدليل أنّ مجموع ما حصلت عليه خلال الانتخابات الرئاسية الأخيرة لم يتجاوز 3% من مجموع الأصوات، وأنّ أياً من مرشحي اليسار الثلاثة (المنجي الرحوي، عبيد البريكي، والهمامي نفسه) لم يكسر حاجز الـ1%. هذا مع العلم أنّ اليسار يتمتع، من حيث المبدأ والواقع الفعلي، بدعم متعدد الأوجه من جانب «الاتحاد العام التونسي للشغل»، القوّة النقابية والاجتماعية الضاربة والأكثر سطوة في تونس.

صحيح أنّ السمة الكبرى التي طبعت الانتخابات الرئاسية الأخيرة كانت رغبة الشارع الشعبي في إنزال العقاب بأهل الحكم من القيادات السياسية والأحزاب، على شاكلة نتائج رئيس الـوزراء يوسف الشاهد، ووزير الدفاع عبد الكريم الزبيدي، والرئيس السابق المنصف المرزوقي، أو حتى ممثل «النهضة» ونائب رئيس مجلس الشعب عبد الفتاح مورو. ولكن من الصحيح، في المقابل، أنّ النزوع إلى معاقبة السلطة لم ينطبق على الأحزاب اليسارية لأنها ليست في الحكم أصلاً، وبالتالي كان مقدّراً لها أن تتمتع بفضيلة الشكّ والاستفادة، في قليل أو كثير، من السخط الشعبي على الحاكمين.

صحيح، ثانياً، أنّ صعود قيس سعيّد ونبيل القروي كان مفاجئاً، وسجّل انتصار تيّار محافظ عصامي حالم وآخر مالي واستثماري وإعلامي، وهزيمة مؤسسات سياسية وحزبية تصدرت المشهد في تونس منذ إسقاط نظام بن علي؛ إلا أنّ عنصر المفاجأة لا يلوح أنه شمل اليسار التونسي. هذا رغم أنه التيار الذي يتوجب أن يمثّل هموم الشعب الكبرى، ومشاغل العيش والغلاء والبطالة والخدمات وعدالة توزيع الثروات؛ ورغم أنّ «ثورة الياسمين» أنجزت الكثير في ميادين سياسية مختلفة ولكنها تعثرت ـ كثيراً، أيضاً ـ في قطاعات الهموم الشعبية هذه، تحديداً.

يسار يحفظ شعاراته جيداً، ولا يتورع عن امتداح طاغية ومجرم حرب مثل بشار الأسد، ويصدح في مهرجاناته بأغنيات الشيخ إمام ومارسيل خليفة؛ ولكنه ينسى، أو يتناسى، الأسئلة الأبسط والأشدّ إلحاحاً على الوجدان الشعبي؛ وينخرط في صراعات داخلية وجيهوية طاحنة، تُستعاد خلالها أعتى الممارسات الستالينية المندثرة، ثمّ لا يصارع المحافظين من دعاة أحكام الإعدام، وأساطين المال المتلمذين في مدرسة سيليفيو برلسكوني، إلا تحت سقف... الـ1%!.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9672 الأحد 22 أيلول (سبتمبر) 2019 – 23 محرم 1441 هـ

انتخابات تونس: نتائج مُفاجئة وفائزان غير نمطيين

رشيد خشانة

بعد يوم اقتراع اتسم بالهدوء وغياب الصدامات والمشاجرات بين أنصار المرشحين، ظهرت النتيجة التي أفضت إليها ثاني انتخابات رئاسية في تونس بعد الثورة، يوم 15 من الشهر الجاري، فزعزعت صروحا وهدمت أحزابا وقزّمت زعماء وأفشلت مخططات. لم يسلم من «المذبحة» سوى شخصين خارجين عن النص، أولهما أكاديميٌ مستقلٌ يضع قدميه خارج المربعات الحزبية، والثاني مالك قناة تلفزيونية جعل منها مدفعيته الثقيلة لقصف النخب الحاكمة والمعارضة على السواء. وبات واضحا أن منح التونسيين غالبية أصواتهم لهذين المرشحين غير النمطيين، هو كناية عن رسالة شديدة اللهجة إلى السياسيين التقليديين، يمينا ويسارا، مفادُها قرف الجمهور من معاركهم البيزنطية، على مدى السنوات الخمس الأخيرة.

فرضت وفاة الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي في 25 تموز/يوليو الماضي، إجراء انتخابات مبكرة، لم يكن أحدٌ مُتهيئا لها، بما أن ميقات الانتخابات الرئاسية هو كانون الأول/ديسمبر المقبل. وأتت نتائج ثاني انتخابات رئاسية في تونس، بعد انتفاضة 2011، في مثابة هزة أرضية شديدة، ارتجت لها أركان البيوت السياسية، مثلما فوجئت بها العواصم الغربية، المتابعة للشأن التونسي. فشل رئيس الحكومة الأسبق حمادي الجبالي. أخفق رئيس الحكومة الانتقالية مهدي جمعة. انهزم رئيس الجمهورية الأسبق منصف المرزوقي. خسر منذ الجولة الأولى وزير الدفاع عبد الكريم الزبيدي، الذي كان من شبه المؤكد أنه سيمُرُ إلى الدور الثاني، وخسر معه الوزراء السابقون الياس فخفاخ ومحمد عبو وسعيد العايدي وعبيد البريكي وناجي جلول. سقط زعيما «الجبهة الشعبية» اليسارية حمة الهمامي ومنجي الرحوي، بعدما حصل كل واحد منهما على أقل من 1 في المئة من أصوات الناخبين. أخفق نائب رئيس حركة «النهضة» عبد الفتاح مورو، مثلما أخفقت زعيمة «الحزب الدستوري الحر»، وريث حزب الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي. وحلّ رئيس الحكومة الحالي يوسف الشاهد في الرتبة الخامسة، بينما لم تستطع وزيرة السياحة السابقة سلمى اللومي تحصيل 1 في المئة من الأصوات. وإجمالا، كان حصاد عشرة مرشحين قريبا من الصفر. أما الفائزان اللذان تأهلا للجولة الثانية، التي ستُجرى في غضون ثلاثة أسابيع، فهما أستاذ القانون الدستوري قيس سعيد (18.4 في المئة) ورجل الأعمال الشعبوي نبيل القروي (15.6 في المئة)، فيما حل في الرتبة الثالثة نائب رئيس حركة «النهضة» الاسلامية عبد الفتاح مورو (12.9 في المئة).

ساعات عصيبة

كانت الساعات التي سبقت الإعلان عن نتائج الدورة الأولى من الانتخابات، عصيبة وثقيلة، إذ جرت محاولات مُكثفة لتغيير النتيجة، المتمثلة في تأهُل سعيد والقروي، للدورة الثانية، من أجل إخراج الأخير من السباق، بحيلة قانونية، ما يُؤدي إلى حلول عبد الفتاح مورو، الفائز بالرتبة الثالثة، محلهُ. وطبقا لهذا السيناريو كان مورو سيتنافس مع سعيد ويهزمه في الدورة الثانية من الانتخابات. إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل، وإن عطلت الإعلان عن النتائج لساعات طويلة. ومع أن بعض مكاتب سبر الآراء، أكدت منذ مطلع العام الجاري، أن سعيد والقروي سيحُلان في المركزين الأول والثاني، لم يُصدق أحدٌ تلك التوقعات، لا بل استهزأوا بها.

ظلت أحزاب اليمين واليسار تتناطح في مجلس النواب، وتمادى قياديو الحداثيين والأصوليين في شتم بعضهم البعض على صفحات الجرائد وفي «الحوارات» التلفزيونية الصاخبة، إلى أن تقزز منها الجمهور واعتصم بالمسلسلات ومباريات كرة القدم. في ذلك الوقت، كان القروي يبني صورته حجرا فوق حجر في المناطق المحرومة من التنمية، مثل الشمال الغربي، منتقلا من قرية إلى أخرى، ليُسلم الفلاحات المُعوزات والرجال المُعدمين، أكياس المعكرونة والطحين. اشتغل القروي على محورين متكاملين: العطايا من جهة والتلفزيون من جهة ثانية، لأن الأخير يصنع صورة الأب الحادب على أبنائه، وهي الصورة التي كانت سرّ فوزه بالرتبة الثانية في الانتخابات. وأظهرت الإحصاءات أن غالبية الذين منحوه أصواتهم هن من النساء اللائي يُراوح سنهن بين الأربعين والستين، وتحديدا من اللائي لم يذهبن إلى المدرسة في حياتهن. أما الذين أعطوا أصواتهم لسعيد فهم من الشباب العاطل عن العمل، وتحديدا من فئة الخريجين، الذين لم يجدوا شغلا بعد مغادرة مقاعد الكليات.

صورة مضادة

تعكس هذه المرايا المتقاطعة شخصيتين متضادتين. نبيل القروي رجل أعمال يُدير شركة إعلانات ويملك قناة تلفزيونية، منحهُ إياها الرئيس الراحل زين العابدين بن علي، وهي مستمرة بالبث خارج القانون منذ سنوات. وقد ربطته علاقات حميمة برئيس الوزراء الايطالي الأسبق سيلفيو برلوسكوني، الذي طالما لاحقه القضاء في بلده بشبهات فساد. واعتمد القروي، الذي يُلاحقه القضاء بتهمة التهرب الضريبي، على جمعية أطلق عليها اسم ابنه، الذي فقده في حادث سير، للقيام بعمل يبدو خيريا، إلا أنه لم يكن سوى حملة انتخابية طويلة النفس. وربما لهذا السبب وصفته صحيفة «الغارديان» بأنه «برلوسكوني تونس». في المقابل ارتسمت لدى التونسيين صورة مضادة عن المرشح قيس سعيد، الذي يبدو زاهدا في المال والأعمال، ومتفرغا لمحاضراته في الجامعة، قبل أن يُحال على المعاش.

سياسيا تتعارض الشخصيتان على طول الخط، فقيما كان القروي عضوا مؤسسا في حزب «نداء تونس» الليبرالي، حافظ بعد الانتفاضة فتداول على سدة الحكم أربعة رؤساء في ثماني سنوات. وسيعرف التونسيون من هو الرئيس الخامس الشهر المقبل، بعدما يكون الرئيس الحالي بالوكالة محمد الناصر، استكمل الفترة التي حددها له الدستور. وعلى الرغم من الثغرات التي ظهرت في الدستور الجديد وبعض المهنات في القانون الانتخابي، اتفق المراقبون الدوليون، الذين تابعوا عمليات الاقتراع في مراكز عدة، على أن المناخ الذي جرت فيه الانتخابات برهن على نضج سياسي واحتكام للقانون ومرجعية الصندوق، على الرغم من غضاضة التجربة الديمقراطية اليافعة. كما لم ترتق المخالفات المسجلة إلى مخالفات جوهرية، تؤدي إلى إلغاء بعض النتائج بحسب غالبية المراقبين.

حاجز آخير؟

مُستقبل القروي وسعيد سيتقرران في غضون أسابيع قليلة، والأرجح أن أحزاب الائتلاف الحاكم ستُشكل كتلة تسدُ الطريق أمام سعيد، فيما انطلقت حملة واسعة من الأوساطُ التي عليها شبهات فساد لدعم القروي، الذي يُسوّق بوصفه الحاجز الأخير في طريق الأصولية الدينية والتشدد الاجتماعي، اللذين يُنسبان إلى سعيد. غير أن البروفسور عياض بن عاشور، أحد المثقفين الحداثيين البارزين، والعميد السابق لكلية العلوم القانونية والسياسية، حيث درّس سعيد، أكد في تعليق لاقى رواجا كبيرا، أن الفائز الأول في الانتخابات رجل محافظ، إلا أنه نصيرٌ للحريات بما فيها حقوق المرأة، وأنه لا يحمل فكرا سلفيا، مثلما يُردد منافسوه.

ربما ساعد الدعم الذي منحته «حركة النهضة» لسعيد في ترويج صورة غير دقيقة عنه، تضعه في خانة الأصوليين. وقد خرجت «النهضة»، وهي الحزب الأول في مجلس النواب، من الانتخابات الرئاسية، في دورتها الأولى، بخسارة ثقيلة بعد إخفاق مُرشحها المحامي عبد الفتاح مورو في المرور إلى الدورة الثانية. وحصد مورو 434 ألف صوت، وحلّ ثالثا، وهي نتيجة متواضعة قياسا على عدد الأصوات التي حصل عليها مرشحو الحركة في انتخابات «المجلس التأسيسي» (الجمعية التأسيسية 2011) والتي قاربت مليونا ونصف مليون صوت. وتراجع الحصاد في الانتخابات الرئاسية العام 2014 إلى 950 ألفا، وفي الانتخابات البلدية العام الماضي إلى 400 ألف صوت، وهذا يعني أنها خسرت 70 في المئة من قاعدتها الانتخابية بين 2011 و2019. وعزا كوادر في الحركة هذا التراجع إلى تأزم العلاقة بين القيادة والقواعد، والمركزية الشديدة في اتخاذ القرار، على ما قال زبير الشهودي مدير مكتب رئيس الحركة راشد الغنوشي سابقا، وعضو مجلس الشورى حاليا، في رسالة مفتوحة بثها بعد الإعلان عن نتائج الدورة الأولى من الانتخابات. ومع أن قيادة الحركة حضت القواعد على منح أصواتهم لمورو، أعطى كثيرون أصواتهم لقيس سعيد ورئيس الحكومة الحالي يوسف الشاهد والرئيس الأسبق منصف المرزوقي.

رابحون وخاسرون

الأرجح أن الانتخابات البرلمانية، التي تعتمد على القائمات، ستتأثر بنتائج الرئاسية، إذ أن الأصوات التي حصدها المستقلون ستذهب منطقيا إلى المرشحين على القائمات المستقلة. كما أن حزب «نداء تونس» المنافس التاريخي لـ«النهضة» تشظى إلى خمس كُتل مُتحاربة، ما يُنبئ بتراجع وزنه الانتخابي، بعدما كان حل على الرتبة الأولى في 2014. ولا يُستبعد أيضا أن تحصل قائمات بعض المرشحين الخاسرين في الرئاسية، على نتائج أفضل في الانتخابات البرلمانية، أمثال محمد عبو المنشق عن المرزوقي، وعبير موسي رئيسة «الحزب الدستوري الحر»، الذي يُعتبر امتدادا لحزب بن علي. بهذا المعنى سيكون البرلمان المقبل عبارة عن كشكول متعدد الألوان، من دون أن يستطيع حزب واحد الفوز بالأكثرية، ما قد يُدخل البلد إلى مرحلة عدم استقرار، في وقت يحتاج فيه إلى الأمان ووضوح الرؤية، لاستقطاب الاستثمارات الخارجية وتحريك عجلة التنمية، بُغية الابتعاد تدريجا عن منطقة التقلبات. ولعل هذا ما دعامجلة «إيكونوميست» إلى التعليق على النجاح الذي حققته تجربة الانتقال التونسية، حتى الآن، بقولها «في منطقة تشهد عودة الاستبداد، تدعو الانتخابات التونسية للفرح». وأساس هذه السيرورة هو استمرار التمّيُز الذي طبع شخصيتها السياسية والفكرية، بفضل التوازن بين ثلاث عائلات فكرية ترمز لثلاثة روافد هي: الحداثيون (بجناحيهم اليساري والليبرالي) والإسلاميون والمحافظون (أو الحرس القديم البورقيبي). وتُشكل خلخلة التوازن بين هذه الروافد تهديدا للنهج الوسطي الذي سمح للتجربة التونسية بأن تنجح حتى الساعة.

هزيمة المنظومة السياسية في تونس: الشعب يستعيد الشرعية وسيادة القرار

لطفي العبيدي

تُراكم تونس تجربتها الديمقراطية، ويفتح شعبها صفحة جديدة من تاريخ بلده يقدّم في سياقها درسا في الشرعيّة والسيادة وكيف بإمكانه استعادة القرار وسحب الثقة من منظومة حكم فاشلة اعتقدت أنّ التّمترس وراء أحزاب تقليدية والاستعانة بالمال والإعلام يمكن أن يمدّد فترة حكمها ويحافظ على مكانها ضمن واقع سياسي لم يدركوا بعد أنّ أغلب التونسيين وخاصّة فئة الشباب قد كرهته ولفظت الأحزاب السياسية وأجنداتها وأحزمتها الإعلامية والمالية على نحو ما أفرزته نتائج الانتخابات الرئاسية من تصويت عقابيّ كان بمثابة الصفعة القويّة لنظام جنّد كلّ طاقاته للبقاء في السلطة ونوّع مرشّحيه من وزير دفاع إلى رئيس حكومة إلى رئيس برلمان. وبالمثل دفعت المعارضة اليسارية والوسطية والليبرالية بأطيافها الواسعة الثمن هي الأخرى نتيجة انعزال قياداتها عن الواقع والمواطنة وثقافة الديمقراطية.

ما أشارت إليه نتائج الانتخابات كان رفضا لمنظومة بقواعد المنظومة ذاتها، انتظر الشعب التونسي كثيرا ولم يجن سوى البؤس والفقر، وردّة فعله بهذا الشكل تدلّ في رأي الأستاذ قيس سعيد على «أنّه يتطلّع إلى آفاق أخرى أرحب من تلك التي تقدّم له من قبل أطراف أخرى». وحاول أن يبتكر طرقا جديدة مختلفة عن القديمة. ومآلات السباق الرئاسي شكّلت صاعقة لجميع الأحزاب والوجوه التي تصدّرت الحياة السياسية في البلاد منذ ثورة 2011. وهي عملية شطب واضحة وفّعها التونسيون، وليست بمثابة «بداية لمرحلة من الضبابية في هذا البلد» كما كتبت صحيفة «لوموند» الفرنسية وغيرها من الصحف الغربية، بقدر ما هي تصحيح مسار، ورغبة في كنس منظومة سياسية فاشلة «حكومة» و«معارضة». لهذا استبعدها الشعب وكرّس الصندوق حكما، وأتى بشخصيات جديدة من خارج المنظومة، وأوصل قيس سعيد الأكاديمي المستقل إلى الصدارة يليه نبيل القروي المتمرّد على المنظومة التي كان صُلبها في مرحلة ما قبل أن يتصادم مع بعض أجنحتها وينتهي به الأمر داخل السجن.

الوفاء لأهداف ثورة يناير

قواعد السياسة والمعارك الانتخابية تغيّرت بشكل واضح، ووصول قيس سعيد الذي دخل المنافسة الانتخابية بلا سند سياسي أو دعم مالي وإعلامي تؤكّد أنّ الأحزاب الكبرى والأحجام السياسية لم تعد لها قيمة. والرهان يكمن في القدرة على الوصول إلى دواخل التونسيين ومخاطبتهم بأمانة ونكران ذات، والوفاء لأهداف ثورة يناير التي قامت ضدّ منظومة سياسية فاسدة ومافيا عائلات متنفّذة. ومن حَكم بعد الثورة وطيلة ثماني سنوات لم يغيّر من حال التونسيين في شيء، بل تعمّق الفساد وتفاقمت البطالة وغابت التنمية وترسّخت الرداءة السياسية في شكل سياحة حزبية ومهاترات ومشاهد تهريج داخل البرلمان ومحاصصة فئوية واقتسام غنائم ومعارك أيديولوجية وانقسام أحزاب وانتهازية سياسية ونرجسيات قيادة. جميع هذه الحقائق التي شاهدها التونسيون ولامسوا تعفّن مضامينها خلقت مسافة شاسعة بين الشعب والمنظومة السياسية حكما ومعارضة. وانتهى الأمر بعقاب جماعي شديد عبر التصويت الديمقراطي من قبل فئة هامّة أغلبها من الشباب لفائدة الأستاذ المستقلّ قيس سعيد، رأوا فيه تجسيدا للرّجل المثقف، نقيّ السريرة، نظيف اليد، يخاطب هموم الناس، وقادر على حمل الأمانة والوفاء لمطالب الثورة التي رفع احدى شعاراتها «الشعب يريد» كعنوان لحملته الانتخابية، وردّد شعارا آخر من رحم الثورة لحظة إعلان فوزه وكان «أوفياء، أوفياء لدماء الشهداء». وبين اللحظتين تجنّب الفائز في الدورة الأولى الحضور الإعلامي المكثّف ولم يكن له حزام سياسي ولا دعم منصّات إعلامية أو أموال طائلة كما هو حال مرشّحي منظومة الحكم المتمثّلين أساسا في رئيس الحكومة يوسف الشاهد ووزير الدفاع عبد الكريم الزبيدي ورئيس البرلمان عبد الفتاح مورو.

وتصدّر أستاذ القانون الدستوري النتائج هو تعبير واضح عن رغبة فئة شبابية كبرى في القطع مع منظومة الأحزاب السياسية العاجزة والفاشلة في الحكم، التي لم تعد تغري الناخبين، وخسرت ثقتهم بعد أن اكتشفوا الوعود الكاذبة للسياسيين وصراعاتهم الفئوية ورداءة أدائهم. وبالتالي بحث عدد واسع من التونسيين عن بديل من خارج المنظومة السياسية والحزبية، رجل قانون كفء ومجتهد في عمله ويحمل سمات الصرامة البادية، وقد تميّز بأدائه في المناظرات التلفزيونية للمرشّحين. وعلى وقْع تشظي الخريطة الحزبية ونجاح من هو مختلف عن السورة النمطية لرجل السياسة التقليدي، لم يتأثّر الناخبون بوعود أغلب المرشّحين التي نعتها سعيد بأنّها «كوعود كافور الاخشيدي للمتنبّي»، بل انتخبوا بقوّة من وعدهم بتوفير آليات قانونية تُحدث تغييرا جذريا في النظام السياسي، وتكسر مركزية السلطة وتحدّ من الفساد وامتيازات المسؤولين في مختلف مراكز القرار الإداري والسياسي، وذلك بإنشاء مجالس محلية في كلّ معتمدية (والمعتمدية مجرّد تقسيم إداري يرجع بالنظر إلى المحافظة) تتولّى اعداد مشروع التنمية المحلية، والمجلس المحلّي بحساب نائب عن كلّ عمادة (العمادة أصغر قسم إداري يعود بالنظر إلى المعتمدية) تكون له تمثيليّة في المجلس الجهوي أي «المحافظات»، والمجالس المحلية تختار من سيتولّى تمثيلها في السلطة التشريعية المركزية في باردو، مع التنصيص على أنّ الوكالة قابلة للسّحب في حال من لم يكن في مستوى الأمانة. وهو مشروع مختلف عن المجالس البلدية الموجودة التي أصابها العطب منذ نشوئها لقيامها على المحاصصة الحزبية والولاءات السياسية ومختلف أشكال الانتهازية البعيدة عن مصالح الجهات الحيوية ومطالب التنمية.

بمعنى هو تصوّر عمليّ لبناء قاعديّ يدعو لأن تكون السلطة في يد الشعب. وقد لقي تجاوبا لدى فئة هامّة من الناخبين ملّوا خطاب الأحزاب المفلسة ومنطقها الغنائمي في البحث عن المناصب والامتيازات الفئوية، وهو ما يفسّر انفضاض الجمهور من حولها. وبصرف النظر عن الفائز في الدور الثاني فإنّ المشهد السياسي التونسي يتّجه نحو كنس شوائب الساحة السياسية، ويعيد تشكيل الوعي المجتمعي على قاعدة الثوابت عن قيادات ثورية من أعماق الشعب تؤسّس لقواعد حياة سياسية جديدة لا قطيعة فيها بين الحاكم والمحكومين وتستعاد ضمنها ثقة الناس في مؤسسات الدولة والقائمين عليها.

لا خوف على المسار الديمقراطي في تونس الذي يتطلع إليه الجميع رغم حدّة التجاذبات السياسية وتوظيف البعض لأساليب غير ديمقراطية في التنافس الانتخابي. فالنتائج كشفت أن لا قيمة لكلّ ذلك، والقواعد الانتخابية التقليدية والشعارات القديمة سقطت أمام إرادة الضمير ونكران الذات، وهو مشهد عربي نادر تُراكم فيه تونس ديمقراطيتها عبر مناظرات تلفزيونية تقطع مع تقاليد الحكم المستبدّة، ولا أحد يدرك هوية الفائز قبل صدور النتائج مع استبعاد الحسم في الدور الأوّل. وجميعها دروس ونجاحات يمكن البناء عليها، ومن الجيّد أن تفرز الانتخابات التشريعية أيضا من يحملون رؤى بديلة وأفكار عمليّة لتحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي باعتبارها الضمانات الفعلية لتحصين الديمقراطية والوفاء للثورة وضحاياها.

نتائج الانتخابات الرئاسية التونسية: ثورة المهمشين ديمقراطيا

ماجد البرهومي

لم يستغرب كثير من الخبراء والمحللين من نتائج الدور الأول للانتخابات الرئاسية التونسية السابقة لأوانها رغم حالة الذهول التي أصابت البعض نتيجة لعدم قدرة مرشحي الأحزاب الكبرى على الوصول إلى قصر قرطاج. فالتصويت العقابي الحاصل كان متوقعا نظرا لحالة الغليان والنقمة التي أصابت الشارع التونسي نتيجة لتدهور أوضاعه المعيشية في السنوات الأخيرة بسبب سياسات فاشلة انتهجتها حكومات عاجزة عن التخطيط الجيد والسليم لسنوات مقبلة.

ففي تونس اليوم قرابة 640 ألف عاطل عن العمل منهم قرابة 260 ألفا من حاملي الشهادات العليا و1.7 مليون مواطن يعيشون تحت خط الفقر، وربما أكثر، باعتبار أن المعايير المعتمدة لتصنيف الفقراء غير واقعية وغير مواكبة للمعايير المعتمدة في أغلب دول العالم. كما أن البلاد تشهد ارتفاعا مهولا في الأسعار وتدهورا في القدرة الشرائية للمواطن وضربا للطبقة الوسطى التي تلتحق أعداد كبيرة منها بالفقراء، وأيضا بالأغنياء الذين ارتفعت أعدادهم بسبب انتشار التهريب وتبييض الأموال والتجارة الموازية.

ويؤكد أغلب خبراء الاقتصاد على أن الانتعاشة الطفيفة التي عرفها الاقتصاد التونسي في الأشهر الأخيرة وما نتج عنها من استقرار في سعر صرف الدينار مقابل العملات الأجنبية، هي ظرفية ولن تطول. وسبب هذه الانتعاشة هو أموال القروض التي ضخت من الخارج وتحديدا من أطراف مالية دولية وافريقية زادت من حجم المديونية لكنها وفرت رصيدا من العملة الصعبة جعل الدينار يستقر والسياسة يروجون إلى تحقيق معجزة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين.

وتجدر الإشارة إلى أن المنتخبين على بن علي قبل تسع سنوات قد تحركوا من أجل مطالب اجتماعية تتعلق أساسا بالتشغيل والكرامة والقضاء على الفقر والتهميش في الجهات الداخلية وفي الأحياء المنسية في المدن الكبرى في زمن كانت فيه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية أفضل بكثير مما هي عليه اليوم. لكن الطبقة السياسية الجديدة لم تتلقف الرسالة ولم تأخذ العبرة مما حصل للنظام الأسبق فعمقت الأزمة ووسعت الهوة إلى أن وصل الأمر إلى هذه الأرقام المفزعة التي جعلت الهم الأكبر لحكام اليوم هو الوصول إلى تحقيق الأرقام الاقتصادية والاجتماعية لسنة 2010 أي آخر سنة من زمن حكم بن علي.

لقد التف حكام تونس الجدد في فترتي الترويكا والتوافق على المطالب الاجتماعية للتونسيين وانصرفوا إلى اقتسام كعكة الحكم فيما بينهم بمنطق الغنيمة والترضيات لهذا الطرف وذاك، وتم انتهاج سياسة رأسمالية متوحشة استجابة لمطالب صندوق النقد الدولي، وتواصلت عملية الترفيع في الأسعار وفي الجباية من قبل الفريق الحاكم غير العابئ بالمواطن الذي يئن. وفي الأثناء واصل المهمشون والجياع انتفاضاتهم وفي مناسبات عديدة وبعثوا برسائل لمن هم في الحكم من أجل تصويب المسار لكن التجاهل والضحك على الذقون بمشاريع خيالية، على غرار كليات الطب الوهمية، كان هو الطاغي على سلوك الطغمة الحاكمة.

لقد كانت إرادة الناخب التونسي معبية في انتخابات سنتي 2011 و2014 فقد استدر فريق سياسي خلال الاستحقاق الأول عطف جماهير الناخبين بعذاباته في السجون زمن بن علي حتى بات معيار الوطنية في تلك الفترة كمية العذاب في ما يعرف بـ«سنوات الجمر» وكرد فعل على وجود فساد في النظام السابق صوت الناخبون لمن اعتقدوا أنهم «يخافوا ربي». أما في انتخابات 2014 فقد جلب فريق سياسي اهتمام الناخبين وصوتوا له من خلال تخويفهم من تغول حركة النهضة. وهكذا كانت إرادة الناخب غير حرة في الاستحقاقين وأثر فيها التعاطف من جهة والخوف من جهة أخرى، فكانت الخيارات الخاطئة.

وخلافا للاستحقاقين السابقين فإن إرادة الناخب في 2019 ليست معيبة وتبدو حرة لا مؤثر فيها إلا قناعته بقدرة المترشح على الإنجاز والتغيير. فقد بدا هذا الناخب غير عابئ بعذابات معارضي بن علي وصراعاتهم معه أو بالخوف من الإسلام السياسي. وينطبق هذا الأمر على المليون ونصف المليون مسجل جديد في الانتخابات والذين كانوا في التاسعة أو العاشرة من العمر يوم سقوط نظام بن علي ولا يهمهم سوى ضمان الشغل والكرامة بعيدا عن الإيديولوجيات الهدامة وكذا صراعات الجامعة.

وخير دليل على هذا الطرح نتائج الانتخابات الرئاسية التونسية التي تقيم الدليل على أن الأصوات ذهبت إلى قيس سعيد أستاذ القانون في الجامعة التونسية الذي التف حوله طلبته من أصحاب الشهادات والعاطلين عن العمل وأيضا نبيل القروي الذي اهتم من خلال جمعيته «خليل تونس» بالعمل الخيري ومد يد العون إلى الفقراء وضعاف الحال. وبما أن الدولة والأحزاب قد ترفعت عن لعب هذا الدور فقد وجد القروي طريقه إلى قلوب الجماهير من خلال العمل الخيري وما على بقية الأحزاب الحاكمة إلا أن تقوم بمراجعاتها في هذا الإطار وتتحمل مسؤولية تقصيرها.

باختصار، لقد تم تغيير بن علي بهبة شعبية في غياب التصويت الإرادي والحر، في حين كان هؤلاء أوفر حظا وحكموا في زمن الديمقراطية فخلعتهم الصناديق. وما على أسلافهم إلا أخذ العبرة باعتبار أن ما حصل في هذه الانتخابات هو ثورة حقيقية نقلت تونس من مرحلة الصراع الإيديولوجي إلى مرحلة الصراع الطبقي بعد أن قال المهمشون كلمتهم ديمقراطيا بعد أن قالوها تمردا وانتفاضة في 2011.

رئاسيات تونس: هل حسمتها الميديا قبل الصناديق؟

نزار بولحية

الآن وقد انتهت أولى جولات السباق نحو قصر قرطاج، وبدأ الاستعداد حثيثا لجولة الحسم، وجد بعض التونسيين وحتى المراقبين الخارجيين الوقت لاستيعاب ما شكل في نظرهم صدمة وبدأوا يقتربون بالتدريج من فهم تلك القوة المخملية التي صنعت إلى حد كبير مثل تلك النتائج التي اعتبرها كثيرون مفاجئة وغير متوقعة بالمرة.

لقد حصل ذلك مع الخروج المتواتر لبعض أنصار المرشح الرئاسي الذي خطف الأنظار بكلماته ومواقفه وشخصيته التي لم تكن توحي على الإطلاق على أن هناك آلة إعلامية جبارة تقف وراءه وتسنده، وأعلنوا عن وجودهم كممركز ثقل لم يعد في مقدور أحد أن يتجاهله أو يستهين به وكأنهم أرادوا أن يؤكدوا أن مرشحهم ليس معزولا أو وحيدا في مواجهة القصف الإعلامي الذي بدأ يستهدفه منذ لحظة فوزه في الجولة الأولى. فبعد يومين فقط من الإعلان الرسمي عن النتائج الأولية للانتخابات، أطلقت بعض الصفحات المنسوبة لقيس سعيد المرشح الأبرز في جولة الإعادة التي لم يحدد موعدها إلى الآن، حملة على موقع فيسبوك استهدفت صفحة لقناة الحوار التلفزيونية الخاصة في الموقع ذاته بعد أن نسب للقناة أنها هاجمت سعيد ومناصريه وقدحت فيه وفي نجاحه، وكانت النتيجة هي ان ما يقرب من مليون شخص ألغوا اعجابهم بصفحة قناة الحوار التونسي في ظرف قصير نسبيا بحسب ما فاخر به المشرفون على تلك الصفحات. وكان ذلك أقوى إنذار يوجه لما ظل يوصف بـ«إعلام العار» أو الإعلام المعادي للثورة. ولم يكن خافيا في المقابل أن أكثر كلمة ترددت في الساعات الأولى من صباح الأحد الماضي في تونس أي يوم الانتخابات الرئاسية هي العزوف. وبالفعل فقد كانت نسب مشاركة الشباب مفزعة ومخيبة ومربكة من حيث ضعفها ما جعل النداءات تتهاطل في وسائل الإعلام الرسمية للحث على الذهاب إلى صناديق الاقتراع والقيام بما وصف بالحق والواجب في اختيار الرئيس. لكن من حكم في الاختيارات ومن رجح كفة مرشح على الآخر؟ هل فعلها الشباب الذي صوت في الساعات الأخيرة التي سبقت غلق الصناديق وكان هو من غير المعادلة بالكامل وحدد بشكل أساسي معالم الخريطة السياسية والانتخابية الجديدة؟ وهل أن جمهور وسائل التواصل الاجتماعي الذي كانت الشريحة الأكبر والأعرض منه من اليافعين والشباب هو من قلب الموازين بعيدا عن قناعاته أو معرفته بالأفكار والبرامج التي عرضها الفائزان في الاقتراع الأول؟ ثم هل أن المال الفاسد ووسائل الإعلام التقليدية والبديلة لم يكونا وسط كل ذلك سوى محرك تقليدي متقادم أمام ذلك المحرك القوي والحديث للاختيارات التي كانته تلك الميديا الشعبية الخارجة عن كل سيطرة أو ضبط؟

لقد وضعت كل قواعد المهنية والحياد والمساواة بين المترشحين في تلك الانتخابات على محك تجربة فريدة من نوعها لم يعرفها من قبل لا الإعلام العمومي ولا الخاص في تونس، غير أن الفائزين في الدور الأول لم يكونا لا مستفيدين منها ولا خاسرين أيضا، بل لعلهما لم يهتما أصلا لوجود أو غياب ما قد يعتبرناه حقا لهما في أن يسمعا صوتهما عبر وسائل الإعلام العمومي مثل غيرهما. لقد كان أحدهما وهو القروي، محروما من ذلك بحكم أنه كان سجينا وهي حالة كاريكاتورية فريدة، وكان الثاني مقصيا ومبعدا لحد كبير اللهم إلا من حضور المناظرة التلفزيونية الأولى من نوعها في تونس أو الحديث في بعض المقابلات النادرة مع بعض الإعلاميين. وما فعله الاثنان هو أنهما ركزا كل جهدهما في المقابل على وسائل وبدائل أخرى للتواصل مع قواعدهما وربما فهما وطبقا باكرا في سعيهما نحو ذلك المثل المأثور «خالف تعرف». لكن هل كان يكفي أن تخالف لتعرف حتى تفوز في الدور الأول من انتخابات رئاسية وتكون مرشحا بارزا لكسبها في جولة الإعادة؟

لعل النتائج الأولية للاقتراع الرئاسي الذي جرى الأحد الماضي في تونس جاءت لتدلل على ان ذلك لم يعد في بلد عربي ظل لعقود طويلة أسير نمط وقوالب مكررة ومتماثلة كقوالب السكر بالأمر المستبعد تماما أو المستحيل بالمرة بعد أن تمكن مرشحان مخالفان للمألوف وخارجان عن السائد من بين أربعة وعشرين آخرين تقدموا للسباق الانتخابي، من ترويج بضاعة جديدة في السوق الانتخابي جلبت لهما حصادا وافرا من الأصوات ومكنتهما من المرور إلى دور سيقرر فيه التونسيون أي واحد منهما سيكون رئيسا للدولة. ولم يكن تمايزهما واختلافهما بالطبع هو السر الوحيد في سطوع نجميهما ولكنه كان على الأقل واحدا من بين أهم أسباب قد تفسر ما يبدو الآن في تونس ظاهرة يحار الخبراء والمحللون في شرحها أو فهمها وهي ما باتت تدعى بظاهرة قيس سعيد ونبيل القروي. ومع ذلك فان صعود الأكاديمي والمليارديرواكتساحهما المفاجئ لصدارة النتائج أمام مرشحين آخرين من أحزاب قوية أو أمام شخصيات اعتبارية ذات ثقل رمزي بقي شبه لغز في تونس. لقد كان الأمر مفهوما إلى حد ما مع نبيل القروي رجل المال والأعمال ومالك قناة «نسمة» التلفزيونية الخاصة ولكنه بقي غامضا بعض الشيء مع قيس سعيد الأستاذ الجامعي الذي لم تعترها عدة تقارير سبب تعطل الاقتصاد التونسي لأنها تريد بكل السبل احتكاره، استطاع ان ينجح في مجال المبادرة الاقتصادية وان يجعل من قناة «نسمة» القناة الأولى في تونس من حيث نسب المشاهدة علاوة على انه جعل هذه القناة تبتعد عن الابتذال والإسفاف الذي سقطت فيه قنوات أخرى، ختامه عن النتائج الأولية للانتخابات والتي لم تكن العملية الانتخابية برمتها وربما يدخل البلد بأكمله في دوامة يصعب الخروج منها بسلام. غير ان الثابت هو ان رأس المال لعب دورا مهما في العملية وما زالت الشبهات تتردد إلى اليوم بقوة في أن المرشح الرئاسي نبيل القروي صاحب القناة التلفزيونية الخاصة «نسمة» والذي كان يقوم بنشاطات «خيرية» في المناطق الداخلية من تونس ويروج لها عبر قناته، قد استغل ذلك في الإعلان والدعاية لحملته الانتخابية. وكان من الواضح ان جمهور القروي ينحصر بشكل عام في ربات البيوت والسيدات غير المتعلمات اللواتي كن يتابعن المسلسلات التلفزيونية على قناة «نسمة» ونشاطات صاحب القناة الخيرية والإنسانية في الوقت نفسه. وعلى الطرف الآخر كان تمويل حملة المرشح الرئاسي الثاني قيس سعيد بسيطا ومحدودا للغاية ولعل هذا واحد من أسرار نجاحه. فالتونسيون عموما باتوا يتوجسون من الحملات الإعلانية باهظة الكلفة وربما ينظرون لأصحابها على أنهم غير جديرين بالثقة. ولعل الجمهور المستهدف من حملة سعيد وهو الشباب، كان أكثر من تزعجه تلك الحملات الباذخة التي يراها جوفاء ومليئة بالوعود الكاذبة.

لقد تجاهل الجميع قدرته على الوقوف مع رجل لا يتربع على عرش امبراطورية مالية وإعلامية، بل لا يملك إلا القليل من الموارد ويعرف كيف يوجه له خطابا واضحا وجذابا بعيدا عن اللغة الخشبية المستهلكة. ولكن ذلك الشباب هو من صنع بالأخير المفاجأة أو ظاهرة قيس سعيد. فبأقل الموارد ومن دون الحاجة لا سأطين الاعلام أو لكبار المختصين في شؤون الميديا، كانت صفحات التواصل الاجتماعي هي البديل الذي دق المسمار الأخير في نعش وسائل الإعلام والدعاية التقليدية وأطاح بنفوذها وتأثيرها على الناخبين وعلى الرأي العام. وهكذا ظهرت الصورة مليئة بالكثير من الدلالات لنرى في النهاية خلف المرشحين لجولة الإعادة جيلين مختلفين يتقابلان معا وهما الكهول والشيوخ وراء تلفزيون «نسمة» والشباب واليافعين وراء صفحات فيسبوك. أما من سيقول الكلمة الفصل، فربما ستفعلها الميديا كما فعلتها في الدور الأول ثم تتبعها الصناديق وتبوح بباقي الأسرار.

رئاسيات 2019: حمّام بارد

هشام الحاجي

يبدو أن الشعب التونسي قد اختار مرة أخرى أن يكون وفيا لميزة «مراوغة» النخب و«تكذيب» التوقعات. فقد فتح باب «الربيع العربي» في الوقت الذي كان الجميع بمن فيهم أشد المعارضين رفضا لنظام بن علي يعتبرون نظامه مستقرا ويبحثون عن بعض أشكال «التوافق» معه. وعلى امتداد السنوات الأخيرة وصل الشعب التونسي إلى حافة الهاوية من دون أن يقطع شعرة معاوية ويفتح الباب أمام الفوضى. ولا شك أن «وفاء» الشعب التونسي لهذه الميزة لا يكفي لوحده لتفسير نتائج الدور الأول من الانتخابات الرئاسية. ذلك أن النتيجة التي كان لها فعل الصدمة على الطبقة السياسية لها أسبابها السياسية المباشرة والسوسيولوجية العميقة. ففي السياسة سبقت هذه «الصدمة» وقائع لم تعرها الطبقة السياسية اهتماما وتجاهلتها. يمكن في هذا الإطار الإشارة إلى التراجع اللافت في نسب التصويت التي كان أدناها في انتخابات المجلس الوطني التأسيسي لتشهد هبوطا متواصلا في انتخابات 2014 الرئاسية والتشريعية وفي الانتخابات البلدية لسنة 2018 وأخيرا في الدور الأول للانتخابات الرئاسية. تساوق هذا التراجع مع صراعات جانبية عاشتها الأحزاب السياسية وجعلتها تعيش انقسامات و«تجاذبات» لا علاقة لها بمشاغل التونسيين والتونسيات. وقد أدارت الطبقة السياسية ظهرها للشعب التونسي بعد أن أغرقته في وعود برخاء سريع وبجنة أرضية تملك مفاتيحها، ولكن زين العابدين بن علي كان يمنعها من استعمالها. هذه الوضعية التي تزامنت مع تنامي الحديث عن تنامي الفساد وضلوع النخب السياسية في الزبونية والفساد واستغلال النفوذ إلى جانب عجز واضح عن حلحلة الأوضاع وهو ما يعني بالنسبة لقطاعات واسعة من التونسيين والتونسيات في أفضل الحالات إعادة إنتاج نظام ما قبل 14 كانون الثاني/يناير 2011.

وجهت الاحتجاجات الشعبية والاعتصامات رسالة للنخب لكنها لم تلتقطها، كما لم تلتقط نتائج الانتخابات التشريعية الجزئية في ألمانيا التي هزم فيها مرشح «هامشي» نجل رئيس الدولة وتعامت عن سيطرة المستقلين على الانتخابات البلدية. وأبدت الطبقة السياسية التي هيمنت سواء كانت في السلطة أو المعارضة صمما غير مفهوم في التقاط ما وجهته لها فئات واسعة من المتعلمين وصغار الفلاحين و «المهمشين» ولم تحسن قراءة مظاهر الإحباط والتبرم التي عبر عنها شبان وكهول وشيوخ تدهورت وضعياتهم عوض ان تتحسن أو على الأقل تبقى كما كانت قبل رحيل بن علي. وإلى جانب هذه العوامل فإن «ارتباك» الأحزاب السياسية في الإعداد للانتخابات الرئاسية يفسر بعض أسباب «الدش الاسكتلندي» ويفسر سبب تقدم قيس سعيد ونبيل القروي. لم يعلن مهدي جمعة ويوسف الشاهد وعبد الكريم الزبيدي وعبد الفتاح مورو عن ترشحهم إلا أسابيع معدودة قبل انطلاق السباق في حين كان نبيل القروي وقيس سعيد يستعدان لهذا الموعد منذ سنة 2016 وان كانا قد اعتمدا أسلوبين مختلفين في ما بينهما وعن بقية المترشحين. وهناك نقطة أخرى ذات علاقة بالحقل السياسي يمكن ان تفسر النتيجة الحاصلة وتتمثل في تراجع مصداقية الإعلام السمعي نتيجة «ممارسات» حكومة يوسف الشاهد مع الإعلام العمومي والتي تعيد التذكير بـ«براديغم» بن علي في توظيف الإعلام لإنتاج خطاب إيجابي عن السلطة وقنوات إذاعية وتلفزيونية خاصة توجهها حسابات مراكز قوى ونفوذ. ويعتبر أغلب التونسيين أن بعضها كقناة «الحوار التونسي» يلعب دورا في نسف منظومة القيم التي تسند البناء المجتمعي التونسي. هذه المعطيات السياسية متضافرة هي التي تفسر «رصاصة الرحمة» التي أطلقها الناخبون التونسيون على طيف واسع من السياسيين الذين يتوزعون على الخريطة السياسية من اليمين إلى اليسار ولكن فقدوا القدرة على تقديم حلول حقيقية لأبسط مشاكل التونسيين. وهذا يعني ان ما حصل يوم 15 أيلول/سبتمبر الجاري لا يختلف في دلالاته عن الذي حصل يوم 11 كانون الثاني/يناير 2011 من حيث التعبير عن وصول منظومة إدارة الشأن العام إلى منتهاها ومن حيث التطلع إلى تغيير حقيقي. وقد يبدو ما حصل يوم 15 أيلول/سبتمبر 2019 أعمق في دلالته وتداعياته لأنه قد يتجاوز مستوى الرغبة في إحداث قطيعة مع المنظومة والنسق إلى إحداث قطيعة مع المنظومة التي أدارت أهم مفاصل اللعبة السياسية منذ استقلال البلاد في اذار/مارس 1956. ومن هذه الزاوية يمكن التوقف عند بعض جوانب «الجاذبية الانتخابية» عند قيس سعيد ونبيل القروي. استفاد الرجلان ولأسباب مختلفة من صمتهما زمن «الثورة الانتخابية» التي مارسها أغلب المترشحين ولم ينجح في تجنبها إلا مهدي جمعة والياس الفخاخ. قيس سعيد قاطع اختيارا وسائل إعلام فقدت الكثير من مصداقيتها ومن ألقها وأما نبيل القروي فقد حرمته إجراءات قضائية أثارت الكثير من الانتقادات حول سلامتها واستقلاليتها من حريته وجعلته يتابع حملته الانتخابية من وراء القضبان. رفض «النخب السياسية» لنبيل القروي وقيس سعيد واستهدافهما ماديا من خلال سجن القروي والسخرية من الاثنين خلق قاعدة للتعاطف معهما لدى فئات واسعة من الناخبين والناخبات. ولا يتوقف الأمر عند التعاطف فقط بل أصبح تماهيا مع شخصين في ملامح شخصيتهما ما يفسر هذا التماهي ويفرضه. من المهم هنا ابراز ما يفسر هذا التماهي. نبيل القروي وقيس سعيد يمثلان اوراهصات قطيعة ممكنة مع نسق أنتج الفشل المتكرر ولم يعد يبحث إلا عن إعادة إنتاج ذاته. طالما لم يبت القضاء نهائيا في التهم الموجهة لنبيل القروي فإنه يتمتع بقرينة البراءة علاوة على انه حتى وان افترضنا جدلا انه مذنب فإن عددا كبيرا من التونسيين تحوم حولهم الشكوك نفسها من دون ان يلاحقهم «سيف القضاء». نبيل القروي وقيس سعيد متخففان من إرث مواجهة النظام السابق الذي تحول إلى عائق يحول دون نظر الطبقة السياسية للمستقبل وكلاهما يتحرك باستقلالية لافتة تجاه كل الأحزاب، وكلاهما لا يستند إلى عائلة سبقته في ممارسة العمل السياسي ولا يبحثان عن حاضنة جهوية وهو ما جعلهما أقدر على النفاذ إلى أعماق المجتمع التونسي. والرجلان رغم اختلافهما في أشياء عدة يمثلان نموذج نجاح لفئات واسعة من الشباب.

نبيل القروي الذي لم يرث مالا وليس سليل العائلات التي تعتبرها عدة تقارير سبب تعطل الاقتصاد التونسي لأنها تريد بكل السبل احتكاره، استطاع ان ينجح في مجال المبادرة الاقتصادية وان يجعل من قناة «نسمة» القناة الأولى في تونس من حيث نسب المشاهدة علاوة على انه جعل هذه القناة تبتعد عن الابتذال والإسفاف الذي سقطت فيه قنوات أخرى، هذا دون أن ننسى انه قد أعاد للتضامن بين التونسيين بريقه وأقام شبكة صلبة من التفاعل بين الراغبين في مساعدة المحتاجين وهؤلاء الذين لم تتعامل معهم الأحزاب إلا بوصفهم «خزانا انتخابيا» يشترى عند كل موعد انتخابي. قيس سعيد نموذج نجاح المثقف والمتعلم وهو «المتعفف الزاهد» المعرض عن المال العام والرافض للتمويل الأجنبي والاستاذ الذي يتماهى مع آلاف الطلبة والخريجين الذين وقع اقصاؤهم من سوق الشغل ومن قيادة الأحزاب السياسية ومن صدارة المشهد الاجتماعي وهو السياسي الذي ابتعد عن المال السياسي وعن شعوذة شركات أتصال تتوهم ان رجل السياسة هو منتوج معلب لا بد له من مظهر مصطنع حتى يمكن تسويقه. قيس سعيد ونبيل القروي أدركا ان الفعل السياسي انفتح على محددات جديدة من أهمها إلى جانب القرب الحقيقي الذي لا يخلو من التزام عاطفي العامل الجيلي وهو ما جعل قيس سعيد أقرب حسب نتائج التصويت من الشباب ونبيل القروي من الكهول والشيوخ وما يجمع بين الشريحتين هو تنامي الشعور بالهشاشة والخوف من المستقبل.

في خريف تونسي ساخن

تونس: حتى ننأى بالانتخابات عن ثنائية الغنيمة والعقاب

عبد الباسط بن حسن

دخلت تونس في مرحلة جديدة من مسار الانتقال الديمقراطي بتنظيم الانتخابات الرئاسية السابقة لأوانها والتشريعية لسنة 2019. وأكدت مختلف تقارير المنظمات الوطنية والإقليمية والدولية التي راقبت العملية الانتخابية في الدورة الأولى من الانتخابات الرئاسية السابقة لأوانها على أن هذه المناسبة استوفت عددا هاما من شروط الانتخابات النزيهة والديمقراطية والشفافة.

ولعلّ المتمعّن في تطورات المسار الانتقالي منذ سنة 2011 يلاحظ بداية حقيقية لتأصيل عميق لمفهوم المشاركة السياسية داخل المجتمع التونسي وحرصا من عدد كبير من المواطنين والمواطنات على القيام بواجبهم الانتخابي في كنف حرية الإرادة والمسؤوليّة. وتجلّت معاني المسؤولية مثلا في سير عملية الاقتراع بشكل طبيعي عموما واعتراف بنتائج الانتخابات منذ 2011 بشكل يقطع مع عقلية التشكيك والمؤامرة. وتجلى تأصيل الثقافة الديمقراطية وممارستها في وضع أسس مؤسساتية للانتخابات خاصة الهيئة العليا المستقلة للانتخابات وقيام منظمات المجتمع المدني بعمل مواطني كبير من أجل توعية المواطنين بقضايا المشاركة السياسية وضمان مراقبة فعلية لسير العملية الانتخابية.

إنها المرة الأولى في تاريخ تونس التي ننتقل فيها من نظام احتكار المشاركة السياسية من طرف منظومة الاستبداد إلى مرحلة جديدة قد تنتج ديمقراطية متكاملة.

ولكن هذه التطورات الايجابية لا يمكن أن تحجب عنّا مشاكل ومخاطر ظهرت على مدى الحملة الانتخابية الأولى من غياب لنقاش عميق حول قضايا البلاد ومستقبلها وغلبة للتجاذبات والعنف اللّفظي الذي كاد يتحول أحيانا إلى عنف مادي. ولا ننسى أن الحملة عرفت تواصلا لمظاهر الاخلال بقواعد الانتخابات من مال سياسي مشبوه ودعاية غير قانونية وعدم احترام للقرارات.

وان عزوف عدد كبير من المواطنين والمواطنات ظاهرة مقلقة زادت من تشكيك البعض في جدوى انتخابات لا يشارك فيها الجميع.

إننا أمام مرحلة مفصلية من تاريخ الانتخابات في تونس تتطلب وقفة جماعية لمعالجة الخروقات وضمان تأسيس نهائي لمنظومة انتخابية تُحترم فيها قواعد دولة القانون، انتخابات لا يقع فيها استعمال الإرادة الشعبية واحتواؤها لصالح من يريدون كسب الغنائم أو من يريدون فقط معاقبة الحاكمين.

نريدها انتخابات تجسد الحق في المشاركة السياسية في جميع أبعاده وتأخذنا على طريق الديمقراطية. ولذلك تقتضي المرحلة أن نعيد التأسيس لثقافة سياسية عميقة تؤمن بمجموعة من القيم والمبادئ مثل دولة القانون والمؤسسات والحريات والعدالة. ثقافة سياسية لا تقتصر على النخب بل تنشر عن طريق التعليم والإعلام وأنشطة الثقافة الشعبية. كما تقتضي المرحلة مواصلة تأسيس منظومة متكاملة سياسية وقانونية تضمن المراقبة والمحاسبة للجميع كما تضمن شعور الإنسان بوجود المساواة والعدالة.

يعيش عالمنا اليوم مجموعة أزمات كبرى بسيطرة التوجهات الشعبوية على السياسة وتفاقم اللاعدالة والتمييز في المجتمعات وإنكار الكونية في الثقافة وغلبة المصالح المتوحشة في الاقتصاد وتنامي نزعة استعمال الحرب والعنف في حل النزاعات محليا وإقليميا ودوليا.

مرحلة الأزمات هذه تطرح أسئلة جوهرية على وجودنا. فهل نحن ذاهبون إلى عالم أكثر إنسانية وكرامة أم نحن ذاهبون نحو مزيد من العنف والإقصاء والتهميش؟

سؤال يعيدنا إلى جواب منظومة القيم ومن بينها قيمة المواطنة. نحن بحاجة في تونس وفي بقية البلدان العربية إلى افتتاح عصر المواطنة الحقّة التي تقطع مع ثقافة الاستبداد وتتجه نحو ثقافة الكرامة.

هذا زمن الديمقراطية الذي نسعى إلى تأسيسه. زمن طويل صعب ولكنه السبيل الوحيدة نحو استعادة إنسانيتنا.

الأغلبية الصامتة تقود ربيعا جديدا في تونس

حسن سلمان

عاشت تونس الأحد «ربيعا انتخابيا» قادته الأغلبية الصامتة عبر ثورة الصناديق التي وضعت مرشّحين من خارج المنظومة السياسية، هما الخبير الدستوري قيس سعيّد ورجل الأعمال نبيل القروي (مرشح حزب قلب تونس) في الدور الثاني للانتخابات الرئاسية.

لم يكن مفاجئا تصدّر الرجلين للانتخابات الرئاسية، في ظل تراجع ثقة التونسيين بالطبقة السياسة الموجودة، في السلطة والمعارضة، والتي دأب رموزها على تقديم وعود «خلبية» تتصاعد وتيرتها خلال الحملة الانتخابية وتسقط بعد الوصول للسلطة.

لا شك أن أسباب عدة ساهمت في صعود قيس سعيد ونبيل القروي، أهمها الطريقة التي اعتمدها كلا الرجلين في مخاطبة التونسيين، وخاصة الأغلبية الصامتة التي فضلت في السنوات الأخيرة، النأي بنفسها عن السياسة وأهلها، بل إن نسبة كبيرة ممن التقيناهم في الشوارع التونسية، أكدوا أنهم لن يشاركوا في الاستحقاق الرئاسي لأنهم - ببساطة - يعتبرون أغلب المرشحين «لصوصا يبحثون عن المال والسلطة» هكذا عبّر أحد سائقي التاكسي.

لقد عرف سعيد كيف يستغل خبرته القانونية وقدرته الخطابية العالية لرسم «كاريزما» خاصة به، حفرت عميقا في وجدان التونسيين عبر خطاب مُقنع يواكب حياتهم اليومية ويقدم حلولا لمشكلاتهم، ويسوّق له كرجل قوي يعرف كيف يدير دواليب الدولة، دون أن يتلوث بالعبة السياسية التي تُدار بالإعلام والمال الفاسد.

وخلال سنوات عدة ردد آلاف الشباب التونسيين مقولات معروفة لسعيد من قبيل «الدستور الحقيقي هو ما خطّه شباب الثورة على الجدران» و«هذه الجمهورية هي جمهورية واحد مكرر» و«تونس تعيش أيلولا أسود بسبب قانون المصالحة»، وهو ما يفسر قدرة سعيد على إقناع الأغلبية الصامتة بالتصويت له (46 في المئة من قاعدته الانتخابية ممن لم يصوتوا في انتخابات 2014).

فيما عرف نبيل القروي كيف يستقطب التونسيين البسطاء الذين أغدق عليهم «عطاياه» من مساعدات مادية ومعونات غذائية وخدمات صحية قدمتها الجمعية الخيرية «خليل تونس» التي يمتلكها، وهو ما دفع أحد المراقبين للقول إن نبيل القروي حل مكان الدولة في الجهات الفقيرة والمهمّشة. فبينما أدارت الحكومة ظهرها للفقراء والمهمّشين، كان نبيل القروي حاضرا لإعانتهم و«التخفيف من معاناتهم» وهذه حقيقة وإن كان باطنها «دعاية انتخابية».

إضافة إلى ذلك، عرف قطب الإعلام كيف يستقطب عددا كبيرا من التونسيين عبر المسلسلات التركية التي تبثها قناته الخاصة «نسمة»، وتخللها عادة مقاطع دعاية تسوّق للقروي ولأعماله «الخيرية»، ولذلك كان من الطبيعي ألا تتعرف إحدى النساء في منطقة مهمّشة على رئيس الحكومة، يوسف الشاهد، حيث خاطبته بقولها «يرحم خليل»، وهي عبارة يرددها الفقراء حين تلقيهم معونات من جمعية نبيل القروي، وترمز إلى ابنه الرحل خليل.

كان من الطبيعي أن يتصدر اسما قيس سعيد ونبيل القروي استطلاعات الرأي بشأن نوايا التصويت حول الانتخابات الرئاسية، طيلة عام كامل، إلا أن الطبقة السياسية لم تُحسن قراءة هذه النتائج بشكل جيد، لاستغلالها في تعزيز صفوفها وتعديل خطابها السياسي لإقناع التونسيين ببرامج جدية أكثر قُربا من المواقع.

وهذا ما يفسّر استمرار الانقسام بين الأطراف السياسية المشاركة في الانتخابات الرئاسية، حيث فشلت محاولات أطلقها راشد الغنوشي، رئيس حركة النهضة ومنصف المرزوقي رئيس حزب الحراك، لاتفاق ما يسمى «أحزاب خط الثورة» على مرشح واحد، كما تواصلت الانقسامات بين أحزاب المنظومة القديمة، فيما فشلت الأحزاب الوسطية واليسارية في الاتفاق على مرشح واحد.

نتائج الدور الأول من الانتخابات الرئاسية الأخيرة تؤكد أن الطبقة السياسية لم تصغ حتى الآن إلى الرسائل المتواصلة من الناخبين التونسيين، والتي بدأت بفوز ياسين العياري (مستقل) في الانتخابات البرلمانية الجزئية عام 2018 متفوقا على مرشح الحزب الحاكم، واستمرت بفوز المستقلين بالمركز الأول في الانتخابات البلدية في العام ذاته، وقد تواصل أيضا في الانتخابات البرلمانية، وهو ما يعني أن على الطبقة السياسية القائمة القيام بمراجعة جذرية، قبل استبدالها من قبل الناخبين بطبقة أخرى تعبّر عن الناس وتحاول إيجاد حلول حقيقية للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية الكبرى في البلاد.

الخصوصية التونسية في ثورات الربيع العربي تجنح في الجولة الأولى نحو أكاديمي طوباوي ورجل أعمال

إبراهيم درويش

أكملت تونس جولة انتخابية ناجحة في مسيرتها نحو التحول في النظام السياسي واستكمال استحقاقات ثورة الياسمين 2010–2011 وشهدت الجولة الأولى التي عقدت في 15 أيلول (سبتمبر) مشاركة واسعة من الأحزاب التقليدية والمرشحين غير التقليديين والأسماء التي لم يسمع بها التونسيون في السابق إلا ربما عبر التعليق على التلفاز أو لجرد ملكية أحدهم شبكة تلفازية.

والمفارقة أن الانتخابات التي عجل في تنظيمها وفاة الرئيس الباجي قايد السبسي، الشخص الذي لعب دورا في الحفاظ على عملية التحول التونسي من الديكتاتورية والدولة القمعية إلى بلد متعدد الأحزاب وتحفظ فيه حرية الرأي، استكملت جولتها الأولى ليعلن عن وفاة الرئيس التونسي زين العابدين بن علي في منفاه في السعودية والتي خرج منها بعد الثورة. وزين العابدين هو الرئيس الثاني الذي عرفته تونس على مدى نصف قرن أو يزيد منذ الاستقلال. وبعد رحيله قادت مجموعة من ضحايا نظامه والمعارضون له في الداخل والخارج وبقايا من مؤسساته دفة الحكم، إلا أن المهمة كانت أكبر من الحكام الجدد وستظل عصية على الحاكم القادم ومن هنا كانت نتيجة الجولة الأولى لتعبيرا عن إحباط الشارع التونسي بالنخبة الجديدة أو التي خرجت من ركام النظام السابق، فالتحديات كبيرة والديمقراطية هشة وحزمة الإصلاحات التي أشرف عليها يوسف الشاهد، رئيس الوزراء السابق والخاسر الأكبر في الجولة الأولى، أرهقت كاهل التونسيين وقادت لتظاهرات من جماعات الشغل وبقية منظمات المجتمع المدني.

ومهما كانت النتيجة الحالية فإنها تظل تعبيرا عن خصوصية التجربة التونسية من بين انتفاضات الربيع العربي. وقد يكون من نافل القول ترديد ما يقال عادة في هذا السياق من أن تونس حافظت على كينونتها الداخلية وقاومت التدخلات الخارجية التي أطاحت بمنظومة دول عربية قوية وقادتها للهاوية أو حولتها إلى دول تابعة وهمشت دورها رغم قوتها البشرية والاقتصادية ورياديتها في الأفكار وصناعة الصور، ونقصد هنا مصر التي استبدلت نظاما قمعيا بنظام تفنن في القتل وكتم حرية الرأي وتأكيد صورة الفرد والفرد وحده.

لكل هذا جاءت النتائج الأخيرة والتي أعلنت عنها لجنة الهيئة العليا المستقلة للانتخابات بعد أيام من فرز الأصوات لتؤكد ما قالته مؤسسات لاستطلاع الرأي عن تقدم مرشحين أحدهما سجين بتهم التهرب الضريبي وتبييض الأموال، أطلقت عليه الصحافة الغربية اسم برلسكوني تونس، لأنه رجل أعمال ويملك شبكة تلفزيونية يروج من خلالها لأعماله الخيرية. والثاني لم يكن معروفا إلا في أطر الجامعة التي يدرس فيها كأستاذ للقانون ويعرف هذا بروبوكوب أو الروبوت، نظرا لطريقته المتقطعة في الكلام وتحذلقه واستخدامه العربية الفصحى في خطابه. وكل من قيس سعيد ونبيل القروي مرشحان من خارج المؤسسات الحزبية أو قوى السلطة والمال والأمن في الدولة.

أسباب

واستطاعا التقدم لعدد من العوامل، منها محاولة الناخب التونسي معاقبة النخبة الحاكمة إما بالبحث عن وجوه جديدة غير التي انتجتها ثورة الياسمين أو بعدم المشاركة أساسا، فنسبة الناخبين لم تتجاوز عن 45 في المئة في الجولة الأولى، وهي أقل بنسبة 18 في المئة عن آخر جولة انتخابية رئاسية عام 2014. وقد تزداد المشاركة في الجولة الثانية التي ستعقد في 12 تشرين الأول (أكتوبر) وعندها قد تنتخب تونس مرشحا سجينا يضع تحديات على المؤسسة الدستورية بسبب التحقيق الجنائي فيه أو رئيسا غير مجرب لا يعرف عن أفكاره ومواقفه الكثير. وبهذا خرج مرشح حزب النهضة عبد الفتاح مورو الذي لم يحصل إلا نسبة أعلى قليلا من 12 في المئة وكان «العصفور النادر» الذي تحدث عنه زعيم النهضة الشيخ راشد الغنوشي وأنتج منافسة أطلق عليها التونسيون بسخرية بين «الأب الروحي» و «تيرمينيتور».

وترى مجلة «إيكونوميست» (2019/9/16) أنه يمكن فهم جاذبية القروي، فالاقتصاد التونسي في حالة يرثى لها وخسر الدينار التونسي نصف قيمته منذ الثورة وظل النمو الاقتصادي فاترا مع أنه ارتفع العام الماضي بنسبة 2.6 في المئة ولم تتغير في الوقت نسبة البطالة التي ظلت 15 في المئة فيما أضرت الهجمات الإرهابية بالسياحة. يضاف إلى كل هذا الإصلاحات التي طالب بها صندوق النقد الدولي لتخفيض العجز بالميزانية وأدت لزيادة الضريبة. ولهذا وعد القروي الاستثمار بالتعليم وتوفير المياه الصحية والخدمات الأساسية الأخرى للفقراء. وأضافت تهم التهرب الضريبي وتبييض الأموال إلى سمعته كشخص من خارج المؤسسة. ويقول إن الاتهامات الموجهة إليه تحمل دوافع سياسية. وله الحق في الترشح طالما لم يصدر ضد حكم قضائي.

الفائز الغامض

وإذا كنا قادرين على تفسير جاذبية القروي، فمن الصعب فهم صعود شعبية قيس سعيد، فهو معروف بخطاباته الرنانة التي يلقيها بالعربية الفصحى ولا يدعمه حزب سياسي. وقد حول هذا إلى منفعة له وأدار حملة انتخابية لم ينفق عليها الكثير واعتمد على عدد قليل من المتطوعين وسافر إلى تجمعاته الانتخابية بالمواصلات العامة التي لم يطلق فيها وعودا كبيرة. وكل ما قاله إنه سيحاول إصلاح العيوب في الديمقراطية التونسية الشابة. ووعد سعيد بإصلاح البيئية البرلمانية ومنح الفرصة للمسؤولين المحليين تعيين نواب. وترى المجلة أن نتائج الجولة الأولى هي تعبير عن رفض الوضع القائم، وجاءت بسبب تعدد مرشحي الأحزاب التقليدية التي لم يكن الناخب التونسي قادرا على التفريق بينهم. وحصد كل من القروي وسعيد على صوت من بين ستة أصوات أمام بقية الناخبين فقد جلسوا في بيوتهم. ولاحظت المجلة أن السياسة التونسية عادة ما تميزت بالتنافس بين العلمانيين والإسلاميين، لكنها اختفت في هذه الانتخابات، بل وحاول المرشح الإسلامي مورو إبعاد نفسه قدر الإمكان عن حزبه النهضة. وبهذا اتبعت الانتخابات الأخيرة مسار الديمقراطيات الأخرى حول العالم، بين الشعبويين والراديكاليين الذين يقدمون أنفسهم كبديل عن النخبة التي لم تعد تحظى بشعبية الناخب. ومن هنا فالاختيار بين شخصين غير معروفين بالخبرة السياسية وببرامج غامضة ووعود قد يؤدي إلى تقسيم الناخب التونسي بين الفقراء الذين سيصوتون للقروي فيما ستدفع الطبقة المتعلمة ناخبيها لدعم سعيد، ولا يهم في هذا السياق إن كان أي منهما قادر على معالجة مشاكل البلاد أم لا.

يأس

ولعل ما تكشف عنه النتائج هو يأس الناخب التونسي من التغيير. وتساءل الكثيرون ممن التقى بهم بن هبارد، مراسل صحيفة «نيويورك تايمز» (2019/9/15) عن معنى الديمقراطية ومتى سينتفعون إلى الأسوأ - المزيد من الديون والمزيد من الجريمة.. فكيف تنفعنا الحرية إن لم تكن هناك وظائف؟». ولعل الشعور بالخيبة هو ما دفع الشباب التونسي للتصويت إلى وجهين غير معروفين وبالتحديد سعيد. ففي تقرير نشره موقع «ميدل إيست آي» (2019/9/18) جاء فيه إن الثورة وعدم التقدم وشعور بخيبة الأمل هي من منع الشباب التوجه إلى مراكز الاقتراع. وقال أحدهم «لن أذهب للتصويت. لقد كانت الثورة التونسية هي أكبر خطأ في التاريخ». فيما قرر آخرون البحث عن وجه جديد مثل سعيد لأنه «نظيف، ومستقل ومحل ثقة».. ونحن بحاجة إلى من يكون أسمى من سياسات الأحزاب». وجاءت نسبة الناخبين لسعيد من فئة الشباب، فحسب استطلاع أجرته مؤسسة «سيغما كونساي» صوتت نسبة 37 في المئة من المقترعين في الفئة العمرية 18 – 25 و 20.3 في المئة من المقترعين في الفئة العمرية 25 – 45 لسعيد، بينما فضل الأكبر سنا القروي.

ويبدو أن طوباوية سعيد الفكرية إن لم تكن غموضها، هي التي دفعت الشباب لرؤيته بديلا عن الوجوه التي لم تستطع محاربة الفساد «فهو جديد على السياسة وأستاذ قانون ذو خبرة ولديه قيم تقليدية». ومهما كان الحال، فصعود سعيد والقروي يمثل بالضرورة تغيرا في المسار السياسي لتونس، مما يعني أن غموض المرشح وغياب برنامجه التفصيلي يمنحه الفرصة لأن يأتي في قمة قوائم الفائزين، ولمجرد رغبة الناخبين بعقاب النخب التقليدية، علمانية كانت أم إسلامية. وهو ما يذكرنا بتجارب انتخابية أخرى جلبت شعبويين ويمنيين إلى الحكم كما في البرازيل وما كشفت عنه انتخابات البرلمان الأوروبي التي أدت لفوز حزب جديد بدون برنامج ولا قاعدة في معظم المقاعد المخصصة لبريطانيا، والسبب هو معاقبة الأحزاب التقليدية التي فشلت في حل معضلة خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. وفي السياسة لا تكفي صورة الرجل النظيف لكي تفي بتوقعات ناخبين يتطلعون للأحسن، وسيجد سعيد إن انتخب صعوبة في تحقيق ثورته الديمقراطية وتأكيد محافظة المجتمع التونسي وحماية تقاليده من الأطراف الخارجية التي تمول جماعات في الداخل لتشويه نسيجه الاجتماعي، لأن ساكن قصر قرطاج في العاصمة التونسية مجرد رمز للدولة ولا سلطة تنفيذية واسعة له. وكما هو الحال مع المرشح الطوباوي الحالم والحامل لأفكار جديدة سيجد نفسه في صدام مع الواقع ويكتشف أن هناك فرق بين الحلم والحقيقة، وأن هناك معارضة لأفكاره.

استثنائية

ومهما كان الحال، فستظل تونس استثنائية في ثورات الربيع العربي، فعادة ما تجترح المستحيل وسط عالم عربي تحكمه الديكتاتوريات وتدمر البلاد بدلا من التخلي عن السلطة. وكانت خصوصية تونس واضحة في المناظرات التلفزيونية التي جرت على مدى أيام قبل الانتخابات وعندما انتهت الحملات الانتخابات ليلة الجمعة بتجمعات صاخبة في أنحاء العاصمة.

ووصف بن هبارد مراسل «نيويورك تايمز» المشهد «عزفت الموسيقى ولمعت الأنوار من ثلاثة مسارح في شارع الحبيب بورقيبة وهو شارع مليء بالأشجار والمقاهي. وغنى أحد الفنانين وعزف قيثارته لمشجعي أكثر المرشحين يسارية بينما تظاهر مؤيدو النهضة يلوحون بأعلامهم ويهتفون باسم مرشحهم. وفي الناحية الأخرى قام مغني راب تونسي محاطا بالراقصين الذين يلبسون قمصانا بقبعات (هودي) لونها أحمر يحبب المشاهدين بمرشحهم، وزير الدفاع. وفي كل مكان انتشرت القمصان التي تحمل صور المرشحين وتحمل عبارات: «انتخبوا أكفأ المرشحين لتونس أفضل» و «نحتاج إلى سيادة». وفي منطقة تقوم فيه الحكومات بتكميم الصحافيين ومنع عمل المؤسسات الرقابية، سمح لمراقبي الانتخابات الدوليين الذي يلبسون الاشارات ويحملون دفاتر المذكرات بأن يختلطوا بالجمهور وسمح الحراس للمراسلين للتنقل بين التجمعات الانتخابية بسهولة».

حوار

الأكاديمية الفلسطينية رباب عبد الهادي:
قوتي في مواجهة الصهاينة آتية من وقوفي إلى جانب الحق والعدالة

حاورها: عبد الحميد صيام

ولدت رباب إبراهيم عبد الهادي في مدينة نابلس لعائلة عريقة اتسمت بالعلم والمعرفة والنشاط في منطقة الشمال الفلسطيني. بعد أن أكملت دراستها الثانوية في المدينة انتقلت إلى الولايات المتحدة للدراسة واستقرت في مدينة نيويورك. ودخلت جامعة «هنتر» التابعة لسلسة جامعات مدينة نيويورك وأكملت البكالوريوس في دراسات المرأة وعلم الاجتماع. جامعة هنتر معروفة بتوجهاتها الليبرالية وسيطرة طلبة اليسار على الجسم الطلابي، وكانت في السبعينيات والثمانينيات شعلة من النشاط لدعم الفلسطينيين وجنوب افريقيا وثوار نيكاراغوا وحركات التحرر الافريقية. حصلت رباب بعد ذلك على بعثة دراسية لجامعة بيل العريقة في ولاية كناتكت وأكملت فيها دراسة الماجستير والدكتوراه في العلوم الاجتماعية والعرقية وحصلت على عدة جوائز وكانت رسالتها حول الهوية الوطنية الفلسطينية خلال مرحلة التحرر الوطني والمرحلة الانتقالية ما بعد أوسلو.

كان أول عمل للدكتورة رباب في الجامعة الأمريكية في القاهرة حيث أسست برنامجا لدراسات «الهجرة القسرية واللجوء». كانت تلك الفترة تتزامن مع الانتفاضة الثانية في فلسطين وشاهدت تفاعل الطلبة مع الانتفاضة وإنزال العلم الأمريكي ورفع العلم الفلسطيني مكانه. وقد أقامت أفضل العلاقات مع الطلبة وعادت إلى مصر أيام ثورة 25 يناير والتقت بطلابها في ميدان التحرير. والآن بعض طلابها يقبعون في السجون بعد الردة على الثورة المصرية عام 2013.

تشغل رباب حاليا منصب أستاذ مساعد وباحثة ومديرة البرنامج الأكاديمية لدراسة الجاليات العربية والمسلمة في المهجر في كلية الدراسات الإثنية في جامعة سان فرنسيسكو التابعة لولاية كاليفورنيا. قبل انضمامها إلى جامعة سان فرنسيسكو، عملت أول مديرة لمركز الدراسات العربية الأمريكية في جامعة ميشيغان، بمدينة ديربورن ذات الغالبية العربية. وكانت المحرر المشارك لكتاب صدر حديثا حول المرأة العربية والدراسات الجنسانية والعنف. ونشر لها الكثير من الدراسات والأبحاث حول الجنسانية والمجتمع، ومواضيع المرأة العربية والجاليات العربية والمسلمة في الولايات المتحدة. كما نشرت العديد من مقالاتها في صحف «الغارديان» و«الفجر» باللغة الإنكليزية، والعديد من المنشورات باللغة العربية، مثل «فلسطين الثورة» و«الهدف» و«الحرية».

وتركز رباب في دراساتها الأكاديمية والتربوية والنشاط العام على فلسطين والمجتمعات العربية والإسلامية والمغتربين منهم في المهجر الأمريكي، والمرأة الفلسطينية ودراسات العرق والمقاومة والدراسات النسائية، ودراسات النوع الاجتماعي والجنس.

إضافة إلى كونها أستاذة مبرزة في المجال الأكاديمي، رباب ناشطة فلسطينية ومدافعة عنيدة عن الحق والعدالة والحرية لشعبها الفلسطيني والفئات المهمشة والمظلومة مثل السود والسكان الأصليين. وقد تم انتخابها في الماضي رئيسة لمنظمة الطلبة العرب وساهمت في إنشاء الاتحاد العام لطلاب فلسطين – فرع الولايات المتحدة. وشاركت في تأسيس اتحاد الجمعيات النسائية الفلسطينية في أمريكا الشمالية، ولجنة التضامن الفلسطينية. وكانت أول عربية تنتخب لعضوية مجلس الحريات الدستورية في مدينة نيويورك. وشاركت رباب في عدة مؤتمرات دولية كما بدأت اصطحاب مجموعات طلابية وأكاديمية ونشطاء حركات السلام إلى فلسطين المحتلة. وقد تعرضت للهجوم والتهديد والضغوط من أطراف عديدة مناصرة لإسرائيل اتهمتها بمعاداة السامية. وقد دعت دائرة شؤون المغتربين في منظمة التحرير الفلسطينية إلى أوسع حملة تضامن مع الأكاديمية الفلسطينية الدكتورة رباب عبد الهادي، بسبب الحملة الشعواء ضدها من قبل المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن قبل أوساط سياسية مرتبطة بالمؤسسات الصهيونية والأمنية الحاكمة في دولة الاحتلال، وهنا نص الحوار.

○ من أين نبدأ، حكايتك طويلة مع الضغوط والتهديدات والمضايقات. لقد جمعت بين يديك الأكاديمية والنشاط، فكيف بدأت الحكاية؟

● بعد أن تخرجت من جامعة بيل ذهبت لفترة للجامعة الأمريكية في القاهرة وأسست هناك فرعا لدراسة الهجرة القسرية ثم عدت إلى جامعة نيويورك لأدرس فيها. وكنت أعد محاضرة عن دراسات المرأة صباح الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001. ولكن ألغيت المحاضرة وكان هناك تخوف. لكن حافظت على نشاطات حول فلسطين وأضفت إليها انتقاداتي الواسعة للإجراءات الأمريكية الظالمة بعد 11 أيلول/سبتمبر والتي شملت الكثير من الممارسات غير القانونية كالتعذيب والترحيل والحجز الانفرادي بدون محاكمة والتنصت والتفتيش. كانت مرحلة الإرهاب الفكري. بقيت في جامعة نيويورك ثلاث سنوات عجاف (2001–2004) بعد حادثة البرجين واجتياح المدن الفلسطينية بعد الانتفاضة الثانية والغزو الأمريكي للعراق عام 2003. رتبت مع الأساتذة في الجامعة أن ننظم احتجاجا على الحرب على العراق وقلت لهم أهمية الأستاذ ليس في أن يحمل فكرا تقدميا بل أن يمارس هذا الفكر. لم يكن أمامي خيار إلا أن أشارك، فلا يجوز للفلسطيني أن يطالب بتضامن الناس مع قضيته بدون أن يكون معهم في الميدان. كما قمت بتنظيم مهرجان تأبين للمرحوم إدوارد سعيد في الجامعة بعد وفاته في أيلول/سبتمبر 2003 واعترض الصهاينة على النشاط لكننا أقمناه رغما عنهم. من هنا تفتحت العيون علي ووضعت على قوائم المستهدفين من المنظمات الصهيونية المناصرة لإسرائيل. عوقبت من الجامعة وألغي برنامج دراسات الجاليات العربية والإسلامية وأخرجت من الجامعة.

○ بعد جامعة نيويورك ذهبت إلى جامعة ميتشيغن بمدينة ديربون لترأسي قسم الدراسات العربية الأمريكية فماذا حدث هناك؟

● نعم عملت رئيسة لمركز الدراسات العربية والإسلامية في ديربون بولاية ميتشيغن. وتعرضت أيضا للمضايقات. 2006 وقعت على عريضة عملها الطلاب «طلاب من أجل العدالة في فلسطين» وطلبوا مني أن أوقع. وبعد ذلك تصدت منظمة صهيونية تدعى «هيروتس» وهاجموني على الصفحة الأولى من موقعهم. كلمتني عميدة الكلية وقالت «ليس من حقك أن توقعي – من حقك أن تتكلمي أما أن توقعي وتقولي إنك مديرة مركز الدراسات العربية الأمريكية، فهذا ليس من حقك». فقلت لها من حقي أن أتحدث ولماذا لا تعترضين عندما يوقع الآخرون على عرائض. وكنت وقتها أتفاوض مع جامعة سان فرنسيسكو للانتقال إلى هناك. وقعت معهم عقدا على أساس أن يعمل معي أستاذان آخران.

○ حدثينا عما واجهت من مشاكل في جامعة سان فرنسيسكو.

● انتقلت إلى سان فرنسيسكو. وكانت البداية بعقد مؤتمر «جمعية العودة» الفلسطينية في الجامعة. وعلمت فيما بعد أن المنظمات الصهيونية أولا حاولت منع تعيييني حيث قدموا ملفا بما يسمونه معاداتي للسامية والمقصود دعم حقوق الشعب الفلسطيني وانتقاد الممارسات الإسرائيلية، ثم حاولوا منع عقد مؤتمر جمعية «العودة» في الجامعة وفشلوا في بفعل المقاومة واعتبروا ذلك تطرفا ومعاداة للسامية. وبعد أن اخترت للمنصب وكان يجب أن يضم أكثر من 12 وظيفة قرروا إلغاءها جميعا وتركوني أعمل لوحدي وخاصة بعد أن قررنا أنا والطلاب أن نقيم جدارية في الجامعة لمحمود درويش وعليها رسم حنظلة، رمز رسومات الفنان الراحل ناجي العلي. الصهاينة في الجامعة فسروا حنظلة بأنه رمز إرهابي يدعو لتدمير إسرائيل لأنه يحمل المفتاح وأما القلم فهو رمز للبندقية كما قالوا. الجامعة قررت أن تلغي حنظلة لكنني دعوت الطلاب والجالية العربية وقلت لهم إن الجامعة ستلغي رمز حنظلة في جامعة سان فرنسيسكو، فتعالوا جميعا نحيي ذاكرة حنظلة فجاء جميع الطلاب وأبناء الجالية يوم افتتاح الجدارية يلبسون قمصانا عليها صورة حنظلة.

○ تهمة معاداة السامية جاهزة إذن لوصم أي منتقد للسياسات الإسرائيلية؟

● نعم ـ هم لا يريدون لأحد أن يتكلم. لا يريدون صوتا آخر. الرؤية المهيمنة هي دعم إسرائيل وأي خروج عن هذا الموقف يعتبر موقفا مختلفا عليه. أسهل سلاح في يد الصهيونية هو تهمة معاداة السامية التي هي أصلا ذات جذور أوروبية بسبب معاداة اليهود كيهود في أوروبا والتي وصلت الذروة في المحرقة التي لحقت باليهود في ألمانيا النازية. فأي انتقاد للسياسة الإسرائيلية أو الممارسات في فلسطين المحتلة يوصم بأنه معاداة للسامية. وما أبعد هذا القول عن الحقيقة. كثير من اليهود يرفضون هذه التهمة ويرفضون أن تخطف مجموعة سياسية حق تمثيل اليهود جميعا وتعطي لنفسها الحق أن تصنف الناس حسب مفاهيمها السياسية. الهدف من هذه التهمة منع الحديث عن معاناة الشعب الفلسطيني ومنع الحديث عن العدالة للشعب الفلسطيني. لا يريدون لأحد أن يتعلم حقيقة ما يجري في فلسطين ولأنهم يعرفون أن الناس ستتفهم الحقيقة يعملون على إسكات أصوات الناشطين وخاصة من الأكاديميين الذين يؤثرون على تفكير الطلاب.

○ وماذا عن دورك في المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات «بي دي إس»؟

● أنا لا أخفي دعمي لمقاطعة إسرائيل وخاصة في الميدان الأكاديمي. أشارك في هذا البرنامج وأؤيده علنا وليس سرا. القاعدة الطلابية أيضا تؤيد المقاطعة. الجسم الأكاديمي للجامعة في معظمه مؤيد للحق الفلسطيني ومؤيد للمقاطعة. صحيح أننا لم ننجح في إجبار الجامعة على سحب استثماراتها في إسرائيل لكن غالبية الطلاب والأساتذة مع المقاطعة. فهل أقبل أن يقف طلابي مع المقاطعة وأنا أتخلى عنهم؟ نحن هنا نطرح قضية العدالة بشكل مطلق. عدالة لفلسطين وعدالة للمهاجرين وعدالة للسود وعدالة للسكان الأصليين وعدالة لمن لا يحملون أوراقا تخولهم للبقاء هنا. العدالة كل واحد ولا يتجزأ وهذا ما يرعب الصهاينة عندما نتحدث مع الطلاب عن العدالة المطلقة من دون الانتقاء. المشكلة عندنا في إدارة الجامعة. الطلاب والأساتذة في غالبيتهم مع العدالة لفلسطين أما الإدارة فلها علاقات حميمية مع المنظمات الصهيونية والمؤيدة لإسرائيل. الجامعة تابعة للولاية. وقد أقرت الولاية بخفض مساهماتها في ميزانية الجامعة بنسبة الثلثين ولم يبق لدى الجامعة إلا 30 في المئة من الميزانية. فكيف يتغطى العجز؟ إما برفع قضية ضد الولاية أو بالبحث عن مصادر بديلة وهو ما قامت به الجامعة وبالتالي اعتمدت على تبرعات منظمات وأفراد من جماعة اللوبي الصهيوني المؤيد لإسرائيل. هؤلاء المتبرعون بدأوا يتدخلون في أجندة الجامعة ويفرضون رؤيتهم. أصبحت التبرعات سرية وتصل إلى الجامعة من دون إعلان أو معرفة. فتصبح قنوات التبرع هي العامل المؤثر في كل ما تقوم به الجامعة من نشاطات. وعندما دعونا عمر البرغوثي 2009 وهو من مؤسسي الببي دي إس وكان مقررا أن يتحدث عن الأوضاع الإنسانية في غزة بعد العملية الإسرائيلية «الرصاص المصبوب» قامت قائمة المنظمات الصهيونية وحضر عشرة أشخاص من بينهم أربعة رجال دين «رابابي» من مجلس العلاقات الإسرائيلية واحتجوا وطالبوا رئيس الجامعة بإلغاء النشاط. لم يتمكن الرئيس من إلغاء النشاط لكنهم عاقبوني بإلغاء الوظيفتين اللتين وعدوني بهما لإنشاء مركز الدراسات العربية الإسلامية، وتشمل دراسات العنصرية وحركات التحرر. وكلما تقدمنا بأنشطتنا كلما تعاظم الضغط علينا وعلى الجامعة لإسكاتنا. وجماعة «كامبس ووتش» وهم جماعة مؤيدة لإسرائيل مهمتها مراقبة الحرم الجامعي والمقصود الأساتذة المؤيدين للفلسطينيين، بدأوا يستهدفونني شخصيا وينشرون عني تغريدات بشكل يومي.

○ من الأشياء التي أثارت جماعة الضغط الإسرائيلي قيامك بعقد اتفاقية شراكة مع جامعة النجاح بنابلس واصطحاب وفود إلى الأرض المحتلة، فكيف تم هذا؟

● إن أكثر ما أزعج الجماعات المؤيدة لإسرائيل وخاصة «كامبس ووتش» هو اتفاقية الشراكة مع جامعة النجاح التي وقعت عام 2014. وهي مذكرة تفاهم تشمل تبادلا طلابيا وتبادلا معرفيا وأكاديميا وبحوثا ومؤتمرات مشتركة. مثلا عقدنا مؤتمرا حول الأسرى السياسيين وقد اصطحبت معي وفدا من السجناء السياسيين سابقا في الولايات المتحدة من بينهم أنجيلا ديفيس 2011 المناضلة المعروفة من جماعة الفهود السود أيام ثورة الحقوق المدنية في الستينيات. وكذلك دعوناها إلى الحرم الجامعي هنا. استضفنا في جامعتي طلابا من النجاح وعملنا دورات مشتركة على الإنترنت. وآخر مقترح قدمته عام 2018 هو برنامج دراسي خارجي متكامل في فلسطين، أي نأخذ طلابنا من سان فرنسيسكو إلى فلسطين. وهناك برنامج شبيه للدراسة في إسرائيل لمدة سنة. نحن كنا متواضعين. طلبنا أولا أسبوعين أو فصلا دراسيا فقط. وقد طلبوا أشياء كثيرة لإنجاز البرنامج وفي النهاية ألغوه. وحاولوا إلغاء الاتفاقية مع جامعة النجاح ولم يفلحوا لأننا اتبعنا الخطوات الرسمية التي طلبوها منا، ثم في النهاية اتهموا جامعة النجاح بأنها تخرج متطرفين وأنها مركز للراديكالية والإرهاب.

إضافة إلى هذا عملنا بعثة دراسية باسم إدوارد سعيد. فاعترضت الإدارة وقالت قد لا توافق زوجة إدوارد سعيد وأولاده على البعثة وقد يرفعون شكوى ضدنا. فأمنت لهم موافقة أرملة إدوارد سعيد السيدة مريم سعيد التي تكلمت مع رئيس الجامعة لتؤكد له أن عائلة إدوارد سعيد تقدر الثقافة والعلم وتتشرف بعمل بعثة دراسية باسمه، وهكذا نجحنا في إقرار البعثة.

○ وأين وصلت التهديدات وحملات التحريض ضدك؟

● لم تتوقف أبدا وخاصة عندما كنت أحضر لمؤتمر مشترك بين جامعتي وجامعتي النجاح وبير زيت. وذهبت إلى فلسطين للترتيب للمؤتمر فشنوا حملة عليّ غير مسبوقة واتهموني بمعاداة اليهود ودعم الإرهاب والتحريض وكره إسرائيل والعمل على إلحاق الأذى بها. لم تبق منظمة صهيونية دون أن تنضم للحملة. رفعوا علي وعلى الجامعة شكوى قضائية في المحكمة الفيدرالية بتهمة أن التعليم عن فلسطين والأنشطة المؤيدة لفلسطين تخلق مناخا معاديا لليهود وإسرائيل والطلبة اليهود في الجامعة يشعرون بالخوف. وقد تبرع محاميان للدفاع عني لمدة 18 شهرا من دون أي مقابل، واحد إيراني والثاني يهودي أمريكي وكسبنا القضية وأصدر القاضي أمام قاعة مكتظة حكمه بإسقاط القضية. وقال القاضي أمام القاعة كونها معادية للصهيونية وكونها مؤيدة للقضية الفلسطينية لا يجعلها معادية للسامية. وقد أصدر رأيه في 41 صفحة يدحض فيها كل الادعاءات التي قدموها ضدي. لكنهم لم يتوقفوا ولا أظنهم سيتوقفون في المستقبل. فهم لا يريدون لأحد أن يتكلم. يريدون أن يخوفوا النشطاء والأساتذة ففي ظل الخوف والصمت ينشرون أكاذيبهم.

○ وهل هناك تضامن معك في الجامعة وبين أبناء الجالية العربية الفلسطينية في سان فرنسيسكو؟

● تضامن الطلاب معي واسع جدا لدرجة أن الطلاب أعلنوا الإضراب عن الدراسة عام 2017 تضامنا معي وطالبوا بإقرار البرنامج وإعادة الوظائف للغاة وتأمين الحماية لي. وقد أنشأ الطلاب لجانا في الجامعة للدفاع عني. أما الجالية في سان فرنسيسكو فقد التفت حولي ووقفوا معي ليس فقط الجالية الفلسطينية بل العربية واليابانية والسود واللاتينيون والمهاجرون لأنني أدافع عنهم جميعا. نحن نتحدث عن العدالة للجميع ولذلك تصل رسالتنا كل الناس. لدينا حركة في الجامعة تتضامن مع كافة قضايا العدالة والحرية في العالم وبما أن خطابنا يتحدث عن العدالة لذلك يكسب الناس بسهولة. لذلك يريدون أن أسكت وقد رفعوا من وتيرة تهديداتهم وبدأوا يتركون لي رسائل صوتية على الهاتف أو رسائل نصية تهددني بالقتل. في آخر رسالة قالوا لا تقطعي الشارع وإلا... حولت الرسالة إلى السلطات الأمنية في المدينة فالتهديد الجسدي هنا ممنوع حسب القانون.

○ ألا ترين أن الأمور بدأت تتحسن في الولايات المتحدة وأن عدد المؤيدين لفلسطين في تصاعد مستمر، وقد ساهم في هذا الحوار الجاري انتخاب رشيدة طليب وإلهان عمر؟

● نعم هناك شرخ في الموقف من فلسطين على مستوى الشارع وحتى داخل الكونغرس وهو أمر جديد والأهم هناك شرخ في مواقف اليهود هنا. ليسوا كلهم من مؤيدي إسرائيل بشكل أعمى. هناك العديد من المنظمات اليهودية التي ترفض الممارسات الإسرائيلية مثل «أصوات يهودية من أجل السلام» و«طلاب من أجل العدالة في فلسطين» ووجود شخص مثل ترامب والقضايا التي أثارها حول القدس والجولان وتأييده الأعمى لإسرائيل ومهاجمته العنصرية لعضوات الكونغرس الأربع وخاصة رشيدة طليب وإلهان عمر أثار نوعا من الحوار المفتوح في الشارع الأمريكي. والأمور الآن تتحسن أكثر وأكثر. فكل الملايين التي يصرفونها لم تنجح لنشر الباطل بالضبط مثل الحروب التي تشنها إسرائيل ضد غزة ومع هذا غزة تقاوم. سنبقى نناضل كل بطريقته حتى ينحسر باطلهم وينتصر حقنا.

تظاهرة مؤيدة للحق الفلسطيني في امريكا

حريات

الاحتلال يخالف القوانين الدولية والأسيرات تركن خلفهن أطفالا

الأسرى في السجون الإسرائيلية: قصص مأساوية وعمليات إعدام تنفذ ببطء

غزة ـ «القدس العربي»: أشرف الهور

من دون الاكتراث بالقوانين والشرائع الدولية، وفي مقدمتها معاهدات جنيف، وبدون إعطاء أي اعتبار لطلبات المؤسسات الحقوقية الدولية والمحلية، تواصل سلطات الاحتلال انتهاج كل الأساليب التي تحط من الكرامة الإنسانية للأسرى الفلسطينيين الذين تعتقلهم في زنازين سجونها، وتفتقر إلى أبسط مقومات الحياة، وتزيد على ذلك بزرعها «أجهزة تشويش» تسبب الإصابة بمرض السرطان، علاوة على استمرارها في استخدام أساليب الضرب المبرح والتعامل العنيف مع الأسرى بمن فيهم الأطفال، منذ لحظة اعتقالهم.

كثيرة هي الروايات التي ترد من السجون الإسرائيلية، والتي تتحدث بإسهاب عن الانتهاكات التي تقترفها بشكل ممنهج ومنظم إدارة السجون، بحق آلاف الأسرى الفلسطينيين، ولا تستثني الأطفال والنساء والرجال كبار السن منهم، وفي مقدمتها سياسة «الإهمال الطبي» المتعمد، خاصة مع الأسرى المصابين بأمراض خطيرة للغاية، ومنها السرطان والأمراض المزمنة.

وتخالف هذه الأفعال اتفاقية جنيف الخاصة بأوضاع الأسرى، والتي تنص على منع الاعتداء على الحياة والسلامة البدنية، وخاصة القتل بجميع أشكاله، والتشويه، والمعاملة القاسية، والتعذيب للمعتقلين، كما تمنع الاعتداء على الكرامة الشخصية، وعلى الأخص المعاملة المهينة والحاطة بالكرامة، إضافة إلى منعها إصدار الأحكام وتنفيذ العقوبات من دون إجراء محاكمة سابقة أمام محكمة مشكلة تشكيلاً قانونياً، وتكفل جميع الضمانات القضائية اللازمة.

إهمال طبي

وتوضح حادثة استشهاد الأسير بسام السايح في الثامن من الشهر الجاري، وهو على سرير المرض في أحد مشافي الاحتلال، التي نقل إليها مكبلا، وظل على ذلك الوضع حتى خلال التقاطه أنفاسه الأخيرة، مدى الظلم الذي يتعرض له الأسرى الفلسطينيون من قبل إدارة سجون الاحتلال.

فهذا هو الأسير الثاني هذا العام الذي يموت على سرير المرض، بعد الأسير فارس بارود، الذي استشهد في شهر شباط/فبراير الماضي، وكان مصابا بمرض السرطان وفي مراحل متقدمة منه، نقل إلى المشفى بعد أن أصبحت عضلة قلبه تعمل بأقل من 15 في المئة وبعد أن تفشى المرض في جسده بشكل كبير، من دون أن تكترث إدارة سجون الاحتلال لحالته الصحية طوال السنوات الماضية. ورفضت إسرائيل إطلاق سراحه قبل وفاته رغم خطورة وضعه الصحي، ولا تزال تتحفظ على جثمانه، تاركا زميله سامي أبو دياك «36 عاما» الذي يعاني هو الآخر من مرض السرطان، ويتعرض لعملية «قتل بطيء» على سرير المرض في عيادة أحد السجون، والتي عادة تفتقر لطواقم طبية متخصصة، وللعلاج اللازم لمرضه.

الإهمال الطبي

وتؤكد هيئة شؤون الأسرى، وهي الجهة الحكومية التي تشرف على ملف المعتقلين في سجون الاحتلال، أن إدارة مصلحة سجون الاحتلال تنتهج «نهجا منظما في الإهمال الطبي للأسرى» أدى إلى تفاقم الأمراض المميتة في أجسادهم، معلنة أنه باستشهاد الأسير السايح ارتفع عدد شهداء الحركة الأسيرة إلى 221 شهيدا من العام 1967.

ويقول رئيس الهيئة قدري أبو بكر، أن هناك أكثر من 700 أسير مريض يقبعون في سجون الاحتلال، من بينهم 180 أسيرا يعانون من أمراض مزمنة، 25 منهم مصابون بالسرطان، و85 يعانون من إعاقات مختلفة (جسدية وذهنية ونفسية وحسية) و15 أسيرا يقيمون بشكل دائم فيما تسمى «عيادة سجن الرملة».

والمعروف أن سلطات الاحتلال تعتقل نحو 6000 أسير، بينهم نساء وأطفال وكبار في السن ومرضى، وجميعهم يشتكون من معاملتهم بشكل سيء، ويشتكي هؤلاء جميعا من سياسة «الإهمال الطبي» ومن تعرضهم للتعذيب والضرب والإهانة، كما تقوم سلطات الاحتلال بوضع عدد كبير منهم في زنازين العزل الانفرادي، وتمنع عنهم زيارة الأهل، كما تقدم لهم طعاما سيئا من ناحية الكم والجودة، وتحرمهم من التعليم.

أجهزة التشويش

وإلى جانب مأساة «الإهمال الطبي» هناك ممارسات أخرى تنفذ ضد الأسرى في مسعى إسرائيلي لكسر عزيمتهم، واستمرار العقوبات ضدهم رغم زجهم في زنازين تفتقر لكل مقومات الحياة، وكان آخرها هو زرع «أجهزة التشويش» المسرطنة، التي تضعها سلطات الاحتلال فوق أقسام السجون، والتي بدأ تأثيرها المبدئي بالتشويش على موجات الراديو والتلفزيون، وبشعور الأسرى بصداع شديد في الرأس، إلى جانب شعورهم بحالات غثيان مستمرة.

وحاليا تشهد السجون حالة غليان كبيرة تنذر بثورة وانتفاضة جديدة بعدما قرر الأسرى رفض هذه الأجهزة التي تشكل نوعا جديدا من العقاب، خاصة بعد تراجع سلطات السجون عن إزالتها، بناء على اتفاق سابق أبرم في شهر نيسان/أبريل الماضي، ونص على إزالتها بالكامل، ونصب أجهزة تلفونات عمومية في جميع السجون، لتمكين الأسرى من إجراء مكالمات مع ذويهم.

وقد شرع عشرات الأسرى منذ الأسبوع قبل الماضي، في إضراب تدريجي عن الطعام، رفضا لتراجع إدارة السجون عن الاتفاق.

ويترقب أن تتسع دائرة الإضراب هذا لتشمل كافة الأسرى في السجون، مع اتخاذ الأسرى كافة الاستعدادات اللازمة للدخول في الإضراب، بناء على تعليمات هيئة قيادة الأسرى. وأعلن نادي الأسير إن إدارة المعتقلات نقلت غالبية الأسرى المضربين عن الطعام من الأقسام العامة إلى «زنازين العزل» وهي خطوات تريد من خلالها كسر إرادتهم، وعقابهم على رفضهم الخضوع لخططها الرامية لإمراضهم ومن ثم موتهم في السجن، وهو ما يعتبره الأسرى جزءا من مخطط «الإعدام البطيء».

وكان الأسرى في العاشر من أيلول/سبتمبر الجاري، وتحديداً في معتقل «ريمون» أعلنوا استعدادهم للمواجهة مع الإدارة من جديد، بعد تنكرها لاتفاق نيسان/أبريل الماضي، وقد اعتبر نادي الأسير الذي يتابع ملف الأسرى، أن موقف إدارة معتقلات الاحتلال مستمد من موقفه السياسي، بإبقاء الأسرى كأداة للتجاذبات السياسية الحزبية، بحيث تصبح مطالبهم مصدرا لن يثبت قدرته على رفضها، وفرض المزيد من السياسات التنكيلية والانتقامية لإرضاء الشارع الإسرائيلي.

وبما يؤكد ذلك، كشفت تقارير إسرائيلية أن إدارة السجون، غير مكترثة للخطوات الاحتجاجية من الأسرى، وأنها مستعدة لمواصلة التعامل مع الاضراب، وأنها ستواصل خطتها لتوسيع نصب «أجهزة التشويش» لتشمل جميع الأقسام في السجون.

الإضراب عن الطعام

لكن ذلك الأمر ينذر بـ «ثورة سجون» عارمة، في ظل إصرار الأسرى على تلبية مطالبهم حتى لو كلفهم ذلك حياتهم، فوزير الأسرى السابق والقيادي في حماس وصفي قبها، أكد أن اضطرار أعداد جديدة من الأسرى الدخول في الإضراب عن الطعام، جاء بعد محاولة مصلحة سجون الاحتلال «التنصل والالتفاف» على التفاهمات، لافتا إلى أن جميع جلسات الحوار مع إدارة سجون الاحتلال «فشلت في حملها على التنفيذ الأمين لتلك التفاهمات» مضيفا «قيادة الحركة الأسيرة وجدت نفسها أمام حائط مصمت» مؤكدا أن التصعيد من مصلحة سجون الاحتلال وسياسة التسويف والمماطلة «ستجر السجون إلى ساحات معارك حقيقية».

وقد دعت قيادة الحركة الأسيرة كافة الأسرى، للتهيؤ والتأهب لأي قرار يصدر منها لـ «المدافعة عن الحقوق والمكتسبات ومواجهة آلة القمع الصهيونية» وأعلن مكتب إعلام الأسرى، أن الأوضاع داخل السجون «آخذة منحى التصعيد».

اعتقال مخالف للقوانين

وإلى جانب هذه السياسات التي تنتهجها سلطات الاحتلال ضد الأسرى، والتي تخالف القوانين الدولية، خاصة التي تتحدث عن حقوق الإنسان، تواصل إسرائيل الزج بمئات الأسرى في معتقلاتها، تحت مسمى «الاعتقال الإداري» وهو نوع خاص من الاعتقال، لا يقدم فيه الأسير إلى محاكمة، بل يجري تنفيذ أمر الاعتقال الذي يجدد لمرات عدة في أغلب الأحوال بناء على قرار من حاكم عسكري، وبدون توجيه تهم للأسير، حيث يتذرع الاحتلال بأن التهم «سرية» لا يعرفها حتى محامي الأسير.

وتزج سلطات الاحتلال بـ 500 أسير بينهم نساء في معتقلاتها تحت هذا النوع من الاعتقال، غير ملتزمة بالشروط الدولية، التي تلزم استخدام هذا النوع في أضيق الحدود.

وحسب الاحصائيات التي تقدمها الجهات الرسمية الفلسطينية التي تتابع ملف الأسرى، وكذلك المؤسسات غير الحكومية ومنها الحقوقية، فإن من بين الأسرى الإداريين من جدد له الاعتقال، حتى مكث لسنوات طويلة خلف القضبان، من دون أي تهمة تذكر.

ولهذا السبب ورفضا لـ«الاعتقال الإداري» اعتاد الأسرى على تنفيذ إضرابات فردية، تمكنوا خلالها من الحصول على قرارات بإطلاق سراحهم من سجون الاحتلال، بعدما دخلوا مرحلة الخطر الشديد، لتوقفهم عن تناول الطعام لمدد طويلة، بعضهم زاد عن الثلاثة أشهر متتالية.

وحاليا هناك ستة أسرى إداريين يخوضون إضرابا، بعضهم دخل شهره الثالث، ومن بينهم من نقل إلى المشفى، وآخرون باتوا لا يقدرون على الحركة، ويعاني جميعهم من مشاكل صحية جادة تهدد حياتهم بخطر

الموت، لكنهم يصرون على الاستمرار في «معركة الأمعاء الخاوية» حتى تحقيق مطالبهم كاملة.

وهؤلاء الأسرى هم: أحمد غنام (42 عاماً) من مدينة دورا قضاء محافظة الخليل، وسلطان خلوف (38 عاماً) من بلدة برقين قضاء محافظة جنين، والأسير إسماعيل علي (30 عاماً) من بلدة أبو ديس قضاء القدس، والأسير طارق قعدان (46 عاماً) من محافظة جنين، والأسير ناصر الجدع (31 عاماً) من بلدة برقين قضاء محافظة جنين، وثائر حمدان (30 عاماً) من بلدة بيت سيرا قضاء رام الله.

الطفولة في الأسر

وإلى جانب هذه الأفعال التي تمارسها سلطات الاحتلال ضد الأسرى، هناك سياسة الضرب المبرح، خاصة ضد الأطفال المصنفين وفق أحكام القانون الدولي، والتي تقل أعمارهم عن 18 عاما، حيث تزج إسرائيل بعشرات الأسرى الأطفال في سجونها.

وقد نشرت هيئة شؤون الأسرى خلال الأيام الماضية شهادات حية للعديد من الأسرى الأطفال الذين تعرضوا للضرب المبرح من قبل جنود الاحتلال منذ لحظة اعتقالهم، وقالت إن ذلك الأمر استمر خلال رحلة نقلهم إلى مراكز التحقيق، وخلال عمليات الاستجواب، وأن ذلك ترافق أيضا مع معاملتهم بشكل مهين، من خلال إبقائهم تحت أشعة الشمس الحارقة، وتقديم طعام سيء لهم من ناحية الكم والجودة.

كما تواصل سلطات الاحتلال فرض غرامات مالية باهظة ضد الأسرى الأطفال، وتؤكد الهيئة أن ما تقوم به محاكم الاحتلال من فرض غرامات مالية باهظة بحق الأسرى الاطفال ما هو إلا «إجراء انتقامي وعقاب تعسفي يمارسه الاحتلال بحق الأسرى وذويهم».

وكباقي الأسرى يتعرض هؤلاء الأطفال لعمليات اقتحام تقوم بها وحدات خاصة تجلبها بشكل مستمر إدارة السجون، للدخول إلى غرف الأسرى والاعتداء عليهم بالضرب المبرح، مما يتسبب في وقوع إصابات أخيرة، كما حدث مؤخرا لأسرى سجن «جلبوع» حيث تتعمد هذه القوات تكسير مقتنيات الأسرى، كما يعاني هؤلاء جميعا من نقص وسائل التهوية في فصل الصيف، ونقص الأغطية والملابس الثقيلة في فضل الشتاء البارد.

الأسيرات قصص مؤلمة

ويضاف إلى جملة تلك الانتهاكات ما تتعرض له الأسيرات في سجون الاحتلال، وعددهن 56 بينهن قاصرات، ونساء تركن خلفهن أطفالا رضعا، وحرمن من تربية أبنائهن قسرا بسبب الاحتلال.

وتؤكد مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الانسان، أن قوات الاحتلال تستمر في انتهاك حقوق المرأة الفلسطينية عبر سياسة الاعتقال، بما يخالف اتفاقية مناهضة التعذيب التي حظرت المعاملة غير الإنسانية والحاطة بالكرامة.

وقد وثقت المؤسسة عدداً من الانتهاكات التي ارتكبتها قوات الاحتلال وطواقمها الطبية ومحققيها، بحق الأسيرات والمعتقلات الفلسطينيات في السجون ومراكز التحقيق والتوقيف، ومنها حرمان الأسيرات من حقوقهن الأساسية بما فيها الخدمات الصحية، الطعام، الماء. كما يتعرضن لـ «التفتيش العاري» كإجراء عقابي، ويتم احتجازهن في ظروف غير صحية، إضافة إلى تعرضهنّ للاعتداء الجسدي والنفسي. وتتسبب ظروف الاحتجاز والمعاملة غير الإنسانية التي تتعرض لها الأسيرات والمعتقلات الفلسطينيات بأضرار صحية ونفسية وعقلية طويلة المدى، وقد وثقت المؤسسة تعرض أسيرات لـ «تحرش جنسي» من المحققين.

وقد وثقت احصائيات فلسطينية رسمية اعتقال أكثر من 16 ألف امرأة فلسطينية، على مدار سنوات الصراع الطويلة مع إسرائيل، بينهن قاصرات ومسنات.

وتطلب الجهات الرسمية والشعبية التي تتابع ملف الأسرى مرارا من الأمم المتحدة والمؤسسات الحقوقية الدولية، التدخل وإجبار دولة الاحتلال على احترام اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب، وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وقرار مجلس الأمن 1325 بشأن تنظيم معاملة النساء والفتيات أثناء الاستجواب والاحتجاز، وتنظيم حياتهم داخل السجون.

كتب

رواية السوري خالد خليفة «لم يصلّ عليهم أحد»:

مصائر البشر بين أسنان مطاحن أوهامهم

المثنى الشيخ عطية

مع رواية ملحميّة، ضخمة بقيمتها الفنّية قبل حجمها، مثل رواية الكاتب والسيناريست السوري الجديدة خالد خليفة «لم يصلّ عليهم أحد»، لا يخرج القارئ في الحقيقة سالماً من تأثيرات تكوينها سواء في الشكل أو في المحتوى. وقد لا تكفي متعة إصابته بالدهشة والسّحر، وخوفه في بدايات قراءته لها من ضياع يقطع عنه أنفاس سحر عالمه الذي يعيشه فيّ عوالمها، كما قد لا تكفي راحة نفسه وسيلان عينيه بالدمع من تأثير خاتمتها الناجحة المذهلة التي تكمل دائرة قراءته بانفتاحها على سحر بداياتها، إذ سيصابُ، سواءً في لا وعيه أو إدراكه، بالشكّ في صورته التي يتداخل فيها صنع الآخرين وصنع أوهامه لها. وربما دفعهُ هذا الشكّ إلى تتبّع خطاهُ في رحلة شخصية «حنا» الأولى الأسرة في الرواية، نحو معرفة نفسه، ونقاء روحه بعد مأساة الطوفان، كما يعترف مجلّياً نفسه في مصنفه الأول: «في ليلتنا الأخيرة عادتْ إلى يوم تعارفنا الأول، امرأةً تجهّزها أمّ وحيد لتبيع المتعة للرجال الأقوياء، أصحاب الثروات الكبيرة، حزنتْ لأنها تعرّت وتركتني أفتضّ بكارتها، كنت أتمنّى لو قطعت الشوط الأخير وتساقطتْ من روحها رائحة الصديد الكريهة، حاولت استعادتي، قالتْ كم أحبّتني، كم انتظرتْ هذه اللحظة، ولم أقل لها كم أنا فاسد، أفسدتْ حياتها للأبد، حوّلتها من أمّ إلى عاهرة... بكيتُ بعد رحيلها، لم أفقدْ سوى القشور، ما زلتُ أشعر بلذّة القذف، وروعة نهدها في ضوء الفجر، ما زلتُ كائناً يشبه الذي كنته، لكني أغصّ بالكوابيس، وفمي مليءٌ بجثث الأسماك النافقة».

بتجاوز تأثير عنوانها الذي يوحي بالأسف على ضحايا المجازر والمقابر الجماعية، إلى الأسف العميق لكون الضحايا ضحايا تاريخ سوريا الحافل بحمامات صراعات اختلاف الأديان المعزّزة باستيهامات المخدوعين المغيبين، ومصالح المحتلين والمستبدّين والمتواطئين؛ يتجلّى نص هذه الرواية، عالماً مشدوداً بين ثنائية الحُب والموت، ومعلّقاً بسحر ومآسي «الحب المستحيل» الذي ينبض بمحاولات البشر اليائسة لتفكيك ظلال الصراعات الدينية التي تقتل الحب بين البشر، وتحدّي جدران القيم والأعراف التي تحجزهم عن تحقيق سعادتهم، مع الكشف العميق عن حركة داخل شخصياتهم في حركة هذه الصراعات.

في شغل عمله الملحمي، على بلورة الحبّ المستحيل وصراعات البشر من أجل الخلاص، في ظلال التكوّن التاريخي للشخصيّة، تحت الاحتلال والاستبداد والمجازر، يكوّن خليفة بنيةً متماسكة لتكامل وتفاعل أدوات هذه البلورة الحافلة بوثائق عن العصر، ومخطوطات للشخصيات، وثقافة مدركة، ومعرفة ظاهرة أو مختزنة في اللاوعي عن الرواية وتحققها في السينما، مع خيال طليق مصقول بثقافة رفيعة. ويفرُدُ أجنحة هذه البنية لتحلّق بسلاسة في سماء عشرة فصول، بعناوين وتواريخ غير خاضعة للتسلسل الزمني الذي يبدأ كما يبدو عامَ 1881 في ماردين، وينتهي عام 1951 في دير زهر الرمان بقرية حوش حنّا التابعة لحلب بالنسبة لختام مصائر أبطاله، كما ينتهي بين صيف 2015 وربيع 2019 في دمشق، وكمبرليج وبوسطن، بحسبان دخول الكاتب كمدوّن وصاقلٍ ومبدعٍ لهذه الرواية في النص.

في اقتراب الكاميرا من قلب هذه البنية، تتجلى صورة آسرة لحياة صديقين متفردين، مسلم ومسيحي، هما حنا كابرييل كريكورس، وزكريا أحمد البيازيدي، ترتبط حياتهما ويتطور مصيرهما، مع مصائر الشخصيات المرتبطة بهما، ليعكس حياة وتطور مصيرَ المدينة التاريخية المتفردة حلب، بين نهايات القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين.

في مصائر الشخصيات والعائلات والمدينة، تطفو كما الجثث في طوفان الفرات الذي يفتتح به خليفة روايته، على السطح، في تداخلٍ لا يخضع لتسلسل زمني داخل العميقة لعمل ملحمي يتناول مصائر عوائل مختلفة الأديان ومتشابكة العلاقات، بدءاً من وحدة جذور بعضها التي انقسمت بفعل القهر والانصياع إلى ضرورة تغيير دينها من أجل الأمان والعيش، مروراً بعلاقات التشارك التجاري، وعلاقات الصداقة، وانتهاءً مأساوياً بعلاقات الحبّ الذي لا يعرف التمييز بين الأديان وبالأخصّ الذي يشمل المسلمات.

تتجلى صورة آسرة لحياة صديقين متفردين، مسلم ومسيحي، هما حنا كابرييل كريكورس، وزكريا أحمد البيازيدي، ترتبط حياتهما ويتطور مصيرهما، مع مصائر الشخصيات المرتبطة بهما، ليعكس حياة وتطور مصيرَ المدينة التاريخية المتفردة حلب، بين نهايات القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين.

في مصائر الشخصيات والعائلات والمدينة، تطفو كما الجثث في طوفان الفرات الذي يفتتح به خليفة روايته، على السطح، في تداخلٍ لا يخضع لتسلسل زمني داخل وبين الفصول، حياة المدينة وعلاقاتها بريفها، وتدخل متشابكة في هذه الحياة أرستقراطية حلب المتداخلة بأرستقراطية أوروبا، مع مآسي فقرائها وضحايا الذين عانوا من مجازر محتلّيها، وتتألق في مشهدية آخّاذة وحافلة بالتعاطف الإنساني الكشاف حياة النساء اللواتي دفعهنّ الظلم إلى حياة الدعارة في «بحسيتا»، وكهوف الشوارع الخلفية لمدينة حلب، مع إثارة صارخة لمُدينة لما تعرّضن له من مصائر مخزية، على أيدي المتشددين الإسلامويين. ويتداخل في هذه المشهدية حلم الرجال بجنة تتجلّى في قلعة قصص آسرة للحبّ المستحيل بين المسلمة سعاد البيازيدي وحنا كريكورس المسيحي الذي ربته عائلتها كابن لها بعد مجزرة قتل جميع أهله، وبين وليم البيازيدي المسلم والأرمنية مريم التي اختارت الزواج من تركي مسلم بحثاً عن الأمان وعاشت تمزّقها المأساوي بين زواجها وحبيبها، وبين وليم ميشيل استامبولي المسيحي كذلك وعائشة المفتي المسلمة التي رفضت الضابط العثماني وتم قتلها مع حبيبها ببرودة من قبله. ويتوّج خليفة قصة الحبّ المستحيل هذه بقصة «خائن العشق وقاضيه، إمام العاشقين»، صالح العزيزي، الذي هام بعائشة، ودلّ الضابط على مكان اختفائها مع حبيبها، شرط قتله وتركها، واغتال الضابط العثماني القاتل على عدم الوفاء بشرطه، ثم هام مردداً كلمات رسائلها لحبيبها كصوفي شُغفَ صوفيي حلب وأصابهم بعدوى هذا العشق.

ومع النسج المتداخل لتطوّر هذه الشخصيات والشخصيات التي ارتبطت بها، مع أحداث حياة وحب وموت هذه الشخصيات، في ظل حياة ومآسي عصرها الذي تجسّده، يصوغ خالد خليفة رواية ملحمية حقاً، بأسلوب شاعري ثري، وبجمل قصيرة متلاحقة لا تقطع الأنفاس دون إمتاعها بالدهشة، وتتميّز مع استخدام فعل الماضي للسّرد، بقطع جمل الماضي بفعل الحاضر، لتجسيد مشهدية سينمائية تركّز الحدث كفعل في ذات القارئ وتُشركه في القيام به. كذلك يتوّج خليفة أسلوبه بواقعية سحرية تتألق على يديه بغنى الواقع الذي يُخلص بالغوص عميقاً في دواخله، واستخراج حقائق كنوزه، وتستدعي هذه الواقعية إلى ذاكرة القارئ المطّلع أعمالاً ساحرةً تناولت الوجود والموت والحب البشري، وتطوّر العائلة، بتألق هدم أمامها جدران محلّيتها، مثل «مائة عام من العزلة»، و«حبّ في زمن الكوليرا» للكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز، و«عدّاء الطائرة الورقية» للأفغاني خالد حسيني، والروايات التي تناولت رسائل الحاشد السرّي، وتمّ تصويرها أعمالاً ناجحة» للمسلسلات التلفزيونية والسينما، مع الإشارة إلى تميّز واستقلالية خليفة بتأكيد عن هذه الأعمال.

في ما قبل ختامه البالغ النجاح والتأثير، برسالة سعاد البيازيدي لحنّا في حبّها المستحيل له، وهي تودّعه، وردّ حنّا على رسالتها، لا تسع العينَ سوى حرارة الدمع على الحبّ الذي يذهب، والأوطان التي تتناثر مندرةً بالانقراض، كما الرّمز الواقعي لديناصور حنّا الذي اكتشفه وخزّنه في غرفةٍ مغلقة، وانفجرَ أمام عائشة البيازيدي، زوجها يوسف عارف آغا، إلى غبارٍ علقتْ ذرّاته بثيابهما، مشيرةً إلى ما ينتظر البشر من مآلات مؤسية لحماقاتهم، وإلى ما بين أيديهم من مباهجَ يُتعسون أنفسهم وغيرهم بالتفريط فيها: «حبيبي حنا لو كنتَ قريباً منّي لطلبتُ منك أن تبتعد، لا أريد أن أفقد تلك الروعة التي أشعر فيها بتحوّلي إلى كائن يفتح رحمه متى أراد، يتذوّق عسل الحب، ثم يُغلق الرحم كما كنّا نفعل حين كنّا صغاراً وننهب قطرميزات العسل في قبو المؤونة. لن تخرج من رحمي حتى بعد موتي، ستبقى تنعم بتلك الرطوبة الرائعة، تسبح في تلك المياه النقيّة، تغفو على سرير القدّيس الليّن كما فعلتَ لخمس وخمسين سنةً لا ستين كما ظننتُ أول الرسالة. نمْ يا حبيبي. لن يراك أحد. لن يرى طيفك سواي».

وفي خاتمه الذي ينهي به حياة الصديقين كما بدأت على شاطئ الفرات الذي تفور مياهه بفيض ما يذكّر البشر بمعاني حيواتهم؛ لا تكتمل في ذات القارئ روايةٌ ملحمية آسرة فحسب، بل تدخل كذلك دون أن يدري بواعث حقد قتله وتركها، واغتال الضابط العثماني القاتل على عدم الوفاء بشرطه، ثم هام مردداً كلمات رسائلها لحبيبها كصوفي شُغفَ صوفيي حلب وأصابهم بعدوى هذا العشق.

ومع النسج المتداخل لتطوّر هذه الشخصيات والشخصيات التي ارتبطت

«الإيمان بماذا؟» محاورات أُمبرتو إيكو وكارلو مارتيني: والاحتياطي الكبير من الأمل

باسم المرعبي

أحالني الحوار المتضمّن في كتاب «الإيمان بماذا؟» والذي نُشر، بدايةً، كرسائل متبادلة، أوائل العام 1995، واستمرّ حتى مطلع 1996، على صفحات مجلة «ليبرال» الإيطالية باقتراح منها، بين الإيطاليَين الكاتب أمبرتو إيكو والكاردينال كارلو ماريا مارتيني، بمستحتهما العلمانية للأول، واللاهوتية للثاني؛ أحالني إلى أكثر من تجربة مماثلة وشخصية، كانت سبّاقة أو زامنت أفكارها، موضوع الكتاب، في الدعوة إلى الانفتاح، مثل الأب يواكيم مبارك وجهوده المبكرة في تعزيز الحوار بين المسيحية والإسلام، أو بين الأديان التوحيدية الثلاثة، عموماً. كذلك السيد محمد حسين فضل الله، ودعوته، لاسيما أواسط التسعينيات، الشبيهة بدعوات الأب مبارك للحوار والانفتاح، كما ثمة الإيطالي مايكل أنجلو ياكوبوتشي، صاحب الكتاب الموسوعي «أعداء الحوار ـ أسباب اللاتسامح ومظاهره». هذا بتجاوز جهود ومبادرات أقدم عهداً كرسالتي لوك وفولتير، المعروفتين، «في التسامح».

لقد كان الانفتاح على الآخر المختلف، جوهر ما انطوت عليه مخاطبات إيكو ومارتيني، سواء كان هذا الانفتاح يُنشَد في الديانات ولها أو ما بين فروعها، أي مذاهبها، وهو هنا انفتاح ذو طابع ديني، وغير بعيد عن ذلك، ثمة الانفتاح المتمثّل بالعلماني على اللاهوتي أو العكس، ومثاله هذا الكتاب. لكن على الرغم من خصوصية صبغة الحوار، هنا، أو في الأقل خلفيته إلا أنه في العمق وكما أُريدَ له، كان أقرب إلى مقترح أو مشروع عالمي لحوار واسع يتخطى، دون نبذ الهويات أو الخصوصيات الثقافية، الديني ومشتقاته، كما العرقي والمناطقي وكل أشكال الفروقات. في هذا الحوار يتوصل إيكو إلى دحض الانطباع السائد عن طبيعة المناقشة بين العلماني والديني، ونزعة الديني إلى مواجهة سؤال العلماني بسؤال مقابل، حيث نجح المتحاورَان في التغلب على هذه العقبة ومواصلة الحوار في مناخ مثالي من الاحترام والتفهّم المتبادل حدّ أن إيكو قال: «قمت ولثلاث مرات بتدمير الأسطورة القائلة بأن اليسوعيين يجيبون عن السؤال بسؤال آخر».

يتهيكل الحوار على أربعة أسئلة اتخذت شكل وطبيعة المباحث، اقتضت، بدورها، أربع إجابات موسّعة، وكان المبادر بالأسئلة الكاتب أمبرتو إيكو، خلا سؤال واحد، هو الأخير، ختم به الكاردينال مارتيني النقاش، الذي أشار إلى شكوى قطاع من القرّاء من صعوبة الحوار، ليجيبه إيكو، بأن ذلك يرجع إلى تعوّد البعض التفكير ببساطة شديدة. وهو ما توقفت عنده، أيضاً، المترجمة في مقدمتها، لتقتبس رأياً «حازماً» للكاتب يتصل بالموضوع، من روايته «العدد صفر»، يقول فيه: إن واجب المؤلف ليس كتابة ما يعتقده القارئ لأن المشكلة ليست فيما يحتاجه بل فيما يجب أن يتغير فيه.

يُستهل النقاش بسؤال ـ مبحث حول «فرضية» نهاية العالم، والتي راجت، كما هو معروف، عند أعتاب الألفية الثالثة، وإن لم يكن مثل هذا الهاجس بالجديد على البشرية التي عاشت وتعيش على الدوام هلع فكرة نهاية العالم، خاصة إذا كان هناك ما يحرك ويوقظ هذه المخاوف، فصورة (الحشود التي تنوح بانتظار فجر لن يشرق أبداً) والمرتبطة بالنهاية، قد هيمنت على الفكر لمدة عشرين قرناً، بتعبير إيكو. من هنا كانت فرق ما يُعرف بالمليارية المرتبطة بفكرة النهاية عند كل ألفية. حتى إسلامياً، ثمّة الحديث وإن لم تثبت صحته «أن الدنيا تؤلف ولا تؤلفان». غير أنّ القرآن ينطوي على ما هو أكثر وضوحاً وحسماً وثباتاً بخصوص الكلام عن الساعة وقيامها وأشراطها، ولا عجب إن التقى في ذلك مع الديانات الأخرى حتى في بعض التفاصيل. غير أن هذا الهاجس، في أزمنتنا التي نعيش، صار يُغذّى من منابع لا دينية كما يلوّح إيكو، بتجاوز مرجعه الأساس وهو الإصحاح 20 من «رؤيا يوحنا»، الذي يراه مارتيني، أي السفر بمجمله، خزان صور مرعبة. لكن حتى أولئك الذين لم يقرأوا هذا السفر، صار بإمكانهم قراءة العلامات المبشرة بالنهاية، قراءة محض بيئية، اقتصادية، في ضوء «منجزات» العصر وكوارثه. كما (في المخلفات النووية، والأمطار الحامضية، وغابات الأمازون الزائلة، وثقب طبقة الأوزون، والجوع في القارات كافة، والأوبئة الجديدة، وهجرة الجموع الفقيرة المزقة التي تطرق أبواب المترفين، والتغيرات المناخية)، وسوى ذلك.

وهو ما يجد توافقاً مع قناعات وفهم الكاردينال مارتيني، الذي يرى أن التهديدات البيئية حقيقة ماثلة وهي مقلقة بسبب من طبيعتها العلمية، على العكس من أوهام الماضي التي كانت سائدة. وبالتفاتة شعرية منه تبعث بنفخة أمل، عند تعليله دوافع الأدب المروّع، كما تندّ عنه نصوص نهايات العالم، إذ يعتقد أنّ وراء ذلك تكمن جموع من المقهورين بفعل وطأة أشكال متعددة من المعاناة وهم لا يجدون حيلة للخلاص إلا بانتظار زمن تدكّ فيه القوى الكونية، الأرضَ لتسحق أعداءهم. ليخلص إلى القول (إن أيّ كتابة عن نهاية العالم تحمل معنى طوباوياً كبيراً واحتياطياً كبيراً من الأمل، لكنه يمشي جنباً إلى جنب مع استسلام مرير للحاضر). إذاً بإلحاح من هاجس رأس الألفية الجديدة أو كما يسميها الكتاب «الهوس» وما كان يعنيه، وقتها، تمت دعوة هاتين الشخصيتين إلى هذا الحوار، بوصفه تبادل أفكار بين رجال أحرار، كما أراد له إيكو أن يكون وعبّر عنه في استهلال رسالته الأولى إلى مارتيني الذي يُنظر إليه كأستاذ للحياة الفكرية والأخلاقية، ليس لأتباعه فقط بل حتى لأولئك الذين لا يخضعون إلا لسلطة العقل وحدها، حسب تعبير إيكو، ليتبيّن القارئ المنزلة التي يتمتع بها المحاور الند الذي اختارته المجلة لهذه المهمة.

أولى التفاتات إيكو، «المتحررة» هو تخليه عن استعمال أي لقب لمحاوره، لتبدأ رسالته بـ «العزيز كارلو ماريا مارتيني»، مستدركاً، أن ليس في ذلك أيّ نوع من قلة الاحترام، مبدياً انبهاره بطريقة الفرنسيين عند إجرائهم مقابلة مع شخصية ما، حيث لا ألقاب، وتكون المخاطبة بالاسم مجرداً. على أن التوقف عند تفصيل كهذا بدا أنّ له ما يبرره ضمن فسيفساء، شاملة، إن صح القول من الفكر والفلسفة والأخلاق والمنطق والنزوع الشعري، في الآن ذاته، إن عزّت البراهين المجسّدة أو مع وجودها. حتى وإن بدت الموضوعات المثارة، من إيكو، بشكل خاص، ذات طبيعة على صلة مباشرة بالكنيسة أو موجهة لها، وهو ما فرضته متطلبات وتصميم هذا اللقاء، في الأصل، كما في الحديث عن الإجهاض أو المرأة والكهنوت، لكن هذه لم تكن سوى عناوين وعتبات غايتها أن تفضي إلى رحابة الحياة ذاتها، فالحديث عن الأول، مثلاً، يتحول إلى الحق في الحياة بالمطلق دون المساس بحقوق المرأة المعنية بالموضوع بشكل أساس، كونها (المكلفة بأرق وأنبل ما في العالم) ويذكّر هنا مارتيني، وبشكل حميمي، القارئ أو محاوره أن المسألة تتعلق بالوجوه، وهو يعني وجه الطفل المتشكل حديثاً، لكأنه يتساءل عن مدى إمكانية شطب مثل هذا الوجه الصغير، الجميل. ليستعير من الكاتب «إيتالو مانسيني» ما يدعم رأيه بمجاز الوجه، والمقتبس هنا بتكثيف وتصرّف: إنّ علمنا لكي يكون ملائماً للعيش وللحب، ما كان ليُخلق من أحداث من التاريخ أو من ظواهر طبيعية بل من تلك الوجوه، الوجوه الجديرة بالنظر إليها والجديرة بالاحترام والرعاية.

وغير بعيد عن ذلك يتساءل إيكو عن الأسباب التي تدفع الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الشرقية عموماً، القائمة منذ ألفي سنة، كما ينبّه إلى هذه الأخيرة، مارتيني، إلى حرمان المرأة من دخول سلك الكهنوت.

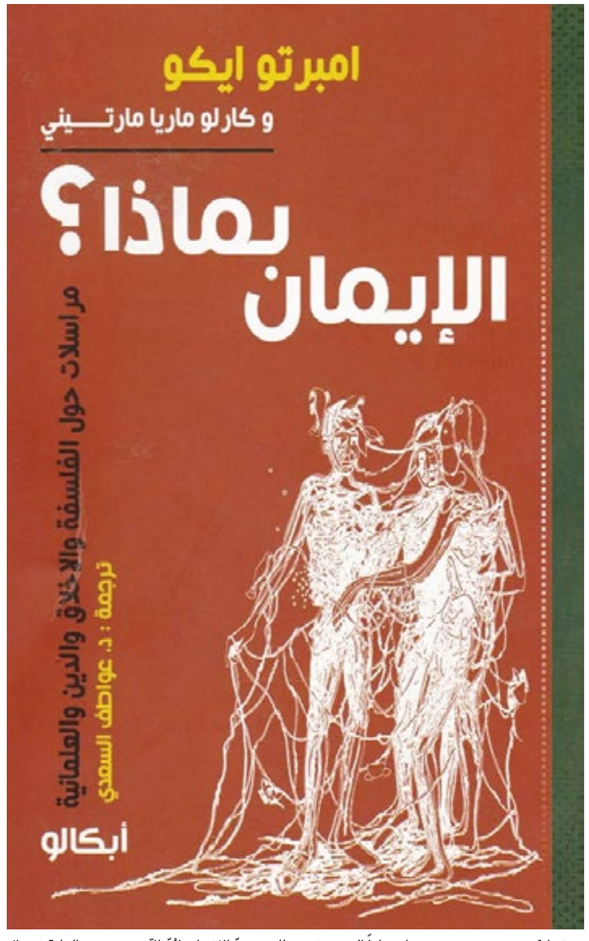

ويعتقد إيكو، وهو يعرض حججه، استناداً إلى معرفته المعمقة، أن ليس من سبب لذلك، وهو هنا ينطلق من خلفيته اللاهوتية، فقد تلقى تعليماً كاثوليكياً حتى سنّ الثانية والعشرين، وهو لا يتوانى عن القول أنه ما زال بعد سنوات طويلة يشعر بالرعب ويرتجف من تدنيس المقدسات. كما يلامس إيكو نقطة في غاية الحساسية، لما يترتب عليها من مآل قد يقود إلى الصراع، تلك هي المتعلقة بفرض نمط محدد من الحياة على العلماني، من وجهة نظر دينية، مطالباً باحترام خصوصيته وخياراته التي يُراد لها أن تكون حرة، ويرى بالمقابل أنه لا يحقّ للعلماني توجيه النقد لنمط حياة المؤمن، إلا في حال مخالفته قوانين الدولة وعدم الخضوع لها، غير أن هذه ليست بالشيء المطلق أو ما لا يمكن تغييرها، كما يستدرك مارتيني في رده، على هذه الجزئية. المبحث الأخير تمثّل في سؤال مارتيني الذي يتلخص باستفهامه عن الأساس الذي يبني عليه العلماني اليقين والضرورة في عمله الأخلاقي؟ والذي يمكن إيجاز إجابة إيكو في إطارها الذي يجعل من الآخر، ولا شيء سواه، المعيار الذي تقوم على أساسه أفعال العلماني، وصولاً إلى التضامن والإيثار للغير، حدّ الافتداء، لأنّ الآخر يغدو هو الغاية في ظل غياب القوى الميتافيزيقية، بالنسبة للتفكير العلماني. يعلّل مارتيني سؤاله، بأنه من أجل التشجيع على تعاون أوثق في القضايا الأخلاقية بين المؤمنين وغير المؤمنين. من هنا يمكن أن توجّز روح هذا الكتاب، بأنّ طرفي الحوار كانا يبحثان عن نقاط الالتقاء لا الافتراق، خوضاً في الكليات، عبوراً للتفاصيل واستبعاد ما يمكن أن يشكل تعارضاً، ليصف إيكو ذلك، أي التغاضي عن ما يفرّق بـ «النظر إلى أعلى»، دون التفريط بمبادئ الاختلاف والحق فيه.

تبقى ملاحظة لابد منها، تخص الأخطاء اللغوية والطباعية والأسلوبية في بعض مقاطع الكتاب، كان من الضروري تلافيها، انسجاماً مع أهمية الموضوع وجهود المترجمة بما في ذلك مقدمتها للكتاب.

أمبرتو إيكو وكارلو ماريا مارتيني:
«الإيمان بماذا؟»
ترجمة: د. عواطف السعدي
دار أبكالو، ميونيخ 2019
142 صفحة.

المقال

زياد ماجد

أوهام لبنانية أثارها سجالٌ حول عميل

سهى بشارة لحظة تحريرها، مع الراحل جورج حاوي الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني

أثارت السجالات التي دارت في لبنان مؤخراً إثر عودة المدعو عامر الفاخوري، المسؤول السابق في الميليشيات العميلة لإسرائيل والسجّان في معتقل الخيام، إلى بيروت مجموعة قضايا ترتبط بالحرب والذاكرة والعفو والتعامل من الاحتلال الإسرائيلي ومقاومته. وظهّرت عمق الانقسامات بين اللبنانيين واختلافهم العميق على تاريخهم القريب، في ما يتخطّى الموقف من النظام السوري، رغم ادّعاءات المصالحة ووثائق التفاهم والتحالفات العريضة وما نسجته من أوهام وسوء تقدير.

ويمكن التوقف في هذا الصدد عند نوعين من الأوهام. واحدٌ يميني مسيحي ظنّ سرديّته حول الحرب ومساقاتها ودوره فيها قد تحوّلت في السنوات الأخيرة إلى بداهة على غيره القبول بها وبحصريّة حقّه في تداولها. وثانٍ يساري شيوعي ظنّ شحذ العصبيات يُعيد له اعتباراً ما فتئ يبحث عنه في نظر أسياد السياسة اللبنانية الراهنين.

في الوهم اليميني المسيحي

أثبتت تيارات اليمين المسيحي، بمعظم تلاوينها، أن ما يجمعها لا يقلّ أهمّية عمّا يُثير الفرقة في صفوفها ويدفعها إلى التحالف مع أضداد مسلمين ومع رعاتهم الإقليميين. وقد تجلّى الأمر مراراً في السنوات الأخيرة رغم النفي والمكابرة، إن عند البحث في قانون الانتخاب والتمثيل السياسي الطائفي، أو لدى إثارة قضية منح المرأة اللبنانية الجنسية، أو عند الحديث عن حقوق اللاجئين الفلسطينيين والسوريّين الاقتصادية والاجتماعية، أو حتى عند الخوض في المزايدات تغنّياً بأمجاد ماضٍ مفقود ومحاولة تعويضه بادّعاءات بعثٍ واستعادة قوة راهنة. وإذا كان العونيّون قد استظلّوا بعباءة حزب الله واستعارُوا بعض مواقفه المناقضة لجوانب من تاريخهم واستفادُوا من براغماتيّته وانتهازيته السياسية ليمرّروا باقي مقولاتهم ويوصلوا أخيراً مرشّحهم إلى رئاسة الجمهورية فيتقدّموا في المشهد السياسي على منافسيهم، فإن الأخيرين، أي مسيحيّي 14 آذار «الحزبيين»، بدوا مع التراجع النسبي للحريرية وتقلّص الرعاية الخارجية لها ودخولها في تسويات سلطوية مع العونيين، الفئة الأكثر اضطراباً في خطابها وفي توهّم قدرتها على توسيع استقطابها. فراحت تقلد العونيين تارة في تشدّدهم تجاه ما يسمّى «حقوق المسيحيين»، أو تبزّهم تارةً أخرى تغنّياً بالماضي الحربي والكفاحي، أو حتى تُعلي شأن محور إقليمي (سعودي - إماراتي) تريد له التفوّق على «محورهم الإيراني».

على أن مناسبة رجوع العميل الفاخوري إلى لبنان والتهجّم على المقاومة سهى بشارة قلّصا مرّة جديدة المسافة الفاصلة بين التيارات المذكورة، ونقلا العونيين إلى موقع المواجهة مع يسار شيوعي خاض بين العام 1978 والعام 1989 الحرب الأهلية ومقاومة إسرائيل في الوقت نفسه. وممّا نجم عن المواجهة هذه أن معظم مسيحيّي 14 آذار تفاجأوا بسطو العونيين على ما كانوا يتغنّون هم به ويردّدونه في الحرب قبل ولادة العونية ذاتها. وتفاجأوا أكثر بردود أفعال اليساريّين الخارجين من التجارب الحزبية، ممّن ظنّوهم انقلبوا في السنوات الأخيرة على ماضيهم والتحقوا بهم، فإذا بهم يُستنفرون دفاعاً عن سهى بشارة وعما حفرته مقاومة إسرائيل وعملائها في ذاكرتهم وتجاربهم الحيّة.

وفي حين يبدو سبب المفاجأة الأولى جهلهم رغم كل التجارب بمدى براغماتية حزب الله الذي تمنّوا قمعه لاندفاعة حليفه العوني بما يضعفه، فإن مردّ مفاجأتهم الثانية قائم في توهّمهم أن التحالف الظرفي الذي أقامه معهم يساريون للتصدّي لنظام الاغتيالات الأسدي وسيطرته وأعوانه على لبنان، كاف لتحييدهم عن أي سجال حول مسألة التعامل خلال الحرب والاحتلال مع إسرائيل، أو لجعلهم يقبلون بتبرير التعامل المذكور بحجة تحالف اليسار وقتها مع المقاومة الفلسطينية.

... وأوهام شيوعيين

في مقابل هذه الأوهام اليمينية المسيحية وتناقضاتها، برزت أيضاً أوهامٌ أحجام وأدوار عند بعض اليسار، الشيوعي تحديداً، قوامُها استغرابان. الأول، ارتبط بصمت حزب الله تجاه السجال بأسره، في حين كان الشيوعيّون يتوقّعون أن ينصرهم في دفاعهم عن مقاومة وهجائهم لعميل. والثاني، انطلق من تمنّع اليساريّين المتقاطعين معهم في مواقف مرتبطة بالماضي عن مواكبتهم في الحاضر أو منحهم مشروعية ووكالة ليقولوا ويفعلوا ما قد يؤمّن لهم مواقع في المعادلات السياسية القائمة...

في الاستغراب الأول، يبرز مزيج من السذاجة والرغبة المستمرّة في استرضاء المتسيّد على الحياة السياسية اللبنانية، وتجاهل أنه لا يعبأ بسجالات ولا يتحرّك وفق خطوط أو مبادئ ما لم يكن هو واضعها ومحدّد المعايير الخاصة بها انطلاقاً من علاقة أي طرف به وبمصالحه السياسية والأمنية. أما في الاستغراب الثاني، فتتغلّب الرغبة الشيوعية بأحادية تمثيل اليسار على ما عداها، وتتناسى الخلافات العميقة مع باقي اليساريين حول الموقف من حزب الله تحديداً ومن النظام السوري، المتّهمين باغتيال جورج حاوي أمين عام الحزب الشيوعي الأسبق، والملتبسة مواقف قيادة الحزب تجاه الاتهام، بين الحياد والرغبة في التبرئة والتشكيك بالجهات المتّهمة.

يضاف إلى كل ذلك، أن تأثير الشيوعيين ومعهم جميع اليساريين في التوازنات السياسية اليوم شبه معدوم، وأن استحضارهم من قبل اليمين المسيحي يرتبط بشحنه هماً وعصبيات في بيئاته، تتكئ إلى الماضي كما ذكرنا والى أوهام الحاضر، أكثر من اتكائها إلى أي أمر واقع.

في المحصّلة، ذكّر ما جرى بمجمله بهشاشة التفاهمات والتحالفات والخصامات اللبنانية، وأكّد من جديد تبعثر الاصطفافات التي سادت بعد العام 2000، وانحسرت أسباب قيامها تدريجياً بعد العام 2009، لتتلاشى تقريباً منذ الانتخابات الرئاسية العام 2016...

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

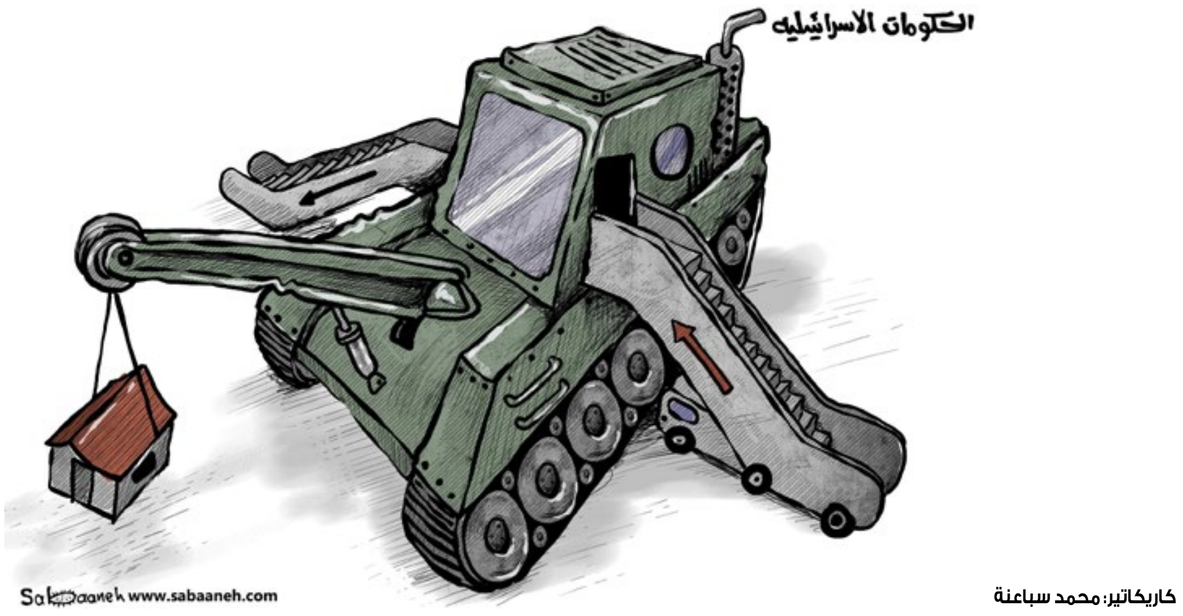

كاريكاتير: محمد سباعنة

مشاركة الفرح ضرورة أم ترف؟

أمير تاج السر

اعتدنا جميعا بمجرد صدور كتاب لنا، أو اقتراب صدور كتاب، أن نشارك بغلافه في مواقع التواصل الاجتماعي، إن كان الغلاف حاضرا، أو مجرد الإعلان، إن لم يكن موجودا، ثم الجلوس فرحين ونشيطين، لتلقي التهاني التي في الغالب يشارك بها أصدقاء عديدون موجودون على صفحة كل واحد منا، وقد يأتي الإعجاب بالأمر أيضا، من متابعين، غير مسجلين في قائمة الأصدقاء، وهكذا يصبح الكتاب الذي سيصدر، محورا لا بأس به لدى مبدعه ومن حوله، حتى يجدّ جديد ويطغى على ذلك، أو حتى يصدر فعليا ويتم تداوله أو لا يتم، لتبدأ حكاية أخرى، قوامها التي تبين وجوده في المكتبات العامة والخاصة، أو مفتوحا في أيدي بعض الناس، أو ملقى على الرمل في أحد الشواطئ، بجانب حسناء تقضي عطلة، وقد يكون البعض محظوظا، حين يعثر على لافتة في مكتبة، فيها كتابه ووضعت أعلاه، لافتة كتب عليها: بيست سيلر. وهذا الفعل الأخير بالذات يمكن افتعاله أو صناعته، حين يذهب واحد إلى مكتبة، يستعير لافتة بيست سيلر من كتاب آخر، يضعها على الكتاب المراد تسويقه، ريثما يلتقط صورة، ثم يعيدها إلى موطنها.

شيء آخر نفعله أيضا وبكل جدية، وهو نشر الصور بكثافة لكتبنا إن صدرت مترجمة، أو نشر أخبار عن ترجمات ستصدر لكتاب معين بعد توفره فترة لا بأس بها في اللغة العربية، وهنا أيضا نتلقى التهاني والتبريكات، من الأصدقاء، وغالبا ما ترد في سياق التهنئة، كلمات يحبها البعض مثل: الإنجاز، والعالمية، وغير المسبوق.. هكذا.

حقيقة تساءلت كثيرا عن مغزى أن نشارك بإعلانات من أي نوع عن كتبنا، الإعلان عن الصدور، عن التوفر في المكتبات ومعارض الكتب، الإعلان عن وجوده عند قراء، في الغالب فتيات جميلات، أو أشخاص ذوي شهرة ونفوذ مثل السياسيين والفنانين، والرياضيين، ثم نشر أغلفة الترجمة، روايتي بالتركية، بالإنكليزية، بالفنلندية، وبعضهم يكون مغامرا ويعلن عن ترجمة عبرية، بلا حذر، والبعض الآخر يكون مغامرا جدا، أو لنقل متفائلا حين يعلن قرب صدور ترجمة بلغة ما من دون أن يكون ثمة عقد أو التزام من أي جهة، مثل أن يلتقي بمترجم أوروبي، يعطيه نسخة من كتاب له، ويقول المترجم في تلك اللحظة، سأرى إن كنت سأترجمه، ونعثر في اليوم نفسه على منشور كامل يتحدث عن قرب صدور ترجمة للكتاب.

وأذكر في بداياتي في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، أن التقيت بمستعرب متوسط العمر، من جنوب افريقيا، كان يتجول بلا هدف في مقاهي الدوحة، ويزور معارض الفن التشكيلي، ليقتني لوحة من هنا ولوحة من هناك. تعرفت إليه بواسطة صديق، وأخبرته مباشرة، أن لديّ كتابا اسمه: مرايا ساحلية، هو سيرة لمدينتي بورتسودان التي تقع على شاطئ البحر الأحمر، وفيه الكثير عن أيام طفولتي، ومراهقتي، وسيعجبه كثيرا. المستعرب لم يبد متشوقا لقراءة الكتاب، لكنه طلبه مني وأعطيته له بإهداء باذخ، كتبت بالإنكليزية: شكرا.. ريشتارد، لعلك بساط الريح الذي سيقفز بمرايايَ إلى العالم.

كان شيئا مضحكا بالطبع والرجل استلم الكتاب، قرأ الإهداء، وردد: بالطبع، اعتبره في مكتبات نيويورك من الآن، ثم مضت سنوات طويلة، تكونت فيها تجربة كبيرة، بملامح مختلفة ولم يظهر أي أثر لريتشارد أو مرايايَ الساحلية.

تفاؤل آخر حدث، حين تعرفت إلى جيرالد مارتن، الذي كتب سيرة ماركيز الشهيرة، بعد أن لازمه ثمانية عشر عاما، لم يترك عنده صغيرة أو كبيرة حتى دونها. قال مارتن حين أعطيته كتابي «العطر الفرنسي»، وكان صدر حديثا بالفرنسية: ما دمت من عشاق ماركيز، سأقرأ كتابك بالفرنسية، وأعدك أن أوصي بترجمته للإنكليزية في أقرب وقت، لكن ذلك لم يحدث أبدا، مجرد لقاء انتهى سريعا، أعقبته أحلام غبية، ثم انتهى كل شيء. وبعد سنوات، جاءت ترجمات متعددة لـ«العطر الفرنسي» ليس لمارتن دخل فيها، ولا أظنه حتى قرأ تلك النسخة الفرنسية وكانت النسخة الوحيدة التي أملكها.

أردت هنا أن أتحدث عن موضوع مشاركة ثرثرة الكتب، وهي في الغالب ثرثرة فرحة، دغدغت شعور الكاتب أولا وأراد أن تصل إلى آخرين. هل هذا ضروري فعلا؟ أعني مشاركة البهجة مع آخرين، أم مجرد إجراء غير ضروري، يؤدى هكذا أتوماتيكيا بلا تفكير. فالكتاب حين يصدر، يتوفر في الأماكن التي يتعامل الناشر معها، بلا شك ويكون متاحا للقراءة، بلا أي ضجة، وهناك أصلا من لا يملكون صفحات تواصلية في أي من المواقع، ويجدون الكتب حين يريدون إيجادها.

لن أقلل بلا شك من أهمية التواصل، لكن أقول فقط وبناء على تجارب عديدة ومطولة - أن الأخبار الجيدة أو الحزينة التي تتزنح في مواقع التواصل، لا تبقى مسيطرة على أذهان الناس كثيراً، أياما فقط ويتم تداول أمور أخرى أحدث، بينما التواجد في أماكن بيع الكتب أو عرضها، يبقى مهما جدا، هناك يوجد الظل الذي يقي الكتب من هجير النسيان، وحتى الذي لن يشتري كتابا، سيقلبه بين يديه وقد يعود لشرائه في مناسبة أخرى.

كاتب سوداني

اليوم العالمي لتنظيف الأرض

نزل آلاف الناشطين إلى الشواطئ والأنهار في مختلف أنحاء آسيا السبت لجمع النفايات ولفت الانتباه إلى الكميات التي ترمى وذلك في اليوم العالمي لتنظيف الأرض غداة تعبئة شبابية جمعت أربعة ملايين عبر العالم لحض القادة على التحرك لمكافحة التغير المناخي.

وتدفق المتطوعون للمشاركة في اليوم العالمي لتنظيف الأرض، المبادرة التي تدفع بالملايين إلى الشوارع لجمع النفايات في مختلف أنحاء العالم منذ انطلاقها قبل حوالي عقد.

ويشكل التلوث الناجم عن استخدام البلاستيك أكبر مشكلة تواجهها دول جنوب شرق آسيا لكن خصوصا في الفيليبين المدرجة إلى جانب الصين وفيتنام واندونيسيا على لائحة دول العالم الأكثر مخالفة في هذا المجال.

أداب وفنون

بدأت من ثورة ظفار ولم تنته عند «الأسلوب المتأخر»:

في صداقة إدوارد سعيد

فواز طرابلسي

تعرفت إلى إدوارد سعيد في ظروف لا تشكو من الغرابة.

في تشرين الأول/أكتوبر من العام 1971 تسلّمت رسالة من شخص يدعى إدوارد و. سعيد، Edward W. Said عضو مجلس «رابطة الخريجين الجامعيين العرب الأمريكيين» يدعوني فيها إلى حضور مؤتمر الجمعية في بوسطن وتقديم مداخلة عن ثورة ظفار. كنت عائدا للتو من زيارة للمقاطعة الجنوبية من سلطنة عمان حيث تدور رحى ثورة مسلحة ضد السلطان سعيد بن تيمور المدعوم من عناصر من «الخدمات الجوية الخاصة»، وهي قوات بريطانية متخصصة في مواجهة الحرب الغوارية.

كنت في تلك الفترة أدرس لنيل شهادة دكتوراه في «كلية الدراسات الآسيوية والأفريقية» بجامعة لندن، وقد نظمت ومجموعة من الأصدقاء، منهم فرد هاليداي وهيلين لاكتر وكن ويتنغهام، «لجنة الخليج» للتضامن مع حركات التحرر الوطني في اليمن والخليج. بعد ذلك، عقدت أنا وفرد اتفاقا مع دار نشر «بنغوين» لتأليف كتاب عن تلك الحركات واستخدمنا الدفعة الأولى للسفر إلى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والمناطق المحررة من ظفار. في ظفار، كان همّنا الرئيس تحصيل معلومات ووثائق وصور تؤكد تورط قوات بريطانية في الحرب إلى جانب السلطان لدعم الحملة التي أطلقتها «لجنة الخليج» تحت عنوان «ظفار هي فيتنام بريطانيا». عدنا ومعنا صورا لحطام طائرة بريطانية وشيفرات للاتصالات ومقابلات مع مقاتلات ومقاتلين ومشاهد لجوانب من الحياة في المناطق المحررة.

كتبنا مقالات حول مشاهداتنا واستضافتنا إذاعة «بي بي سي» لندوة حول الموضوع وعرضنا على تلفزيون الهيئة ذاتها بضعة دقائق من المشاهد التي صورتُها بواسطة كاميرا بولكس التي أودعها بعهدتي فريق التصوير التابع لوزارة الإعلام اليمنية وقد رفضوا مواصلة الرحلة خوفا مما سمعوا عن مخاطرها.

أخذتُ دعوة «جمعية الخريجين العرب الأمريكيين» إلى السفارة الأمريكية وحصلت على تأشيرة. في اليوم التالي جاء موظف من السفارة إلى منزلنا وطلب من والدتي جواز سفري بحجة أنه وقع خطأ فيه مطلوب تصحيحه وأبلغ أنه سوف يعيد الجواز بأسرع وقت. فعلا، أعيد الجواز بسرعة ولكن كانت التأشيرة عليه مشطوبة بعلامةX بواسطة بيكار. أبلغتُ مراسلي في نيويورك بالحادثة فقيل لي: لا تهتم لقد كلفنا محامي الجمعية عابدين جبارة وهو سوف يتولى الأمر. بالفعل بعد أقلّ من أسبوع وردني اتصال من القنصل الأمريكي دعاني إلى المجيء لتسلّم تأشيرة سفر إلى الولايات المتحدة. حصلت على إذن بدخول الولايات المتحدة لأربعة أيام فقط، وقد أكّد لي موظف السفارة أن ذلك تمّ بتدخّل مباشر من وزير العدل الأمريكي.

في بوسطن، شاركت في ندوة ضمت أريك رولو وعبد الله الأشطل عن الثورة في ظفار واليمن وتعرفت بسرعة إلى مضيفي إدوارد. ثم قابلته لمدة أطول عند زيارته لبنان في صيف ذلك العام بمعية زوجته مريم قرطاس، زميلة الدراسة الثانوية والجامعية.

بعد تلك الزيارة المقتضبة إلى بوسطن مُنعت من دخول الولايات المتحدة لعشرين سَنة. قابلت إدوارد خلال تلك الفترة مرتين أو ثلاث مرات خلال فعاليات تتعلق بقضية فلسطين ودعم العمل الفدائي في بيروت. دعيت العام 1991 إلى الاحتفال بالذكرى العشرين لتأسيس «ميدل إيست ريبوتس» وهي من أنشط وأرصن المجلات التقدمية الأكاديمية عن المنطقة وكنت قد شاركت في الكتابة فيها من أول الأعداد. فوجئت لما منحتني القنصل في قنصلية الولايات المتحدة في باريس تأشيرة دخول لخمس سنوات دفعة واحدة. سألتها عما عدا مما بدا وأنا كنت ممنوعاً خلال عشرين سنة من دخول بلادكم؟ أجابت أني كنت ممنوعا على القائمة «ب» وقد ألغيناها بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. فهمت من هم المعنيون بالمنع على تلك القائمة من جراء جوابها على سؤالي عمن تحتوي القائمة «أ»: الإرهابيين.

كان أول ما قمت به عند وصولي إلى نيويورك هو زيارة إدوارد في منزله. كان ذلك في خريف 1991 وإدوارد لا يزال يعاني من صدمة الاكتشاف بأنه مصاب بالسرطان.

لاحقاً، جاءنا إدوارد إلى بيروت في غير مناسبة. في أحداها كان مدعواً إلى ندوة تكريمية في الجامعة الأمريكية، وأطلعني على عدد من الصفحات اختارها من سيرته الذاتية ليلقيها في المناسبة، وقد ترجمها له أحد الأصدقاء. أجريتُ بعض التعديلات على الترجمة. قبل أن يغادر، سألني: هل أنت مستعدّ لترجمة السيرة الذاتية عندما تصدر؟ أبديت الاستعداد لذلك واشترطت: «لغتك عويصة وحصيفة؛ سوف أفككها وأبسّطها وأعيد تركيبها باللغة العربية». وأردفت: «أريد أن أجعلك تتكلم العربية». قال: «انا موافق». وهكذا صار.

خلال العمل على ترجمة «خارج المكان» تبادلنا الأحاديث والتعليقات عن بعض خصوم إدوارد، وهم حينها صادق جلال العظم وكنعان مكية وبسام طيبي وآخرون.

في 15 أيار/مايو من العام ذاته، انسحب الجيش الإسرائيلي من الأراضي المحتلة في الجنوب اللبناني وكنت على الإيميل مع إدوارد وأنا أتابع زحف أهالي الجنوب باستعادة أراضيهم والاحتفالات تعمّ البلدات والقرى فكتب لي إدوارد يحيي «الانتصار المذهل» الذي أحرزه من اسماهم «شباب حزب الله».

بعد صدور الترجمة العربية من «خارج المكان»، كتب لي إدوارد عن المدائح التي تلقاها لـ«ترجمتك الرائعة». وكان يبلغني عن وضعه الصحيّ بين وقت وآخر. يدخل المستشفى ويعود إليه بعد حين، حيث تجرّب عليه عقارات وعلاجات جديدة، لكنه لم يتذمّر مرة: «المعنويات عالية»، يقول، «رغم أن جسمي ليس كذلك».

في تموز/يوليو من ذلك العام زار إدوارد لبنان مع عائلته وأراد زيارة الجنوب. الحادثة التي وقعت خلال تلك الزيارة تستحق وقفة لما أحاط بها من تأويلات والتباسات.

نظمتْ لإدوارد الزيارة بالتعاون مع الصديق الأستاذ حبيب صادق. توقفنا في مركز «المجلس الثقافي للبنان الجنوبي» في النبطية ومعتقل الخيام. أصرّ إدوارد في بداية الزيارة على أنه لا يريد أن يدلي بأي تصريح للصحافيين والإعلاميين. تصرّفت أنا والأستاذ حبيب على هذا الأساس وأبلغنا الصحافيين بمشيئة الزائر. لكن بعد أن خرجنا من المعتقل إذا بإدوارد يتوسط حلقة من الصحافيات والصحافيين تحت شمس حارقة وأنا والأستاذ حبيب وأسرته في انتظاره تحت فيء الشجر. بعد زيارة للأستاذ حبيب صادق في منزله في الخيام، توجهنا نحو «بوابة فاطمة» بناء على رغبة إدوارد في زيارتها. رافقنا في الجولة فريق تلفزيوني من «المنار» وكامل جابر، مراسل جريدة «السفير» في النبطية.

عند الشريط الشائك كان مسلحون من حزب الله بالثياب المدنية جالسين إلى مقعد في مقابل برج حديدي مشاد من الجهة الإسرائيلية للحدود، يطلّ منه جندي إسرائيلي بين الفينة والأخرى. دعانا المسلحون إلى تناول الحجارة من كومة جاثية أمامهم لرجم الجندي المحصّن، على ما اعتاده زوار الحدود، بعد التحرير، للتعبير عن سخطهم على الاحتلال وعلى استمراره على أرض فلسطين. تحدّث نجلا أبانا أن يرمي حجرا. وانضم اليها أخوها وديع. قلت لإدوارد: «سأنضم إليك إن شئت أن تفعل». هكذا حصل. يُرى إدوارد في الصورة يرمي حجره بيني وبين الرفيق مروان، المقاوم في منظمة العمل الشيوعي الذي كان يرافقنا. لا داع للقول إن الأحجار الثلاثة وما تلاها لم تمسّ الجو أصلا. لكن المشهد سجّلته كاميرا قناة «المنار» التلفزيونية وآلة التصوير الفوتوغرافي خاصة كامل جابر.

في ظهر اليوم التالي كنا على الغداء في منزل الياس خوري، المجاور لمنزلي الصيفي في بلدة عينياب، عندما اتصلت شقيقة زوجة الياس، جاكي جريصاتي، الصحافية في وكالة الصحافة الفرنسية، تطالبه بصور إدوارد يرمي الحجر على الحدود وقد علمت بالأمر من الشريط الذي عرضه تلفزيون «المنار» في المساء ومن الصور التي التقطها كامل جابر وترك نسخا عنها لإدوارد في فندقه ببيروت. أبلغ الياس جاكي، بناء على موافقة إدوارد، أن تمرّ على فندق إدوارد وتأخذ الصور. وهكذا كان.

انتشرت الصور وبدأت معها حملة شرسة على إدوارد في الولايات المتحدة، نظمتها هيئات صهيونية وأنصار إسرائيل، وهو الموصوم أصلا بتهمة «فيلسوف الإرهاب». تصاعدت الحملة حتى بلغت الضغط على إدارة جامعة كولمبيا لطرد إدوارد من السلك التعليمي. علمت لاحقا أن إدوارد تألم كثيرا من تلك الحملة.

لما سمعت بالحملة، اتصلت بـإدوارد متضامنا فبادرني: «كان يمكنني أن أخدمك أنت ورفاقك اليساريين بطريقة أخرى غير تلك الطريقة». بدا كأنه يحمّلني المسؤولية عن توريطه في الزيارة التي سبّبت له الحملة التي يتعرّض لها، مع أن زيارة الجنوب تمت بناء على طلبه، وأن دوري فيها لم يتعدّ التنظيم والاستقبال، وعلماً أن زيارة بوابة فاطمة كانت استجابة لرغبة إدوارد، وأنه يدري، حين قرر رمي الحجر، أن فريقا تلفزيونيا من «المنار» ومراسل جريدة «السفير» موجودان إلى جانبنا على البوابة قد رافقانا، والأهم من ذلك كله، أنه هو الذي سلّم الصور إلى وكالة الأنباء الفرنسية في فندقه.

اعقبت تلك الحادثة فترة من الصمت دامت أسابيع ثم عادت العلاقة إلى جاري عادتها. وأحجم كلانا عن العودة إلى الحديث عن حجر «بوابة فاطمة».

بعد «خارج المكان»، ترجمت لإدوارد كتابين صدرا بعد الوفاة: مجموعة محاضرات بعنوان «الأنسنية والنقد الديمقراطي» (2005) تتوّج نظرته الإنسانية العلمانية فيما أسميه المرحلة الثالثة من تطوره الفكري، على اعتبار أن الأولى هي مرحلة نقد الاستشراق، والثانية مرحلة الثقافة والامبريالية. عنوان الكتاب الآخر «عن الأسلوب المتأخر. أدب وموسيقى عكس التيار» (2015) وهو مجموعة أبحاث عن شعراء وروائيين ومؤلفين موسيقيين وعازفين زادهم العمر تمردًا ومشاكسة.

ليست تنتهي القصة هنا. بل تعود إلى بدء. يعمل أحد طلابي، نايت جورج، على وثائق الخارجية الأمريكية عن لبنان لنيل الدكتوراه مؤخراً. كتب لي أنه عثر على ما اسماه «ظهورك الوحيد في وثائق وزارة الخارجية الأمريكية» الذي تبيّن انه رسالة تتعلق بالزيارة العتيدة إلى مؤتمر «جمعية الخريجين العرب الأمريكيين» في بوسطن.

المذكرة مرسلة من السيد ا. ف. غيلمور إلى السيد دايل في 20 تشرين الأول/أكتوبر 1971 يطلب فيها غيلمور من دايل أن يستخدم نفوذه لرفع تطبيق المادة 212د3 من «مرسوم الهجرة والجنسية» على «السيد طرابلسي»، على اعتبار ان القضية قد رفعت إليه من السيد جون فولكمار من مكتب جمعية الكويكرز البروتستانتية في الأمم المتحدة، ويقول السيد فولكمار أنه يعرف «السيد طرابلسي شخصيا» و«يضمنه بما هو أكاديمي مرموق نال الدكتوراه في كلية الاقتصاد بجامعة لندن». (طبعاً، غادرت «كلية الدراسات الشرقية والافريقية» في جامعة لندن بعد «أيلول الأسود» 1970 على أمل أن أنهي كتابة أطروحة الدكتوراه في لبنان ولم أفعل). المهم أن فولكمار ختم رسالته بأن القضية قد لفت نظره إليها البروفسور إدوارد سعيد من جامعة كولمبيا «الذي بدا أنه متأسف لأن طرابلسي قد منعت عنه التأشيرة».

في النهاية، لست أدري ما الذي مكّنني من رفع تطبيق المادة 212د3 من «مرسوم الهجرة والجنسية» عليّ مؤقتاً ومنحي تأشيرة الأيام الأربعة إلى بوسطن، أهي وساطة إدوارد من طريق جمعية الكويكرز أم وساطة المحامي عابدين جبارة من طريق وزير العدل.؟

أدري أن صداقة إدوارد سعيد فتحت أمامي آفاقا من متعة الموهبة والدماثة والصداقة.

إدوارد سعيد على بوابة فاطمة، لبنان صيف 2000

المخرجة العراقية إيمان خضر في «عاملات الطابوق»: وجوه من رخام ممهورة بالخيبة تهزأ من الزمن

ميسلون فاخر

فيلم «عاملات الطابوق» للمخرجة العراقية إيمان خضر الحاصلة على ماجستير إخراج، هو الأحدث في مسار تجربتها الفيلمية الوثائقية بدءا من «أنيس الصائغ» و«طوابع فلسطين» و«الملك فيصل الأول» و«مقاهي بغداد الأدبية» و«ضد الكونكريت» وصولا إلى «عاملات الطابوق» الذي تجاوزت فيه، كما يبدو، مطبّات البدايات لتقدّم مشهداً من هذا الزمان متلبّساً برداء الصورة. الفيلم مدته خمس وأربعون دقيقة، من إنتاج «الجزيرة الوثائقية» عام 2018. استغرق إنتاجه عامين بين كتابة السيناريو والتصوير.

يتناول الفيلم حياة مجموعة نساء في ناحية النهروان التي تبعد 70 كيلو متراً جنوبي العاصمة العراقية بغداد، وقد اشتهرت المنطقة بصناعة الطابوق الجيري. تعمل النساء في معامل الطابوق من أجل توفير لقمة العيش بالرغم من كونه عملاً شاقاً، يختص فيه الرجال عادة.

بعباءات سوداء ونقابات تصادر الوجوه وتحيلها إلى المجهول، لا تظهر منها سوى عيون لامعة لا تكفّ عن البحث في اللامعلوم أو عن المفقود. يظهرن في أحد المشاهد وهنّ يحملن الطابوق من الأفران في شهري تموز/يوليو وآب/اغسطس إذ تصل درجة الحرارة إلى ما بين 55–60 مئوية تحت ظروف قاسية، شكلت هذه الصورة مدخلاً تأسيسياً لفيلم المخرجة إيمان خضر. منذ الدقائق الأولى التي تختنق بالحسرة وهي تمضي بنسق واحد وبسلاسة مطعّمة بتكنيك سمعي بصري ليشتغل تحت ثيمة موحدة.

هذا النوع من الأفلام يتعرّف على الواقع ولا يعيد صياغته بل يتلقّاه كما هو وليست لديه شروط لإقامة العلاقة مع الآخر ويصبح المتلقي في حال من الإستخراء السلبي متورطاً بالتجديف في بحر من واقع لا ينفكّ أن يكون جزءاً منه.

التقطت المخرجة الصور السريعة المنقّضة على اللحظة: نساء يتماهين في إنكار الذات وإعالة أسرهنّ بلقمة ممزوجة بالمرارة ملسوعة بالذل، مشحونات بضراوة مجتمع غاشم وسلطة أبوية حد الموت حرمتهن من طفولتهن. إلى ذلك المكان المنفي الملتهب من منطقة النهروان أسفل العاصمة العراقية آتين يحملن كل خيباتهن والخيبة الكبرى تلك الكذبة التي اسمها وطن لم يمنحهن سوى الفاقة والعوز والتهميش.

وضع الفيلم جرعات من الألم بدفق غير متوقف بما يجعل المتلقي مهموماً بالوجع، ليس على نساء المداخن فحسب، بل على كل كائن حي في تلك الحرقة. فهناك مشهد مؤلم في الدقيقة السادسة بدا فيه حمار إحدى النساء عاجزًا عن الحركة تحت وطأة أحماله الثقيلة فغضبت المرأة من جور الزمان عليها وأنزلت على وجه الحمار، أو وجه الزمان لا فرق، سياطها بهستيرية جعلت الحمار يخفي رأسه بين ساقيه بينما هي تستعر بالضرب ليستجيب لها في مشهد مأساوي تحمله لك تلك الكاميرا اللعينة وهي تهزأ بك شامتةً وأنت تنهار بكاءً تعاطفاً مع أوجاع ذلك الكائن البريء، وحين تعاود مشاهدته مرات عديدة تكتشف في كل مشاهدة جديدة أسىً من نوع آخر. تميّزَ الفيلم بإيقاع واحد مشحون بفجيعة لم نفق من ورطتها. حتى الموسيقى التي نسمعها في أقبيتهن وهي موسيقى للفنان محمد أمين عزة، حزينة ومستفزة لحد الإنتقام حين تستعيد ألحاناً عراقية مشهورة في نحيبها وتدوينها لكل الوجع العراقي.

العمل المضني

اهتمت صانعة الفيلم بالوصف الخارجي للمكان لترصد أدق التفاصيل ما يزيد من زخم التشويق حين منحتنا فضولاً من نوع آخر وجعلتنا نستمع إلى صوت الشاحنات والضجيج وأجيج النار وأوامر المراقبين من الرجال وتوتر خفي في قلوب لا نسمع منها سوى همس لعلنا نحسُّ أو تتوقد انتباهاتنا ولكنها لم تبخل علينا حين سرقت أصواتاً لكركراتهن وتتلاشى هناك والعيش بين نيران وليس نارين وهن يتمدّدن على رصيف الوحشة في ظل مهزوم. كالشمس بقاماتهن السومرية المشوقة والحركة السريعة والكفوف الدامية أمضينَ سنوات طوال من العمل المضني وكل واحدة منهن تنظر إلىَ البعيد ولا تكف عن مغازلة الحلم، يعملن من الفجر لغاية الظهر ويتقاضين ما يعادل 60 دولاراً أسبوعياً تتقاسمه العاملة مع الطبيب ليمنحها زمناً أطول للصمود أمام المرض والضعف والتعب، والجزء الثاني لتوفير لقمة العيش لأهلها كي لا يذلّهم الجوع، والجزء الأخير تملأ به معِد صغارها.

إحداهن تقول: «أسمع بالمدرسة ولكني لم أرها يوماً في حياتي، حلمي أن أذهب إلى المدرسة، أتمنى أن أتعلم وأغير حياتي، ولكن هذا حلم». وهو قول يستدعي ما قاله المخرج الإيراني عباس كيارستمي «لم تكن تعرف القراءة والكتابة لكنها قالت شيئاً لم أقرأ مثله ولم يكتب أحد مثله من قبل». عيناها تشعّان بريقاً وهي تراقص الطابوق بكفيّها المتورمتين من العمل المضني وهي تمهر الزمن بعويل ذئب وتنظر إلى البعيد، تضج بأنوثتها التي صادرتها من أجل أن تظفر بلقمة عيش، لم ترتضِ أن تكون على هامش الحياة بل في مساحة تتسع الكون، أمراة قوية ذات شغف وإرادة لا تنثني ولا تنتظر نجدةً من أحد بل تتقاسم رغبتها في الحياة مع أحلامها الكبيرة. حكايا الشخصيات، وهناك مشهد آخر قدّمته لنا المخرجة لسيدة في السبعين من عمرها تئن تحت وطأة العمر، ورغم كل هذه العذابات هناك إقبال مفرط على الحياة تجسّد من خلال إصرارهن على التواجد في خريطة العالم.

إنتاج الخراب

قدمت لنا إيمان خضر على عجالة قصة أخرى في اقتحام رجل لمخدع سيدة هي وأطفالها بغرض الإغتصاب أو السرقة، وسيان إن كان هذا أو ذاك، أشعرتنا وهي تتذكر ذلك اليوم لكأن العمر لا يتسع للعيش بكرامة.

في حوار مع طفل صغير لا يتجاوز الثمان سنوات يعمل بلا روح، تسأله المخرجة كم عمرك؟ يقول لا أعرف، ربما كان جوابه هذا أكثر عمقاً مما لو كان يعرف كم عمره فجهله لهذا الزمن المقيت الذي لا ينصف جسده النحيل وهو يتنفس غبار المعامل، كانت نظرته عميقة وفاضحة حد اللعنة لجميع المتورطين بسجنه بهذا الجسد العليل وعمره الحقيقي أكبر من عمر سراق طفولته.

في فيلم «عاملات الطابوق» أصرّت إيمان التي أرادت أن تقول علانية من دون خجل أن شمساً جديدة قد بزغت، فهؤلاء النساء يقمن بالتمثيل ويظهر الرجل على حياء متثاقل الحضور حتى لو كان هذا الدور هو مسح قذارة العالم. ولعلّ هذا يستدعي ما قاله الناقد الكبير جون بيرغر في عبارة «يقوم الرجل بالتمثيل بينما تكتفي المرأة بالظهور» وهو الأمر الذي نقضته نساء المداخن في نهروان العراق، في مجتمعات لا تجيد سوى إنتاج الخراب واستطاعت وبجدارة أن تنمّط شخصية المرأة وتقمع كيانها وتستبيحها بكل ما أوتيت من سلطة مجتمعية لتحوّل ذلك الكائن إلى جسد خنوع لا يتردد في الموت من أجل إسعاد الرجل، كما قالت فيرجينيا وولف «طوال قرون قامت المرأة بدور سطح عاكس يمتلك السحر والمقدرة اللذيذة على إبراز صورة الرجل لتكون ضعف حجمها الأصلي». ما قدّمه فيلم «عاملات الطابوق» أنّ النساء لم يضفن لصورة الرجل سحراً ولا مقدرة لذيذة على تضخيم حجمه وإنما انتصرن لذلّهن من خلال انتزاع صورة جديدة لوجودهن.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن المخرجة العراقية إيمان خضر حاولت أن تكون امتداداً للصور المضيئة في تاريخ بلدها، العراق، إذا ما علمنا أنّ أول فيلم وثائقي عراقي أُنتج عام 1927.

ومنذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا ظل يتراوح هذا الكائن الوثائقي بين خيبات السياسة وجهل رأس المال.

تحقيقات

حصلت على درع الفرات مقابل شرق حلب وعفرين مقابل ريف دمشق:

تركيا وحلف الشرق الجديد

براء صبري

روحاني وبوتين وأوردغان

لا تمضي الأيام كما ترغب تركيا. تفاهمات مرفوضة، وتطلعات مخيبة للآمال، واهتزازات في المواقف والتحالفات، وهو مسار كان من المتوقع من قبل تركيا أن يكون الواقع معاكسه في معركة حامية الوطيس، ومديدة التصادم، ومتداخلة الجهات، وكثيرة الضحايا، وواقعة خلف الحدود الجنوبية للبلاد. الحرب السورية التي مر عليها أكثر من ثماني سنوات كانت جزءا رئيسيا من الحياة السياسية التركية. على مر هذه السنوات حُجمت تركيا عن المشهد العام السوري، وظهرت بوجود قوة دولية كبرى كواشنطن وموسكو دولة من الحجم المتوسط رغم حاجة العاصمتين لها في الوصول للحل الشامل للبلاد التي قسمت على شكل كتل نفوذ حصلت روسيا على الحصة الأكبر فيها من حيث المساحة الجغرافية والبشرية، وحصلت الولايات المتحدة على حصة الأسد في مواردها، وكانت لإيران فيها بقع ونقاط عسكرية تحتاج إلى أن تكون مموهة بشكل دائم نتيجة الملاحقة الجوية الإسرائيلية لها. هذه التشابكات التي لا تنتهي في بلد أصبح أكثر من ثلث سكانه متوزعا بين نازح داخلي ولاجئ خارجي أصبحت محددة الملامح أكثر. تصادمات تسخن مع الوقت وتبرد في الشمال الغربي من البلاد ضمن طبيعة التقاربات بين روسيا وتركيا، وهجمات غير رسمية على قواعد إيرانية على الحدود العراقية وفي أطراف دمشق يكون ردها كسر حاجز الصمت على الحدود مع الجولان باختراقات جوية تُتهم إيران بها. وأخيراً، شمال الشرق السوري المارق في نظر النظام، والعميل لواشنطن في نظر إيران، وغير الخاضع للمركز في نظر الروس، والحاضن والباعث للإرهاب في نظر تركيا. هذا الشمال الشرقي الذي يسير نحو مصيره بغطاء أمريكي، وبملحق دولي مساعد وغير متحمس للعب دوره المطلوب، يعاني من عقبة رئيسية في اكتمال صورته وهو الضجيج المستمر للكيان الإقليمي «تركيا» الواقف كممانع لمسيرة نمو كيان إداري يعتبره خطرا على داخله، وإن كان يعلن التزامه بالتوافقات التي تعرضها واشنطن، وينفذ على الأرض التفاهمات الأمنية التي قدمتها واشنطن لإرضاء أنقرة، وإن كان أصلاً ينظر إلى تركيا كونه المنفذ للحياة في قادم الأيام، وإن لم يصرح بذلك بعد.

التصعيد الثلاثي (بوتين، اردوغان، روحاني) ضد حلفاء واشنطن في سوريا له أبعاد وخلفيات

تفاهمات أمنية أمريكية

مع استنفاد الروس لعروضهم ومقايضاتهم الكبيرة لصالح تركيا التي جل همها ردع الأكراد وحلفائهم العرب عن بناء كيان ذاتي في شمال وشرق البلاد، بعد حصول تركيا على منطقة درع الفرات مقابل شرق حلب، وعلى عفرين مقابل ريف دمشق، أصبح الطريق مفتوحا للأمريكان للتواصل من جديد مع تركيا لعودتها إلى حضنها. جاء التواصل الأمريكي في الوقت الذي بدأ الأتراك يصعدون من لهجتهم ضد قوات سوريا الديمقراطية حليفة التحالف الدولي ضد «داعش». الفرصة السانحة الأخيرة للأمريكان، وإدراك الأتراك أن خسارتهم لأمريكا سيكون لها ثقل على داخلها الاقتصادي والسياسي، وعلى مسيرة الساسة الحاكمين فيها، دفعها لفتح الباب للحوار مع واشنطن التي تعلم مدى ضرورة تجاوز العقبة التركية في مسألة شرق الفرات ومنبج. بدأ الطرفان جولة مفاوضات ساخنة لوضع حد للتهديد التركي باجتياح المنطقة، ولوضع حد في ذات الوقت لمخاوفها الطبيعية مع الحفاظ على قوات سوريا الديمقراطية بصفتها المسؤولة الرسمية على إدارة الملف العسكري والأمني لكامل شرق الفرات ومنبج بالطبع.

دخل الطرفان المفاوضات بعد التحشيد التركي على الحدود، وبعد ثلاثة أيام توصلا إلى تفاهمات أولية. وأفادت وكالة «الأناضول» التركية حينها أن أنقرة وواشنطن توصلتا لاتفاق يقضي بتشكيل مركز عمليات مشتركة في تركيا خلال أقرب وقت لتنسيق وإدارة إنشاء «المنطقة الآمنة» في شمال سوريا. ونقلت الوكالة عن وزارة الدفاع التركية أنه «تم الاتفاق مع الجانب الأمريكي على جعل المنطقة الآمنة ممر سلام، واتخاذ كل التدابير الإضافية لضمان عودة السوريين إلى بلادهم».

وقالت وزارة الدفاع التركية في 7 آب/أغسطس الماضي إنها اتفقت مع الولايات المتحدة على تأسيس مركز عمليات مشترك في تركيا للتنسيق وإدارة المنطقة الآمنة المزمع إقامتها في شمال سوريا.

وأكدت السفارة الأمريكية في أنقرة في بيان في ذات التاريخ أن وفدين عسكريين أمريكي وتركي اتفقا على إنشاء «مركز عمليات مشتركة في تركيا في أقرب وقت ممكن لتنسيق وإدارة المنطقة الآمنة» في شمال سوريا. وأضافت أن الطرفين اتفقا على جعل المنطقة الآمنة «ممرا للسلام».

ورغم ان وسائل الإعلام تحدثت عن أن هناك اغترابا كرديا عن الاتفاقية بعد ان ذكرت مصادر إخبارية ان الدار خليل كان قد وصف تفاصيل الاتفاق بالغامضة، ومع حديث إلهام أحمد الرئيسة المشاركة لـ«مسد» عن إنه «لا توجد خريطة واضحة بما يخص المحادثات حول المنطقة الآمنة» ومطالبتها في تصريحات لقناة «روناهي» الكردية، بإشراك «قسد» في أي اتفاق أمريكي–تركي حول المنطقة الآمنة، إلا ان الوقائع بدأت تتكشف عن ان القبول الكردي الكلي للاتفاق لم يناظره قبول تركي مماثل رغم أن تركيا وأمريكا وضعا وشكلا الاتفاقية معاً. أي بالمختصر أن المغترب عن الاتفاق نجح بالتعامل معها عكس المشارك في تكوينه.

فبعد أن بدأت بعض الدوريات المشتركة، وسير الطرفان طائرات في المنطقة المُبتغاة، وبعد ان هدمت وحدات حماية الشعب عدة أنفاق، وأعلنت انسحابها من المنطقة، عادت تركيا للرفض.

في الثامن من أيلول/سبتمبر سمع العالم كيف أن تركيا تتهم واشنطن مجدداً بالتلاعب بها، واتهم اردوغان واشنطن بالسعي لتأسيس منطقة آمنة لصالح «منظمة إرهابية» في إشارة إلى وحدات حماية الشعب الكردية التي تصنفها تركيا إرهابية، مؤكدا رفض بلاده التوجه. وأضاف في تصريح لوكالة دولية بريطانية في 13 أيلول/سبتمبر أن «في كل خطوة نخطوها، نرى أن هناك اختلافا بين ما نريده وبين ما تصبو إليه الولايات المتحدة. فبينما نريد أن نزيل المنظمة الإرهابية من المنطقة إزالة تامة، فإن الولايات المتحدة تنتهج نهجا لإدارة الأمور معنا ومع المنظمة الإرهابية أيضا، وتريد وضعنا مع المنظمة الإرهابية في الخانة ذاتها». وكان التصريح الأخير عبارة عن رسالة واضحة عن ان التفاهمات الأخيرة قد ماتت رغم تمسك قادة قوات التحالف بالاتفاقية، وتصريحهم خلال لقائهم بتاريخ 14 أيلول/سبتمبر لوجهاء محليين في بلدة تل أبيض بإنهم ملتزمون بتنفيذ البنود كاملة.

بالتوازي مع موقف قادة التحالف الدولي علق رياض ضرار الرئيس المشترك لمجلس سوريا الديمقراطية، المظلة السياسية لقوات سوريا الديمقراطية على تصريحات اردوغان الأخيرة قائلاً لـ«القدس العربي»: «من حق كل طرف أي يقول إنه يفهم الاتفاق على النحو الذي يراه، ولكن ما يجري على الأرض هو الفهم الحقيقي للتفاهمات».

وفي محاولة لفهم التطورات من واشنطن عن التصريح الأخير لاردوغان، وعلاقة واشنطن بأنقرة ومع «قسد» قالت الكاتبة المعنية بالشأن السياسي السوري هديل عويس من مقرها في واشنطن لـ«القدس العربي»: «العلاقة الأمريكية التركية تاريخية، وتسعى أمريكا للحفاظ عليها، ولكن ليس على حساب مقاتلة تنظيم ترى واشنطن أنه منبثق عن العدو الأول، القاعدة. كما أن داعش استهدفت المصالح الأمريكية ما دفع أمريكا للانعزالية في عهدي اوباما وترامب للانسحاب أمام ما تراه تهديدا وجوديا ومتفقا على قتاله على اختلاف التوجهات السياسية. مشاكل تركيا مؤخراً مع واشنطن لا تقتصر على سوريا بل تمتد إلى العلاقات التركية مع روسيا وما يراه (بعض) سياسيي واشنطن من انحراف تركيا عن مسارها الديمقراطي المعهود» وأضافت: «واشنطن رأت في قسد تجربة مثالية لتحارب الإرهاب وتحافظ في آن معاً على مسارها الانعزالي وعدم رغبة الأمريكيين بإرسال جنودهم ومواردهم للقيام بحروب في الشرق الأوسط، فقسد تقاتل كقوات محلية ودول التحالف تساعد الولايات المتحدة في دفع تكاليف الحرب».

عجز تركي والتزام أمريكي

كان لتركيا موطئ قدم ثابت ومنشود في السياسات الأمريكية المتعلقة بشؤون الشرق الأوسط، ولم يكن للكتلة الضاغطة الداعمة لتركيا في واشنطن منافس يعتد به عندما كان الوضع يتعلق بالحدود الجنوبية والشرقية للبلاد. لكن، الغضب التركي المستمر من تحركات واشنطن، وعملها لصالح أجندة تخدم الإسلام السياسي، ومراقبتها لولادة وحش من طينة داعش على حدودها الجنوبية من دون حراك، وملفات أخرى عديدة حجّم دورها في ما وراء الأطلسي. عندما وجه السؤال إلى رياض ضرار الخطيب والمدرس السابق عن احتمال نجاح تركيا من خلال جماعات الضغط في واشنطن بزيادة خسائر قوات سوريا الديمقراطية في سوريا بعد ان نجحت تركيا بالحصول على «عفرين الكردية» من خلال روسيا قال: «في الحقيقة نحن مدركون أن هناك ضغطا تركيا مستمرا على أمريكا، وهناك مصالح كبيرة سابقة بينهما، ولهما تاريخ طويل من العمل المشترك، ولذلك تفاوض أمريكا تركيا رغم انحياز تركيا للموقف الروسي» وأعقب «إذاً، الكل في سوريا يتعامل مع ما يجري من أجل مصلحة عامة للجميع» وان تم فهو في حد ذاته مكسب للجميع من منظور الكثير من المتابعين للحرب السورية.

ومع ان الكثير ينظرون إلى تركيا كونها ما زالت تملك العديد من الأوراق في لعبتها مع واشنطن تصر الباحثة السياسية كريستيان واكد المختصة بالشأن الكردي والعاملة مع الصحف الناطقة بالإنكليزية والإسبانية على أن «تركيا لا تملك حالياً أي ورقة ضغط» ولكونها تنظر إلى الأوضاع من خلفية ذات روابط مع الغرب الأوروبي تقول «إن فقدان تركيا لأوراق الضغط يدفعها للتهديد بإرسال اللاجئين وفتح الحدود لهم بإتجاه أوروبا مجدداً» وذلك، والقول لها: «سيدفع أوروبا للعب دور الوسيط بين تركيا وأمريكا نتيجة خوفها من قضية اللاجئين» مع العلم أن الدور الأوروبي أصبح يخفت كثيراً في تحديد المسار المستقبلي لسوريا، وأصبح بمعظمه ملحق سياسيا بالموقف الأمريكي، وإن كان للفرنسيين البعض من الحراك الذاتي هنا وهناك.

لم تكن تلك الردود تلك كافية لفهم الحراكات التركية في واشنطن، ومع وضوح إن حلفاء «قسد» والإدارات الذاتية ضعاف جداً بالمقارنة مع جماعات موالية لتركيا، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة ان «قسد» تسير في مسار يكون للأتراك النصر الشامل بالملف السوري، كون أن تلك العلاقات لا تعتمد فقط على اللوبيات بقدر ما تعتمد على المصالح المشتركة، وعلى الالتزام بالتعهدات. في ذلك السياق قالت الكاتبة السياسية هديل عويس التي تعمل حاليا مع وكالة معنية بالشأن السوري، وقريبة من التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب في سوريا: «الدعم لقسد مرتبط بقناعة أمريكية متجذرة، أن التجربة التركية وغيرها من التجارب التي أتيح لها المجال والدعم الأمريكي لسنوات طويلة لتبلور نفوذ معارض يكافح الإرهاب والعدو الإيراني ويرسي الاستقرار قد فشل. فالمسؤولون الأمريكيون في حواراتهم يذكرون ويتذكرون بأن مناطق كثيرة كانت بيد جماعات مرتبطة بمن تدعمهم تركيا اليوم ذهبت مع السلاح الأمريكي الذي دُعمت به إلى يد (القاعدة) وهذا أمر مجمع عليه، وبعيد عن تأثير قسد أو العربي»: «من حق كل طرف أي يقول إنه يفهم الاتفاق على النحو الذي يراه، ولكن ما يجري على الأرض هو الفهم الحقيقي للتفاهمات».

وفي محاولة لفهم التطورات من واشنطن عن التصريح الأخير لاردوغان، وعلاقة واشنطن بأنقرة ومع «قسد» قالت الكاتبة المعنية بالشأن السياسي السوري هديل عويس من مقرها في واشنطن لـ«القدس العربي»: «العلاقة الأمريكية التركية تاريخية، وتسعى أمريكا للحفاظ عليها، ولكن ليس على حساب مقاتلة تنظيم ترى واشنطن أنه منبثق عن العدو الأول، القاعدة. كما أن داعش استهدفت المصالح الأمريكية ما دفع أمريكا للانعزالية في عهدي اوباما وترامب للانسحاب أمام ما تراه تهديدا وجوديا ومتفقا على قتاله على اختلاف التوجهات السياسية. مشاكل تركيا مؤخراً مع واشنطن لا تقتصر على سوريا بل تمتد إلى

مقاتلة كردية

بدأ الأتراك يصعدون لهجتهم ضد قوات سوريا الديمقراطية

وجهتها 15 أيلول/سبتمبر إلى كل من الأمين العام للأمم المتحدة ورئيس مجلس الأمن قالت فيها «تواصل الميليشيات الإرهابية الانفصالية التي تسمى قسد ممارساتها الإرهابية والإجرامية والقمعية بحق أبناء الشعب السوري في محافظات الحسكة والرقة ودير الزور وحلب مدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية ومن قوات التحالف الدولي» ولم يفهم من تلك الرسالة العدوانية التي جاءت قبل يوم واحد من اللقاء الثلاثي في تركيا إلا أنها وسيلة تبتغي منها روسيا كسب تركيا المعادية لقسد من خلال تحريك النظام ضدها.

الاجتماع الذي واكب الرفض التركي لشكل المنطقة الآمنة التي يصر الأمريكان تسميتها بالآلية الأمنية اسماه رياض ضرار بـ«حلف الشرق» حيث يعتبره «توافقا ثلاثيا هدفه مواجهة أمريكا في سوريا» و «تركيا خاطئة في ذلك».

التصعيد الثلاثي ضد حلفاء واشنطن في سوريا له أبعاد وخلفيات أخرى، وهو حسب كريستيان واكد «مصالح اقتصادية تركية إيرانية تظهر من خلال تهريب النفط والتجارة المتبادلة» وكذلك طبيعته بين تركيا وروسيا هي علاقة الجار القوي «أي أنه لا خيار لدى تركيا سوى مسايرة الجار القوي» ورغم أنها تسرد مثالا على حاجة تركيا لروسيا، وضرورة بقائها قريبة منها، وهو أن «روسيا تستطيع منع جيش النظام السوري من القيام بأي عملية عسكرية في مناطق سيطرة الأتراك في سوريا» إلا أن الكاتبة تنسى ان جاراً قوياً آخر أصبح حالياً على حدود تركيا الجنوبية هو أمريكا، وتسهو عن السرد التاريخي الطويل الذي كانت فيه تركيا الحاجز في وجه السوفييت في المنطقة رغم ان الجار الشمالي حينها كان أكبر ثقلا عن الوقت الحالي.

لا عفرين جديدة وملامح محلية للحكم

لا تنتهي التسميات في شمال شرقي سوريا للكيانات الناشئة في المنطقة. مسيرة طويلة من التسميات لشكل الحكم في منطقة رغم قصر فترة الحكم المحلي نفسه. ورغم ان الكثير يلاحظون أن تعزيز التواجد الأمريكي سيمهد الطريق لولادة إقليم على شاكلة إقليم كردستان العراق، إلا أن التهديدات التركية المستمرة والعدوانية الصادرة من دمشق وتركيز واشنطن الرسمي على داعش يقلق القائمين على الأمور، ويؤثر على الاستقرار المجتمعي في المنطقة. التجربة الحالية للإدارات المحلية تعاني الكثير من الضعف والفوضى الإدارية حسب الباحثين، وهي لا تواكب التسارع في الأحداث السياسية والعسكرية المحيطة، ولكنها «نموذج يمكن ان يعمم على كل سوريا وهي تعمل على حل مشكلات التنمية والإدارة بنفسها دون الاعتماد على المركز» حسب ضرار الذي يعتبر جزءا منها. ورغم ان الطموح القومي الكردي العام هو الوصول إلى كيان شبيه بإقليم كردستان العراق، إلا أن قوة الضغط التركي ومعرفته أن فشله في منع ولادة كيان ذاتي كردي في شمال العراق قد دفع الآخرين للطلب بمثله يعقد الأمور على الجهات المحلية.

من المفهوم ان تركيا تعادي كل شيء له صلة بولادة كيان ذاتي جديد على حدودها، إلا أن ملامح القبول لم تعد مستحيلة، خاصة ان تركيا تعتبر نفسها قطعت الحلم الكردي بالوصول إلى البحر، وقطعت جسده من خلال منع الوصول إلى عفرين، وأخيراً سلب جزء رئيسي منه هو عفرين نفسها. وعن الحل النهائي لهذا الصراع قالت هديل عويس «واشنطن ترى التهديدات التركية الأخيرة أقل تصعيداً من الاعتراضات السابقة وأعتقد أن الرؤى بدأت تتلاقى بشكل أكبر ولو رأينا الأوراق في لقاء اردوغان ترامب لعرفنا أن التوافق اقترب» وقالت عن تكرار نموذج عفرين «أما نموذج عفرين فكانت واشنطن واضحة من اللحظة الأولى لا شأن لها في غرب الفرات التي لم تدخلها أصلاً أما في شرق الفرات فنموذج عفرين خط أحمر» وهو رأي شبيه برأي كريستيان واكد التي أكدت «ان الوصول إلى تفاهم نهائي يحتاج إلى أن تقدم واشنطن ضمانات وتعهدات لتركيا بأنها لن تسمح للمسلحين الأكراد ان يقوموا بأي تحرك عسكري ضد تركيا» وهو ما يصر قادة «قسد» أنهم ملتزمون به مسبقاً.

على ما يبدو ان اللقاء القادم بين الرئيس الأمريكي ونظيره التركي المفترض على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة نهاية هذا الشهر قد يكون له دور ما في الترتيبات التي تتم لمصير شمال وشرق سوريا، ولكن ليس بالضرورة هو اللقاء المفصلي لتحديد مصير تلك المنطقة على اعتبار ان الترتيبات النهائية يكون للقوى على الأرض واللجان المعنية بالأوضاع دور فيها. ومع الوقت يدرك العارفون إن تركيا تتجه إما للتقبل المشروط للوقائع أو الانزياح كلياً إلى اللاعبان الآخران المناهضان لواشنطن وهو خيار ان تم سيكون بدوره له تداعياته مدوية أقله على الداخل التركي.

اكراد القامشلي

ميديا

حرب «وسوم» تشتعل على «تويتر» بين السيسي ومحمد علي

لندن ـ «القدس العربي»:

اشتعلت حرب «وسوم» الكترونية على «تويتر» وسرعان ما انتقلت إلى مختلف شبكات التواصل الاجتماعي الشائعة في مصر، وذلك بين الرئيس عبد الفتاح السيسي وبين خصمه الأشهر والأبرز هذه الأيام المقاول والفنان المعروف محمد علي الذي يخرج بشكل يومي في مقاطع فيديو يفضح فيها الفساد في مصر.

والتهبت معركة من نوع مختلف بين الرجلين كانت تدور رحاها على شبكات التواصل الاجتماعي وبصورة واضحة، حيث يطلق محمد علي بين الحين والآخر «هاشتاغ» ضد الرئيس بينما يرد مؤيدوه وأنصاره بـ«هاشتاغ» مضاد، فيما يقول بعض النشطاء إن السيسي يُسخر جيشاً الكترونياً من أجل مواجهة محمد علي، حيث يعمل هذا الجيش على مدار الساعة من أجل حذف مقاطع الفيديو التي يبثها علي ومن أجل الكتابة بعكس ما يقوله وبما يؤيد الرئيس السيسي.

أما الوسم الأبرز الذي ظهر خلال الأيام الماضية فهو «#كفاية_بقى_يا_سيسي» وهو الذي سرعان ما أغرى أعداداً كبيرة من المصريين للمطالبة من خلاله بتنحي الرئيس والاحتجاج على وجوده في السلطة، وهو ما جعله يسجل مستوى قياسياً غير مسبوق منذ ظهور شبكة «تويتر» في العام 2007 حيث تصدر على مستوى العالم من حيث عدد الذين استخدموه وتفاعلوا معه.

وخلال ساعات قليلة استطاع هذا الهاشتاغ أن يستقطب أكثر من مليون مستخدم، حسب ما رصدت «القدس العربي» وتحول إلى الوسم الأول عالمياً.

وسرعان ما رد مؤيدو السيسي وأنصاره بوسم مضاد هو «#هنكمل_معاك_ياسيسي» وهو الهاشتاغ الذي صعد إلى قوائم الأكثر تداولاً في مصر لكنه ظل دون الوسم المعارض الذي كان الأكثر تداولاً على مستوى العالم بعد ساعات قليلة من إطلاقه.

مليون تغريدة في ساعات

ولقي الهاشتاغ المعارض تفاعلا كبيرا من جانب المصريين على «تويتر» لتتجاوز عدد التغريدات في ساعات قليلة مليون تغريدة وظل نشطاً لأيام عديدة بعد إطلاقه وصعوده، وهو ما اعتبره كثيرون بمثابة استفتاء الكتروني على حجم الرفض لحكم السيسي.

وكانت صفحة «أسرار محمد علي» على موقع «فيسبوك» دعت للتدوين عبر الوسم، بعدما أعلن محمد علي «الحرب» على الرئيس عبد الفتاح السيسي، ودعا المصريين للتفاعل والتغريد عبر الهاشتاغ.

وكان علي قد تعهد بإطلاق ثورة ضد السيسي، داعيا المصريين إلى الوقوف خلفه ومساندته ودعمه.

وقال علي: «وقت الكلام انتهى، فيما امتلأ الهاشتاغ بصور وأجواء ثورة كانون الثاني/يناير 2011 وأخرى عن معاناة المصريين تحت حكم السيسي».

وكتب أحد المغردين معلقاً: «لما تعمل قصور لك وفنادق لصحابك وفلذات اكبدنا ده حالهم لازم نقول: كفاية بقى ياسيسي» فيما قال آخر: «على الميدان أكيد راجعين.. كفاية بقي ياسيسي».

وغردت أميرة أحمد تقول: «مصر مفيهاش مستشفيات، مصر مفيهاش مدارس، مصر مفيهاش تعليم، مصر مفيهاش رقابه، لكن فيها قلة ضمير ودين ووسرقة وفساد.. كفاية بقى ياسيسي».

ونشرت ناشطة تدعى آية صورة لجندي مصري وهو يقوم بانتاج الخبز والمعجنات، وكتبت تعليقا على الصورة تقول فيه: «عشان اخواتنا العساكر ده مش مكانهم الطبيعي يبقى كفاية بقى يا سيسي».

وعلق الفنان عمرو واكد قائلاً: «تفتكر (#كفايه_بقي_ياسيسي) هيدخل موسوعة جينيس هو كمان؟ ايه الأرقام القياسية دي؟ عدينا 430 الف تغريدة.. اتحداكم تحسبوهم كلهم. كتلة كبيرة جدا كنسبة من مستخدمي تويتر في مصر.. في 2018 كان في فقط 2 مليون مستخدم في مصر.. احسبها انت نسبة وتناسب.. يا ريت أول خطوة تكون الإفراج عن كل المعتقلين».

وغرد أحد النشطاء قائلاً: «إثيوبيا تمضي في بناء سد النهضة على ضفاف النيل.. وبينما تعمل على تعزيز أمنها المائي على حساب مصر التي يتهدد شعبها العطش، ينشغل السيسي بتشييد الظل والإستراحات الرئاسية والقصور التي يفوق حجم أحدها البيت الأبيض عشر مرات».

وغرد المحامي هيثم أبو خليل قائلاً: «لا نفرط في الأمل.. ولن نفرط في اليأس.. يكفي أن نعلم أن تجمعنا حتى ولو على هاشتاج يخيفهم...! نظام هش بصورة لا يتخيلها أحد».

وكتب الإعلامي والصحافي المعروف عبد الفتاح فايد: «حالة رعب وهلع في معسكر السيسي بعد سقوط الأقنعة وظهور كذبه على الشعب وثبوت اهانته لمصر وجيشها وشرطتها وقضائها وكل مؤسساتها وتقزيمها.. تهديد الشعب لم يعد مجديا، والاستعانة بكدابين الزفة من عوالم الفن لم يعد مقنعا، وملاحقة الشرفاء سيزيدهم عزلة».

وغرد ناشط آخر يقول: «كفاية بقى يا سيسي.. كفاية استهتار بحياة الناس ودمهم وعرقهم ومستقبلهم، كفاية استهزاء بعقول البشر، كفاية مهاترات عسكرية ودعم لكل خاين وقاتل في سوريا وليبيا واليمن، كفاية هرتلة يا سيس لأنك خليت مصر أضحوكة العالم، كفاية ديون على مصر، ربنا ينتقم منك وجندك آمين».

مؤيدو السيسي

وفي مواجهة الدعوات لتنحي السيسي والاطاحة به من الحكم، أطلق مؤيدوه الوسم «#هنكمل_معاك_ياسيسي» والذي أعربوا من خلاله عن تأييدهم له ولبقائه في الحكم، ومعارضتهم للفنان والمقاول محمد علي ودعوته للثورة.

وكتب أحد المغردين يقول: «(#هنكمل_معاك_ياسيسي).. ده رد المصريين على الخونه اللى عاوزين يرجعوا مصر للفوضى والخراب ويهدوا كل اللى عملناه وتعبنا عشانه».

وغرد عادل الشلبي يقول: «هنكمل معاك يا سيسي.. هنكمل مع من يبدأ يوم عمله الساعة الخامسة صباحاً، هنكمل مع من هو خريج مدرسه الشرف (الجيش المصري) هنكمل مع قلب الاسد، هنكمل مع عدو الفساد، هنكمل مع الرئيس المؤمن».

وكتبت سيدة مصرية على «تويتر» تقول: «ان شاء الله تعالى بنفس الشجاعة وخوفي على بلدي وحبي لها انا واولادي هنكمل معاك ياسيسي المشوار وهنستحمل عشان مصر».

وغرد آخر يقول: «قيادة مصر بأمان في أصعب الظروف، تسلم ايديك يا إبن مصر المخلص البار، هنكمل معاك ياسيسي».

وأطلق العديد من مؤيدي السيسي ومعارضيه العديد من الوسوم الأخرى التي استقطبت أعداداً كبيرة من المغردين، حيث على الرغم من صعود الوسم المعارض «#كفاية_بقى_ياسيسي» إلى قائمة الأعلى تداولاً على مستوى العالم ومصر، فقد أطلق المعارضون حملات لاحقة تدعو المصريين إلى النزول للشارع من أجل الاحتجاج والثورة ضد السيسي والإطاحة به من الحكم بعد الفضائح التي كشف عنها الفنان محمد علي.

وأطلق النشطاء المصريون حملة تدعو السيسي إلى التنحي وذلك تحت الوسم «#الرحيل_ياسيسي_او_النزول_للشارع» كما أطلقوا الوسم «#ارحل_ياسيسي» والوسم «#إستناني_ياسيسي» وغيرها من الوسوم، فيما رد نشطاء على تصريحات السيسي خلال مؤتمر الشباب الأسبوع الماضي باطلاق الوسم «#السيسي_كذاب» وهو الوسم الذي رد فيه الكثيرون على ما قاله السيسي خلال المؤتمر وعلى تبريره لبناء القصور والاستراحات.

حملة الكترونية تطالب السعودية بإطلاق سراح صحافي يمني

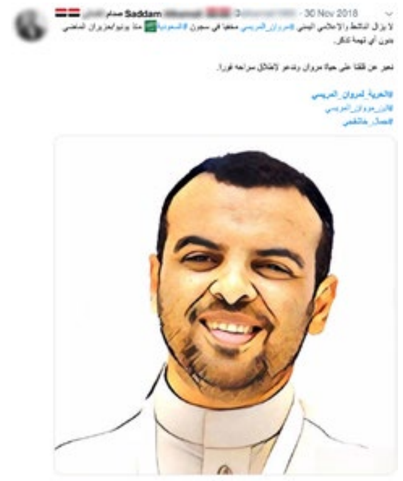

لندن ـ «القدس العربي»:

أطلق صحافيون يمنيون ونشطاء حملة الكترونية جديدة على الانترنت للمطالبة باطلاق سراح زميلهم الصحافي المعتقل في السجون السعودية من دون أي محاكمة أو تهمة مروان المريسي منذ أكثر من عام. وأطلق النشطاء اليمنيون على «تويتر» الوسم «#الحرية_لروان_المريسي» و«#أطلقوا_سراح_مروان_المريسي» فيما طالب الكثير من اليمنيين السعودية بالكشف عن أي معلومة عن الصحافي المختطف، حيث لم يتمكن أهله وذووه من الوصول اليه ولا معرفة أي معلومة عنه.

وكانت السلطات السعودية اعتقلت المريسي في حزيران/يونيو من العام الماضي، ثم اختفى بشكل كامل ولم يتم عرضه على أي محكمة كما لم يتم توجيه أية تهمة له، وبعدها بعدة شهور أعلنت منظمات حقوقية أن قوات الأمن السعودية اعتقلت الصحافي اليمني من منزله في الرياض.

وأكدت المنظمات أن سبب اعتقال المريسي «قد يكون بعض التغريدات الناقدة» مضيفة أنه «وفق تقارير موثوق فيها» محتجز «بمعزل عن العالم الخارجي» وأن أفراد عائلته لا يعرفون ما هي أسباب اعتقاله أو الموقع الذي يحتجز فيه، وهم غير قادرين على زيارته.

ولم يكن للمريسي أي نشاط سياسي يذكر، إذ ظل نشاطه محصوراً في التقديم الدعوي الديني والإعلانات والتصاميم والتسويق الإلكتروني والتكنولوجي، فضلاً عن نشاطات متعلقة بالتنمية البشرية.

وشارك عدد كبير من اليمنيين في الحملة الإلكترونية الداعية إلى إطلاق سراح المريسي، حيث كتب أحمد الزرقة: «يا شباب اليمن.. تختطف سلطات السعودية منذ أكثر من عام المدون اليمني الشهير على تويتر مروان المريسي دون ذنب أو تهمة. تم خطفه من مستشفى بالدمام وهو مع طفله المصاب بمرض مزمن، وإخفاؤه قسريا لليوم ولم يتابع عنه أحد من مسؤولينا. الحرية لمروان المريسي».

أما محمد ديوان المياحي فكتب يقول على «تويتر»: «إنهم لا يعتقلونك وحدك يا مروان، هم يختطفون مصير شعب كامل في الرياض يريدون ترويض هذه الأمة كي يخضعوها لسيطرتهم للأبد. الأمر يتعدى انزعاج سلطة مستبدة من ناشط ما، هي محاولة شاملة لإذلال هذا الشعب ورغبة منهجية بسحق كرامته وحريته والتنكيل به داخليا وخارجيا.. أطلقوا سراح مروان المريسي».

وغرد سامي أمين: «السعودية تعتقل الإعلامي مروان المريسي، مروان كان يعمل في إحدى قنواتهم ولم يتعرض للمملكة بسوء وما زالت أسرته تناشدهم للإفراج عنه.. السعوديه تخذل الشرعيه.. اطلقوا سراح مروان المريسي».

وغرد فؤاد الحميري: «أعزائي جيش اليمن الإلكتروني أود أن أعرفكم على أهم مغرد يمني (مروان المريسي). لا أعتقد أن أحداً أسعد منه اليوم برؤيتكم تجتاحون تويتر وهو الذي بُح صوته لنغرد معه. غير أني لستُ متأكدا إن كان علم بذلك أم لا. فهو مخفي في المعتقلات السعودية منذ حزيران/يونيو 2018».

مؤسسات إعلامية وقنوات تلفزيون في تونس متهمة بالانحياز خلال الانتخابات

لندن ـ «القدس العربي»:

اندلع جدل إعلامي واسع في تونس فور انتهاء الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية الأسبوع الماضي، والتي أظهرت مفاجآت من العيار الثقيل كان أبرزها الخسارة الفادحة التي منيت بها القوى السياسية التقليدية على اختلافها، بما فيها «نداء تونس» الذي حكم تونس بعد الثورة، وبما فيها حركة النهضة الإسلامية التي كانت مكوناً مهماً من الحكم خلال الفترة الماضية.

ووجه التونسيون سهام اتهاماتهم إلى العديد من وسائل الإعلام بالتورط في الانحياز خلال الانتخابات الرئاسية وعدم الحياد، وهي اتهامات يتوقع أن تتفاعل خلال الأيام المقبلة، خاصة مع المنافسة التي تشتد في الجولة الثانية من الانتخابات والتي ستحدد من هو الرئيس القادم لتونس. ويتنافس في الجولة الثانية من الانتخابات كل من المرشح المستقل قيس سعيد والمرشح عن حزب «قلب تونس» نبيل القروي، على أن هذه الجولة يتوجب أن تجري قبل يوم الثالث عشر من تشرين الأول/ أكتوبر المقبل، حسب ما أعلنت الهيئة العليا المستقلة للانتخابات التونسية.

ولاحقاً للانتقادات والاتهامات التي تعرضت لها وسائل الإعلام في تونس أصدرت الهيئة العليا المستقلة للاتصال السمعي البصري «الهايكا» بيانا تضمن تحذيراً شديد اللهجة للمؤسسات الإعلامية، واتهمت بعضها بـ«الانخراط في أجندات سياسية لبعض المرشحين».

وأكدت «الهايكا» انخراط العديد من وسائل الإعلام السمعية والبصرية (المرئية والمسموعة) الخاصة في الأجندات الانتخابية لبعض المرشحين خلال فترة الانتخابات الرئاسية، واعتبرت أن ذلك «أدى إلى ارتكاب خروقات ممنهجة وجسيمة مسّت في بعض الأحيان بسلامة الحملة الانتخابية».

وأضافت أن هناك العديد من المؤشرات السلبية المتعلّقة بتفاقم تدخّلات مراكز الضغط المالي والحزبي في توجيه بعض القنوات وتوظيفها، ما يستلزم تضافر جهود مختلف أطياف المجتمع التونسي المؤمن بضرورة تكريس مبادئ الدولة المدنية الديمقراطية لصدّ محاولات التراجع عن مكتسبات الثورة.

ووجهت الإتهام لبعض أصحاب المؤسسات الإعلامية ما أثر في استقلالية الخط التحريري لهذه المؤسسات وجعل بعض الصحافيين العاملين بها رهن المصالح الضيقة لأصحابها، معتبرةً أن «تخلي هذه القنوات عن التزاماتها الأخلاقية والمهنية والتعاقدية هو سعي إلى تجريد العملية الانتخابية من أهدافها الأساسية، خاصة حق المواطنين في الاختيار والمحاسبة وفق إرادة حرة، بعيدًا عن التضليل».

كما حذرت من استغلال بعض المعلقين للفضاءات الإعلامية الحوارية للترويج والدعاية لمرشحين والدعاية المضادة ضد منافسيهم، وهو ما اعتبرته تخلياً عن شرف المهنة وانزياحاً عن أخلاقيات المهنة الصحافية. وحذّرت الهيئة من مغبّة تواصل مثل هذه الممارسات التي من شأنها أن تنعكس سلباً على مصداقية وشفافية الانتخابات رئاسية كانت أو تشريعية. وأكدت أنها ماضية في تطبيق الإجراءات واتخاذ التدابير المخولة لها قانوناً ضماناً لتغطية نزيهة ومتوازنة وحفاظاً على حرية إرادة الناخبين واستقلالية وسائل الإعلام. وشددت الهيئة على ضرورة احترام خيارات الشعب التونسي والالتزام بنتائج صناديق الاقتراع.

ولم تذكر «الهايكا» في بيانها اسم أي من القنوات التلفزيونية أو الصحف أو وسائل الاعلام بعينها كما لم تذكر اسم أي من المرشحين للانتخابات بشكل خاص، لكن من المعروف أن المرشح نبيل القروي وهو أحد أشهر رجال الأعمال في تونس يمتلك قناة «نسمة» واسعة الانتشار في تونس.

قناة «الحوار» التونسي

وواجهت قناة «الحوار» التونسي موجة من الغضب والانتقادات بسبب ما اعتبره البعض «انحيازاً» خلال الانتخابات، وذلك بعد ان أجرت حواراً مع المرشح عبد الكريم الزبيدي قبل ساعات من بدء التصويت في الانتخابات.

ودعا مؤيدون لمرشحي الدكتور قيس سعيد الذي حصد أعلى الأصوات إلى مقاطعة القناة بسبب ما قالوا إنه «انحياز ضد المرشح الذي يؤيدونه».

وذكر ناشطون أن دعوات المقاطعة تسببت بفقدان القناة أكثر من مليون متابع لصفحتها على «فيسبوك» وهو ما يشكل ضربة قوية، اضطرت مالك القناة سامي الفهري إلى القول إن صفحة القناة تتعرض إلى «حملة تطهير رقمية».

وكتب أستاذ الإعلام منجي المبروكي: «ألا ترون معي أن مقاطعة قناة الحوار التونسي هي الخطوة الأولى في الحملة الانتخابية لمرشحنا قيس سعيد؟».

أما المحامي عبد الوهاب اليحياوي فأطلق عبر حسابه على «فيسبوك» دعوة إلى تطهير الإعلام بعد تطهير السياسة من خلال نتائج الانتخابات الرئاسية، حيث كتب: «ما يحدث مع قناة الحوار التونسي مثير للانتباه.. بعد كنس المنظومة.. جاري كنس إعلام المنظومة».

علوم وتكنولوجيا

امرأة تكتشف ميزة غير معلنة في هواتف «آيفون»

لندن – «القدس العربي»:

اكتشفت سيدة بريطانية أن هاتف «آيفون» ربما يكون الأفضل في مقاومته للماء مقارنة بغيره من الهواتف التي يقول منتجوها أنها مقاومة للمياه، لكن شركة «آبل» التي تنتج «آيفون» لا تعلن بأن هواتفها ضد الماء أو أنها من الممكن أن تصمد عند الغرق.

وحسب المعلومات التي نشرتها جريدة «دايلي ميرور» البريطانية فقد اكتشفت السيدة هذه الميزة عندما عثرت على هاتف «آيفون» غارقاً في نهر التايمز في وسط لندن، ومن ثم تمكنت من تجفيفه وتشغيله لتفاجأ بأنه يعمل بكامل طاقته وبشكل طبيعي تماماً وبدون مشاكل.

وقالت الصحيفة إن «السيدة فوجئت بالقدرات الخارقة لهاتف آيفون».

ونقلت «ميرور» عن لويز برينتيس قولها إنها كانت تسير على ضفة نهر التايمز عندما عثرت على هاتف «آيفون» فقررت أن تلتقطه وتحاول العثور على مالكه.

وقالت للصحيفة إنها وضعت الهاتف في وعاء يحتوي على الأرز غير المطبوخ، وهي الطريقة التي يتبعها معظم الناس في محاولة لإصلاح هواتفهم بعد تعرضها للبلل.

وبعد يومين كاملين داخل وعاء الأرز، أخرجت الهاتف وشحنته، لتفاجأ بأنه عاد للعمل بشكل طبيعي تماما من دون أي عطل.

وبتفحص البيانات، تمكنت من العثور على رقم والدة مالكة الهاتف، التي اتضح أنها سويدية الجنسية كانت تعمل في بريطانيا وعادت إلى بلدها منذ فترة.

ورغم بعد المسافة، قامت برينتيس بإرسال الهاتف لصاحبته في السويد، التي أعربت عن امتنانها وسعادته بالعثور عليه.

ولم توضح نوع هاتف آيفون الذي عاد للعمل بعد «الغرق» إلا أن الصورة التي نشرتها الصحيفة تظهر أنه إما «آيفون 6» أو «آيفون 6 إس».

ومن المعروف أن شركة «آبل» لا تعلن رسمياً أن هواتفها مقاومة للماء كما تفعل بعض الشركات الأخرى، فيما يقول بعض المختصين إنها تتجنب إعلان ذلك في مواصفات الهاتف حتى تتجنب ضمان الأجهزة التي تتعرض للتلف بالماء، ما يعني أن الميزة ربما تكون موجودة في الهاتف لكن الشركة تتجنب الإعلان عنها لأسباب قانونية وحتى لا تكون ضامنة لأي هاتف يتعرض للتلف نتيجة غرقه في الماء.

وكانت «آبل» كشفت مؤخراً عن الطراز الجديد من هاتفها «آيفون» وحمل اسم «آيفون 11» الذي أصبح حالياً الأحدث في عالم الهواتف المحمولة في العالم، حيث أعلنت في مؤتمرها السنوي عن أحدث منتجاتها التي شملت «آيفون 11» و«آيفون 11 برو» و«آيفون 11 برو ماكس» إضافة إلى الجيل الخامس من ساعتها الذكية.

ويعتبر التغير الأبرز في هواتف «آيفون 11» توافر 3 كاميرات خلفية فيما شهدت بطارية الهواتف تحسينات كبيرة عن الجيل السابق، حسب ما تؤكد الشركة.

وطرحت «آبل» هاتفها «آيفون 11» بستة ألوان تشمل البنفسجي الفاتح والأخضر والأصفر والأسود والأبيض والأحمر، ويمتاز بكاميرا واسعة للغاية، إضافة إلى اثنتين إضافيتين جديدتين تسمحان بالتقاط فيديوهات وصور.

أما شاشة الهاتف فهي من نوع «Liquid Retina» وتتميز بأن مقاسها يبلغ 6.1 إنش وتدعم مجموعة ألوان واسعة وتكنولوجيا «ترو تون» المتطورة والتي تجعل المشاهدة أقرب إلى الواقع.

وتم تحديث كاميرا «ترو ديبث» لتشمل واحدة جديدة بوضوح 12 ميغابكسل مع نطاق رؤية أوسع يسمح بالتقاط المزيد في صور السيلفي، كما توفر ميزة «HDR» الذكية صوراً تبدو طبيعية أكثر.

مشروع مبتكر لربط الأرض بالقمر وتسهيل السفر اليومي بينهما

لندن – «القدس العربي»:

يتطلع العلماء إلى ابتكار طريقة حديثة وغير مألوفة من أجل ربط كوكب الأرض بالقمر وجعل الرحلة إلى هناك أكثر سهولة من السفر بين دولة وأخرى، فضلاً عن أن القمر قد يصبح قريباً وجهة سياحية نشطة للبشر وذلك بفضل مشروع تسربت تفاصيله مؤخراً ونشرت عنه العديد من وسائل الإعلام الغربية.

وفي التفاصيل التي جمعتها «القدس العربي» فإن مشروع ربط الأرض بالقمر بوسيلة مواصلات حديثة اقترحه اثنان من علماء الفلك من جامعة كامبريدج وجامعة كولومبيا، لكن المقترح لا يزال في مسودة بحثية لم يتم نشرها بشكل رسمي حتى الآن، وتنتظر المناقشات والموافقات اللازمة بشأنها.

وتقوم الخطة على إنشاء نوع من المصاعد بين القمر والأرض يمكن استخدامها في السفر المتواصل بين كوكبنا وبين القمر الذي يعتبر قريباً نسبياً.

وحسب ما نشر موقع «بزنس إنسايدر» فقد وجد العالمان أن مواد مثل «زيلون» وهي عبارة عن كربون مبلمر، ستسمح لنا بإنشاء برج أو كيبل بين القمر ومدار ثابت حول الأرض، بدلا من امتداده مباشرة من القمر إلى الأرض.

وأشار الباحثان إلى أن الكابل قد يكون في سمك مادة الرصاص في قلم الرصاص، لكن تكلفته قد تصل إلى عدة مليارات من الدولارات.

وقالا إن الهيكل سيكون على مسافة آمنة من الأرض، على بعد حوالي 362000 كيلومتر من القمر، لتجنب ملامسة الأقمار الصناعية.

وستشمل الرحلة إلى القمر الانطلاق وصولا إلى الارتفاع الصحيح، والمزامنة مع نهاية كابل الفضاء، واستخدام قوة الدفع بواسطة الطاقة الشمسية للتنقل على طول الكابل إلى نقاط لاغرانج (حيث تنعدم الجاذبية) ثم التباطؤ حتى الوصول إلى مدار القمر.

ووفقا لحسابات العلماء فسوف يكون من الممكن بناء مثل هذا الهيكل باستخدام التقنيات الحالية، مشيرين إلى أن هذا المفهوم «مقبول بشكل كبير وقد ينظر إليه باعتباره خطوة رئيسية في تطوير قدرتنا ككائن قادر على التحرك والتنقل داخل نظامنا الشمسي».

وتشير التفاصيل في ورقتهم إلى أن تكلفة إنشاء الكابل تقدر بعدة مليارات من الدولارات، لكن، حسب العلماء، فإن هذه التكلفة قد توفر الكثير من الأموال، إذ ستقلل من كمية الوقود اللازمة للوصول إلى سطح القمر بنحو ثلث القيمة الحالية.

ورغم اقتناع العالمين، فإن المدير التنفيذي لمجموعة العمل الدولية لاستكشاف القمر في وكالة الفضاء الأوروبية برنارد فوينغ قال إن القضية «معقدة للغاية» مشيرا إلى أنه على الرغم من أن الفكرة ملهمة، فإن إمكانية تنفيذها ما زالت سابقة لأوانها.

وقال إن مثل هذا الهيكل الطويل من شأنه أن يطرح مشكلات كبيرة فيما يتعلق بتوازنه، وكذلك قضايا السلامة للمركبات الفضائية الأخرى، مثل الأقمار الصناعية.

يشار إلى أن شركة أوباياشي اليابانية للبناء والمقاولات عبرت في شباط/فبراير من العام 2012 عن عزمها بناء «مصعد فضائي» يرتفع إلى مسافة 96 ألف كيلومتر عن سطح الأرض.

وقالت الشركة إن الذي ساهم في إمكانية تحقيق هذه الفكرة هو اكتشاف الأنابيب النانوية الكربونية عام 1991 وهي عبارة عن مواد خفيفة الوزن وأقوى بعشرين مرة من الفولاذ.

وتعتزم الشركة بناء محطة مدارية على ارتفاع 36 ألف كيلومتر، كوجهة لسياح الفضاء تضم منشآت للاختبارات والسكن.

وأعلنت أن عملية البناء ستبدأ عام 2025

تحذير جديد: الطائرات بدون طيار قد تؤدي إلى هلاك البشرية

لندن – «القدس العربي»:

أطلقت مهندسة وباحثة بالغة الأهمية لكونها عملت سابقا في مشروع للذكاء الصناعي بشركة «غوغل» الأمريكية العملاقة، صرخة تحذير جديدة من الطائرات بدون طيار التي يجري استخدامها على نطاق واسع حالياً في المجالات العسكرية، ورأت إن هذا النوع من الأسلحة قد يخرج عن سيطرة البشر قريباً.

ويأتي هذا التحذير متزامناً مع الهزة التي ضربت العالم بأكمله بعد هجمات نفذها الحوثيون ضد مواقع سعودية بواسطة هذه الطائرات، وهي هجمات تسببت في تعطيل أكثر من نصف الإنتاج النفطي في السعودية التي هي أكبر منتج للبترول في العالم، وهو ما أدى تبعاً لذلك إلى ارتفاع حاد في أسعار النفط العالمية انشغل بها العالم بأكمله.

وعبّرت المهندسة والباحثة لورا نولان عن مخاوفها من وجود جيل جديد من الروبوتات يمكن أن ينفذ «عمليات قتل مروعة وغير قانونية».

ودعت نولان التي عملت سابقا في مبادرة طائرة الدرون العسكرية لدى «غوغل» ضمن مشروع مافن، دعت إلى حظر جميع الطائرات العسكرية ذاتية القيادة، لأن الآلات هذه لا تملك الفطرة أو الفطنة نفسها التي يتمتع بها البشر.

وركز «مشروع مافن» على تعزيز الطائرات من دون طيار باستخدام الذكاء الاصطناعي AI» لتمييز أهداف العدو عن الأشخاص والأشياء الأخرى، لكنه توقف بعد أن احتج الموظفون على التكنولوجيا في مرحلة التطوير واصفين إياها بأنها «شريرة».

ونقلت جريدة «الغارديان» البريطانية عن نولان التي غادرت «غوغل» في عام 2018 احتجاجا على تكنولوجيا الطائرات العسكرية من دون طيار قولها إن جميع الطائرات التي لا يديرها البشر يجب أن تكون ضمن الحظر المفروض على الأسلحة الكيميائية.

وفي حديثها مع الصحيفة أوضحت نولان التي تعمل الآن مع حملة إيقاف «الروبوتات القاتلة» قائلة: «إن ما تنظرون إليه هو عمليات قتل غير قانونية محتملة، حتى في ظل قوانين الحرب، خاصة إذا نُشر المئات أو الآلاف من هذه الآلات. وقد تكون هناك حوادث واسعة النطاق، لأن هذه الاختراعات ستبدأ بالتصرف بطرق غير متوقعة. ولهذا السبب يجب أن تخضع أي أنظمة أسلحة متطورة إلى سيطرة إنسانية، وإلا يجب حظرها لأنها خطيرة جدا». كما أشارت إلى أن هناك عوامل أخرى، مثل إشارات الرادار أو أنماط الطقس غير المعتادة، التي يمكن أن تحدث فوضى في نظام السلاح، الذي «لا يتمتع بالتمييز أو المنطق السليم الذي تتسم به اللمسة الإنسانية».

وكانت «غوغل» فازت في أيلول/ سبتمبر 2017 بعقد لتنفيذ مشروع «مافن» لكنها قررت إبقاء الصفقة سرية حتى عن موظفيها. ومع تسرب كلمة «مافن» داخليا بدأ الموظفون في التعبير عن غضبهم، مستشهدين بشعار الشركة السابق «لا تكن شريرا».

وفي 30 أيار/مايو 2018 نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» قصة عن المشروع وعن كلمة «مافن» شملت رسائل البريد الإلكتروني التي أرسلها فاي فاي لي، الأستاذ في جامعة ستانفورد وكبير علماء «غوغل» في الذكاء الاصطناعي، إلى مدراء تنفيذيين آخرين حول الذكاء الاصطناعي المسلح.

السيارة الأسرع في العالم تتفوق على المروحيات

لندن – «القدس العربي»:

كشفت شركة «بوغاتي» عن سيارتها الجديدة التي أطلقت عليها اسم «بوغاتي شيرون سوبر سبورت 300+» وهي أسرع سيارة على كوكب الأرض حيث تصل سرعتها إلى 490 كلم في الساعة، ما يعني أنها تتفوق على أغلب –إن لم يكن كافة– الطائرات المروحية في العالم. وتمكنت السيارة الجديدة من تسجيل الرقم القياسي على مضمار «إيهرا ليسابن» في ألمانيا، حيث وصلت لسرعة 490 كلم في الساعة، لتصبح السيارة الأسرع في العالم. وحسب مصادر الشركة، سوف تصدر منها 30 نسخة فقط، بحيث تحمل السيارة التي ستباع للعملاء نفس التصميم للنسخة الاختبارية التي جربها فريق «توب غير» مع لمسات النسيج الكربوني الأسود والخطوط البرتقالية ذاتها، مع الواجهة الأمامية سوداء اللون، مع فتحات تهوية أمام العجلات الأمامية. وحسب رئيس الشركة، ستيفان وينكلمان، تعتمد السيارة الأسرع في العالم على محرك 16 سلندر على شكل حرف «W» ذي أسطوانات سعة 8 لترات، و4 شواحن توربينية، وقدرة تصل إلى 1.578 حصان، وتعمل السيارة بدفع كلي للعجلات. كما تتميز بعلبة سرعات 7 مراحل، مزدوج الدبرياج (معشق السرعات) بينما تبلغ السرعة التي سيحصل عليها العملاء 440 كلم في الساعة.

يشار إلى أنه حتى ظهور هذه السيارة ونجاح تجربتها فإن سيارة «هينيسي فينوم جي تي» كانت الأسرع في العالم، وهي سيارة سوبر رياضية، صنعت من قبل شركة هينيسي للهندسة الميكانيكية، وقد دخلت موسوعة «غينيس» كأسرع سيارة في العالم على الإطلاق، وتصل سرعتها القصوى إلى 270 ميلاً في الساعة (430 كلم في الساعة) كما أنها تستطيع الانتقال من سرعة 0 إلى 60 ميلاً في الساعة (96 كلم في الساعة) خلال 2.5 ثانية فقط بقوة 1244 حصاناً، أما عن سعرها فهو يقدر بحوالي 1.2 مليون دولار.

كما يشار أيضاً إلى أن أسرع طائرة مروحية موجودة في العالم حالياً هي «يوروكوبتر إكس ثري» وتبلغ سرعتها القصوى 472 كم في الساعة، وحطمت هذا الرقم القياسي في 7 حزيران/يونيو من عام 2013 وتبلغ قوة كل من محركيها 2270 حصانا.

ولا يتم إنتاج هذه المروحيات بكميات كبيرة في الوقت الحالي، لأنها قد لا تحظى بالطلب بسبب تكلفتها العالية.

أما في المرتبة الثانية عالمياً فتأتي المروحية القتالية الأشهر والتي تصنعها الولايات المتحدة، وهي «أباتشي» التي تبلغ سرعتها القصوى 365 كم في الساعة، وقد استخدمت للمرة الأولى عام 1989 أثناء الغزو الأمريكي لبنما، كما شاركت لاحقا في عمليات مختلفة في الشرق الأوسط، خاصة في العراق وأفغانستان.

لأول مرة توليد الكهرباء من الظلام وتحويله إلى نور

لندن – «القدس العربي»:

تمكن علماء أمريكيون لأول مرة من تحويل الظلام إلى نور وذلك خلافا لما هو معروف منذ سنوات حيث يمكن تحويل الطاقة الشمسية إلى كهرباء، لكن المشكلة التي لطالما كانت تواجه الناس هو أنهم لا يحتاجون الضوء خلال النهار، ما يقلص من فرص استخدام الألواح الشمسية التقليدية.

وفي الابتكار الجديد تمكن العلماء في جامعة ستانفورد الأمريكية من إنتاج «خلايا شمسية عكسية» أي أنها تعمل على تحويل الظلام إلى طاقة كهربائية، وبالتالي استخدامه في تشغيل الضوء.

وحسب المعلومات التي نشرتها جريدة «دايلي ميرور» البريطانية فان «الخلايا العكسية» لا تستمد الطاقة من الشمس، كما لا تستمدها في الحقيقة من الظلام وإنما تقوم بامتصاص الحرارة التي تشعها الأرض في الليل من أجل توليد الطاقة الكهربائية.

وتولد معظم الألواح الشمسية الكهرباء من الشمس، من خلال عملية فيزيائية تسمى التأثير الكهروضوئي، حيث يولد الضوء الساطع على بعض المواد تيارا كهربائيا، لكن الجهاز الجديد يقلب هذه الطريقة بشكل أساسي رأسا على عقب.

ويعتمد الابتكار الجديد على الفرق في درجة الحرارة بين الشمس الحارقة والأرض الباردة واستخدام هذا الفرق في توليد طاقة مفيدة.

ففي الليل، يكون سطح الأرض أكثر دفئا من الهواء، ما يعني أن الكوكب يشع حرارة في عملية تعرف باسم التبريد الإشعاعي للسماء، حيث نجح الجهاز المبتكر في تسخير هذا التبادل الحراري وتحويله إلى كهرباء.

وفي حين أن الطاقة الناتجة عن تبريد السماء الإشعاعي، أقل بكثير من التي نحصل عليها مباشرة من الشمس بواسطة الخلايا الشمسية، فهي كافية لإضاءة لمبة «LED».

ويقول العلماء إن هذا الابتكار يمكن أن يساعد في توفير طاقة موثوق فيها، في المناطق خارج الشبكة في جميع أنحاء العالم.

وكتب فريق الدراسة في ورقتهم البحثية: «ما يزال جزء كبير من سكان العالم يفتقر إلى الكهرباء ولا سيما في الليل عندما لا تعمل الأنظمة الكهروضوئية. إن القدرة على توليد الكهرباء في الليل يمكن أن تكون أساسية لمجموعة واسعة من التطبيقات، بما في ذلك أجهزة استشعار الإضاءة منخفضة الطاقة».

وتم تصنيع الجهاز باستخدام مكونات منخفضة التكلفة جاهزة للاستهلاك، ومكونات للسلع الأساسية، وتكلفة أقل من 30 دولارا. ويتكون من صندوق من البوليسترين مغطى بمايلر الألمنيوم، مع قرص ألومنيوم 200 ملم مطلي باللون الأسود ومعلق في الأعلى، ليكون بمثابة «باعث حراري».

وتتدفق الحرارة من الأرض إلى الهواء، من خلال كتلة صغيرة من الألومنيوم على الجانب السفلي من الصندوق وفي القرص، الذي يشع الحرارة إلى الأعلى في الهواء.

وكان الاختبار قادرا على توليد 25 ميلي واط لكل متر مربع من القرص–وهو ما يكفي لتشغيل LED صغير واحد.

ومع ذلك، يزعم العلماء أنه مع وجود مزيد من العزل ومناخ أكثر جفافا، سيكون بإمكانهم الوصول إلى 0.5 واط لكل متر مربع من القرص.

ويمكن أن يعمل الجهاز أيضا في الاتجاه المعاكس خلال النهار، ويمتص أشعة الشمس وينتج الكهرباء من الحرارة التي تنتقل من الشمس إلى القرص.

اقتصاد

كيف خسرت مملكة النفط السعودية حربها قبل أن تبدأ؟

إبراهيم نوار

ظن الأمير محمد بن سلمان ولي عهد السعودية، الحاكم الفعلي لمملكة النفط، أن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب سيهبّ لنجدته بعد ضرب مصافي ومنشآت النفط في أبقيق وخريص، لكن ترامب لم يفعل. وظن بن سلمان أيضا أن ضرب القلب النفطي للمملكة في المنطقة الشرقية، سيحرك العالم، ويقلب الدنيا رأسا على عقب، لكن الأسواق التي اهتزت بعنف لمدة 48 ساعة، لم تلبث أن استعادت توازنها، حتى وإن كان التوازن الجديد عند مستوى أسعار أعلى من السابق. الأخ غير الشقيق لبن سلمان الأكبر منه سنا، الأمير عبد العزيز، الذي انتقلت اليه مؤخرا مفاتيح خزائن النفط السعودية، أسهم في التهدئة عندما أكد للعالم أن الإنتاج السعودي باكمله سيعود للأسواق خلال أيام قليلة. الآن يصرخ بن سلمان الصغير داعيا العالم لنصرته معلنا أن الاعتداء على السعودية يمثل اختبارا لقوة الإرادة الدولية! هو لا يزال يعتقد أن أحدا سوف ينهض، ويأتي لنصرته والدفاع عنه. لكن يبدو أن ذلك لن يتحقق، وقد باتت مملكة النفط السعودية مكشوفة عاجزة تستجدي الآخرين لحمايتها، بينما طائراتها متفرغة لضرب اليمن، وضباطها وجنودها هناك يلقون حتفهم يوما بعد يوم، وأخيرهم وليس آخرهم كان قائد القوات السعودية في حضرموت، الذي لقي مصرعه مع عدد من جنوده يوم الخميس الماضي. اليس من الأجدى أن تتفرغ هذه القوات الجوية والمدرعة لحماية مملكة النفط وثرواتها، بدلا من قتل الأبرياء في اليمن وتخريب منشآتهم؟

مملكة النفط السعودية، في واقع الأمر، خسرت دعوتها للحرب منذ اليوم الأول؛ فلماذا تقوم الحرب بينما النفط يتدفق من منابع الإنتاج إلى شرايين العالم؟ ولماذا تقوم الحرب، وقد أثبتت عملية ضرب مصافي أرامكو وحقول خريص، أن النفط الذي تدعو واشنطن إلى تأمين مروره في الخليج، من الممكن ألا يتم تحميله في الناقلات، بل يمكن وقف إنتاجه من الأصل؟ ولماذا يكتتب العالم في حرب، هي في حقيقتها مجرد مشروع استثماري لصناعة السلاح الأمريكية؟ ولماذا يشارك آخرون في حرب عدوانية، لا تأخذ في اعتبارها حقائق الوضع في الإقليم، بعد أن شرعت واشنطن قانونا لحرمان إيران من تصدير نفطها، بهدف خنقها وإسقاطها؟ هم جميعهم يعرفون أن تشديد الخناق على إيران، وسياسة (الضغوط القصوى) الأمريكية، يعني ببساطة أن إيران ليس لديها ما تخسره، ولا سبيل أمامها غير المقاومة. إيران في حقيقة الأمر، ليست جديدة على مقاومة العقوبات والحصار السياسي والإقتصادي.

مواقف العالم من الدعوة إلى الحرب واضحة. العقلاء في الصين وروسيا واليابان وألمانيا وفرنسا وغيرها، يصنعون حاجزا قويا ضد انزلاق العالم إلى حرب قد يمتد لهيبها من السعودية إلى الخليج ككل، وربما إلى العالم، حيث توجد الكثير من الحسابات المعقدة، التي تنتظر لحظة للتسوية أو التصفية بطريقة عنيفة، خصوصا وأن العراق هو الآخر يقف على حافة منها.

حقل نفط في السعودية

الحرب فرصة للربح

الرئيس الأمريكي، الذي لا تفوته فرصة لتحقيق أرباح من وراء مملكة النفط السعودية، قال إنه سينتظر نتائج التحقيقات في حادث أرامكو، وأكد استعداده للدفاع عن السعودية، إذا هي طلبت ذلك. ترامب يقول بطريقته: ادفعوا لي أتيكم بمدد! محنة السعودية هي فرصة لتحقيق أرباح استثنائية. ولماذا لا، والسعودية تملك احتياطيات من النفط تصل إلى ما يقرب من 300 مليار برميل، أي ما يعادل ثروة تصل إلى نحو 20 تريليون دولار. وقد جرب ترامب سياسة تتكون من خليط من التودد والإبتزاز، وحصل من مملكة النفط السعودية على عقود تقترب قيمتها من 400 بليون دولار منذ عام 2017. ليس ترامب فقط، بل إن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين هو الآخر لم يفوت الفرصة، وعرض على السعودية وهو يلتقي في أنقرة رئيسي تركيا وإيران، أن تشتري أسلحة روسية، لأن الأمريكية فشلت في حماية ثروة مملكة النفط السعودية.

محنة السعودية، تحولت عالميا إلى مجرد فرصة للربح، ولا علاقة لها باختبار الإرادة العالمية ولا بتلك الأوهام التي تسيطر على محمد بن سلمان، بأن العالم سيهب لنجدته. من واشنطن إلى الخليج، وجد داعية الحرب مايك بومبيو في حادث أرامكو فرصة لمحاولة إعادة تعويم افتراح تشكيل قوة أمنية بقيادة الولايات المتحدة. الإقتراح المتعثر وجد، هذه المرة، تجاوبا سريعا من السعودية والإمارات، حيث أعلنت الدولتان الانضمام إليه مع كل من البحرين وبريطانيا. هذه القوة في حقيقة الأمر هي مجرد ذراع من أذرع المشروع الاستثماري الأمريكي في الخليج، الهادف إلى تهديد إيران. السعودية والإمارات والبحرين ستدفع الفاتورة، بزعم حماية مرور نفط، قد لا يتم استخراجه أو تحميله من الأساس.

التكلفة الاقتصادية

الهجوم الذي تعرضت له مصافي أرامكو وحقول النفط في أبقيق وخريص، أوقف ما يزيد عن نصف إنتاج النفط السعودي لعدة أيام. ومع أن السعودية أعلنت بعد ثلاثة أيام أنها استطاعت إعادة العمل في المنشآت بنحو ثلث طاقتها، فإن استمرار توقف الإنتاج بنسبة تزيد عن 60 في المئة من طاقة الإنتاج في المصافي، يعني استمرار خسائر السعودية. وقد حاولت مملكة النفط استخدام مخزونها الإستراتيجي، لتمون الدول والشركات المتعاقدة معها، لكنها واجهت مشكلتين في آن واحد. المشكلة الأولى هي حاجة السوق المحلية، حيث يتم تشغيل محطات الكهرباء وتحلية المياه والشركات الصناعية وغيرها باستخدام وقود بمواصفات محلية. والمشكلة الثانية هي أن التعاقدات مع البلدان والشركات المستوردة، تتضمن مواصفات للنفط الخام من حيث كثافته ونسبة الرصاص وغيرها. وقد واجهت السعودية مشكلة مع الهند، عندما عرضت شحنة نفط بديلة، بمواصفات غير تلك المتعاقد عليها. هذه المشكلة ترتبط بالخصائص التقنية لمعامل التكرير وإنتاج المشتقات النفطية، فهناك مصافي مصممة لتكرير الخامات الثقيلة، وأخرى متخصصة في التعامل مع الخامات الخفيفة. لذلك فإن توريد النفط إلى عملاء السعودية لا يتعلق بالوفاء بالكمية فقط، وإنما يتعلق أيضا بالمواصفات. وربما لهذا السبب ثار الجدل بعد شيوع أنباء عن طلب السعودية إمدادات من النفط الخفيف من العراق. وسوف يظهر تدفق شحنات شهر أكتوبر، ما إذا كان مخزون النفط السعودي وطاقة التشغيل الحالية لمصافي أرامكو، قادر على توريد النفط إلى عملائها بالكميات والمواصفات المطلوبة. في كل الأحوال سينخفض معدل النمو الإقتصادي في السعودية هذا العام إلى نصف معدل العام الماضي، لأسباب أهمها زيادة تكلفة الحرب في اليمن بعد انسحاب الإمارات عسكريا، وانخفاض إنتاج النفط طبقا لاتفاق أوبك، ثم بسبب كارثة أرامكو في أبقيق وخريص.

كذلك فإن الحادث سيترك آثارا سلبية على طرح حصة من أسهم أرامكو في السوق. وتشير تقارير من داخل الرياض إلى تعرض الأمراء والشركات الثرية لضغوط شديدة للإكتتاب في الطرح المحلي، الذي من المقرر أن يسبق الطرح العالمي، بهدف إنجاحه. لكن نجاح الإكتتاب عالميا أصبح محفوفا بالمخاطر جراء الوضع العسكري في الخليج. مملكة النفط السعودية ستواجه مصاعب كبيرة في دمج اقتصادها الجديد غير النفطي عالميا، في ظل سياسة عدوانية ضد جيرانها، سواء في اليمن أو في إيران.

تراجع أهمية مملكة النفط

الجديد الذي أظهره الهجوم الذي تعرضت له منشآت أرامكو هو أن تأثير اضطراب إمدادات النفط العالمية من الخليج، سيكون في معظم الأحوال تأثيرا قصير المدى، وأن الدول المنتجة للنفط لديها فائض كبير في طاقات الإنتاج. كذلك فإن شركات النفط الأمريكية التي تسعى لزيادة نصيبها في أسواق العالم، لها مصلحة في انقطاع الإمدادات، على أن يكون هذا الانقطاع محدودا وتحت السيطرة، وذلك على الرغم من الأضرار التي يمكن أن تتعرض لها قطاعات أخرى في الاقتصاد الأمريكي والعالمي. لقد ارتفعت الأسعار يوم الهجوم بنسبة وصلت إلى نحو 20 في المئة لتتجاوز 70 دولارا للبرميل. لكنها في اليوم التالي بدأت في التراجع، وما تزال مستقرة فوق حاجز الـ 60 دولارا، بينما تواصل أوبك وروسيا الالتزام باتفاق تخفيضات الإنتاج. وفي ظل هذه المعطيات، وما لم يشتعل الموقف فجأة، فإن أسعار النفط يمكن أن تستقر حول معدلها الحالي، مع احتمال للانخفاض أكبر من الزيادة.

هذا يعني، من الناحية السياسية، أن العالم ليس في عجلة من أمره، لاتخاذ إجراءات تحد من خطورة تأثير انقطاع إمدادات النفط، لأن عرض النفط وفير رغم التوتر، ولأن الأسعار يحددها الطلب وليس العرض. لكن إلحاح إيجاد حل اللأزمة في الخليج يمكن أن يزداد في حال انفجار الوضع لأي سبب من الأسباب، ربما نتيجة حماقة من حماقات واحد من القادة العسكريين على أي من الجانبين. الحوثيون قالوا إن الإمارات ليست بعيدة عن مرمى نيرانهم، وهم قادرون فعلا على توجيه ضربة للإمارات، التي إذا تعرضت لذلك، فإنها ستصاب بالهلع، لأنها قصر هش من زجاج، يعيش ويزداد رخاء في السلام، ويسقط ويتناثر قطعا في الحرب. الحوثيون أيضا يهددون الملاحة في باب المندب، وقد أظهر البيان الذي أصدرته السعودية بخصوص إفشال هجوم بزورق مفخخ قبالة الساحل الغربي لليمن، أن أسلوب الزوارق المفخخة يمكن أن يستخدم على نطاق واسع في مضيقي باب المندب وهرمز، من أجل وقف إمدادات النفط وإرباك التجارة العالمية. ونظرا لأن الحوثيين أثبتوا براعة في تصنيع واستخدام الطائرات المسيرة، وفي إعادة تأهيل وتطوير الصواريخ القديمة التي كانت في حوزة اليمن منذ زمن، فإنهم يستطيعون فعلا تهديد مصالح الولايات المتحدة وحلفائها. ولن تكون (إيران الدولة) في حاجة إلا إلى استخدام قوتها في الدفاع الشرعي عن أمن حدودها ضد أي اعتداءات من الخارج. في هذه الحالة فقط، سيكون العالم في عجلة من أمره، لاتخاذ إجراءات لمحاصرة خطر الحرب، وليس لتشديد الحصار على إيران. المزيد من الحرب ليس الحل. الحرب تعني من حماية سياسة العدوان السعودية على اليمن، وتعني تكريس سياسة الضغوط القصوى الأمريكية على إيران. أما تأمين تدفق ومرور إمدادات النفط، فإنه يستلزم البحث عن السلام. باختصار نقول إن أمن السعودية يبدأ من إنهاء الحرب على اليمن، وإن أمن الخليج يبدأ من إنهاء العقوبات الأمريكية على إيران، وإن أمن الخليج هو مسؤولية دوله وليس مسؤولية الولايات المتحدة.

الأوضاع السياسية والأمنية في بلادهم تدفع العراقيين لتصدر مشتري العقارات في تركيا

إسطنبول ـ «القدس العربي»: إسماعيل جمال

مجسمات مجمعات سكنية في تركيا

تسجل أرقام شراء العراقيين للعقارات في تركيا تنامياً متسارعاً جعلهم في المرتبة الأولى بين مشتري العقارات الأجانب في تركيا وبفارق كبير، بالتزامن مع ارتفاع أعداد السياح العراقيين إلى تركيا والذين تؤكد الكثير من المعطيات انهم يفضلون البقاء والاستقرار في تركيا هرباً من الأوضاع السياسية والأمنية والمعيشية المتردية التي تمر بها البلاد منذ سنوات طويلة.

وإلى جانب رخص أسعار العقارات في تركيا، بات قانون الجنسية الجديد المحفز الأول للعراقيين ميسوري الحال من أجل الحصول على الجنسية التركية عبر شراء عقار بقيمة 250 ألف دولار وهو مبلغ يقولون إنه معقول طالما أنه يؤمن له مسكنا راقيا وجنسية تركية وظروفا حياتية أفضل من تلك المتوفرة في العراق.

والعام الماضي، أقر البرلمان التركي تعديلاً قانونياً يتيح منح الجنسية لمن يشتري عقارا تتجاوز قيمته 250 ألف دولار، وهو ما رفع من مستوى شراء الأجانب لا سيما العرب للعقارات في تركيا، لكن ارتفاع نسبة العراقيين كانت الأكبر من بين جميع الدول العربية، كما حفز تراجع قيمة الليرة التركية أمام الدولار الأمريكي العراقيين أيضاً للانتقال إلى تركيا التي يقولون إن الحياة فيها باتت أرخص وأفضل من العراق.

ولكن هذه الأرقام وعلى الرغم من ضخامتها مقارنة بأرقام شراء العراقيين للعقارات طوال العقود والسنوات الماضية، إلا أنها لا تعبر بشكل دقيق عن حجم العراقيين الذين قرروا الانتقال للعيش في تركيا في السنوات الأخيرة، حيث تشير أرقام السياحة إلى معطيات أكبر بكثير.

ففي عام 2003 لم يتجاوز عدد السياح العراقيين إلى تركيا 25 ألف سائح، هذا الرقم الذي ارتفع إلى قرابة 300 ألف عام 2010 تجاوز المليون لأول مرة عام 2015 وواصل الارتفاع ليصل إلى مليون و200 ألف عام 2018 بموجب الإحصائيات الرسمية التي اطلعت عليها «القدس العربي» من الموقع الرسمي لوزارة السياحة التركية.

وفي تموز/يوليو الماضي فقط، وصل عدد السياح العراقيين إلى تركيا 200 ألف سائح بينما كان هذا الرقم في الشهر ذاته من العام الماضي 150 ألف.

لكن الكثير من المعطيات الأخرى تشير إلى أن جزءا كبيرا من هذا العدد الكبير من العراقيين الذين يصلون إلى تركيا تحت بند السياحة انتقلوا عملياً للعيش فيها ولم يعودوا إلى بلادهم ويدعم ذلك إحصائيات وزارة الداخلية التركية التي تشير إلى وجود قرابة نصف مليون عراقي يمتلكون إقامات عمل أو سياحة أو إقامات عائلية، وهم بذلك يحتلون المرتبة الثانية بعد اللاجئين السوريين الذين تجاوز عددهم الـ3.5 مليون، حيث يمكن لأي عراقي التقديم للحصول على ما تعرف بـ«الإقامة السياحية» بتكاليف زهيدة، وهي وثيقة إقامة تجدد كل عام أو عامين.

ومع زيادة تواجدهم في تركيا، تزايدت بشكل لافت أعداد الشركات المسجلة بأسماء مواطنين عراقيين، وباتت الشركات العراقية ومكاتب السياحة والسفر وبيع العقارات، إلى جانب المطاعم العراقية، تنتشر في الكثير من أحياء إسطنبول لا سيما التي بات يتركز فيها العرب والعراقيين بشكل خاص، كما فتحت الكثير من المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية إلى جانب الجامعات العراقية في إسطنبول ومدن تركية أخرى لتلبية الطلب المتزايد للعراقيين المقيمين في تركيا.

وتعتبر إسطنبول أكثر مدينة اشترى فيها العراقيون عقاراتهم، ويرونها مثالية للحياة من حيث توفر الخدمات ورخص السكن سواء للشراء أو الاستئجار، بالإضافة إلى تزايد التواجد العربي وبالتالي الخدمات المتوفرة لهم باللغة العربية، يضاف إلى ذلك وجود أحياء محافظة وانتشار المساجد وغيرها من المعايير التي تناسب العراقيين والعرب بشكل عام.

الصين: مشاورات بناءة مع الجانب الأمريكي قبل المحادثات التجارية المقبلة

منتوجات صينية في امريكا

اختتمت الصين وأمريكا في واشنطن أمس مناقشات جاءت في إطار التحضير لمحادثات تجارية مقررة بين الجانبين في تشرين الأول/أكتوبر المقبل. ووصفت وسائل الإعلام الصينية الرسمية الاجتماعات بأنها «بناءة».

وقالت وكالة أنباء الصين الجديدة «شينخوا» السبت إن نواب وزراء من البلدين أجروا على مدار يومين «مناقشات بناءة بشأن القضايا الاقتصادية والتجارية محل الاهتمام المشترك».

وأضافت أن الوفدين «ناقشا بجدية» الترتيبات الخاصة بالجولة المقبلة من المحادثات التجارية الشهر المقبل.

ورغم أن اللغة التي استخدمها الوفدان كانت إيجابية، فهي لم تخرج عن إطار البيانات النمطية التي أصدرتها الصين في أعقاب إجراء مثل هذه المحادثات في الماضي.

وفي وقت سابق الشهر الجاري، أجرى نائب رئيس وزراء الصين ليو هي محادثات هاتفية مع الممثل التجاري الأمريكي روبرت لايتهايزر ووزير الخزانة ستيفن منوشين، حيث جرى الاتفاق على عقد اجتماع الشهر المقبل في محاولة جديدة لوضع حد للحرب التجارية التي اندلعت بين واشنطن وبكين قبل نحو عام.

وكانت واشنطن أرجأت الاسبوع الماضي، وحتى منتصف تشرين الأول/أكتوبر، زيادة في الرسوم الجمركية على واردات صينية للسوق الأمريكية، وتراجعت الصين عن فرض رسوم على وارداتها من فول الصويا ولحوم الخنازير من الولايات المتحدة، كما أعفت بعض المنتجات الكيميائية من الرسوم الإضافية. ووصف الجانبان هذه الخطوات بأنها «بادرة حسن نية».

وأظهرت بيانات أصدرتها بكين يوم الاثنين الماضي تباطؤ النمو في جميع القطاعات، حيث يشهد ثاني أكبر اقتصاد في العالم تباطؤا جراء تداعيات الحرب التجارية مع الولايات المتحدة. (د ب أ)

أنشأتها شركة أرامكو مع اكتشاف النفط في أربعينيات القرن الماضي

بقيق السعودية: حزام من الرمال الذهبية المتحركة

علي ال غراش

تقع مدينة بقيق الصغيرة والهادئة والمنسية شرق السعودية، وقد تحولت خلال الأيام القليلة الماضية إلى أشهر اسم وتصدرت وسائل الإعلام العالمية بعد تعرضها للقصف في 14 أيلول/سبتمبر من قبل قوات أنصار الله «الحوثيين» بواسطة طائرات مسيرة بالإضافة إلى استهداف هجرة خريص، بدون وقوع أي إصابات بين العاملين. ويأتي الاهتمام العالمي بمدينتي بقيق وهجرة خريص لأن الموقعين من أهم المنشآت النفطية التابعة لشركة أرامكو، حيث ان بقيق من أهم وأكبر المنشآت لتكرير النفط في السعودية بل في العالم، كما ان هجرة خريص تحتوي على حقل نفطي كبير لإنتاج البترول الخفيف.

وحول سبب استهداف الموقعين بسلاح الجو المسير قال المتحدث باسم القوات اليمنية المسلحة التابعة لحكومة صنعاء العميد يحيى سريع: «إن هذه العملية تأتي في إطار حقنا المشروع والطبيعي في الرد على جرائم العدوان وحصاره المستمر على بلدنا منذ 5 سنوات» مضيفا أن العمليات المقبلة ستتوسع وستكون أشد إيلاما، حتى يتوقف النظام السعودي عن عدوانه.

الاستهداف

عملية استهداف بقيق وخريص تعتبر الأعنف على الأراضي السعودية منذ شن تحالف الرياض الحرب ضد جماعة الحوثي منذ قبل نحو 5 سنوات باسم «عاصفة الحزم» بمبرر عودة الحكومة الشرعية برئاسة عبدربه منصور هادي. وشكل الهجوم ضربة موجعة ومؤثرة لسلطات الرياض لأنها استهدفت البنية التحتية للمصدر الاقتصادي الأهم في البلاد التي تعتمد على واردات النفط، حيث تنتج السعودية نحو 11 مليون برميل يوميا، وقد أدت الضربات إلى توقف تدفق الإمدادات النفطية بنحو 5.7 ملايين برميل يومياً، حوالي 50 في المئة من إنتاج الشركة للزيت الخام وإمدادات غاز الإيثان وسوائل الغاز الطبيعي، أي ما يعادل قرابة 6 في المئة من إمدادات الخام العالمية، مما أدى إلى ارتفاع أسعار النفط بنحو 20 في المئة مسجلا أعلى ارتفاع منذ عام 1991. ونتيجة لهذه العملية التي هزت أركان النظام السعودي واحرجته أمام العالم، فقد طالبت الرياض بتحقيق دولي فيها. وبعد الاستهداف غطت الأدخنة السوداء سماء الأحساء. وهذه ليست المرة الأولى التي تتعرض فيها بقيق للاستهداف، ففي 24 شباط/فبراير 2006 تمكنت القوات الأمنية من إحباط عملية إرهابية عبر هجومين انتحاريين بسيارتين مفخختين من قبل تنظيم «القاعدة» على معمل بقيق النفطي، أدى إلى مقتل اثنين من الإرهابيين واستشهاد 2 من الجنود وإصابة عدد منهم.

والسؤال المطروح الآن هو هل ستؤدي عملية استهداف بقيق إلى توسع الحرب في اليمن لتشمل منطقة الخليج وأبعد، أم سيتحرك المجتمع الدولي لإنهاء الحرب في اليمن عبر الحلول السلمية والدبلوماسية؟

الاسم والتاريخ

تقع بقيق شرق السعودية في منتصف الطريق السريع بين مدينة الدمام والهفوف، وتبعد عن ساحل الخليج العربي بنحو 30 كلم، وهي مدينة صغيرة وهادئة ومنسية، يلفها حزام من الرمال الذهبية الناعمة المتحركة من كافة الاتجاهات. أوجدتها شركة أرامكو مع بداية اكتشاف النفط في الأربعينيات من القرن الماضي، وتكمن أهميتها في وجود أكبر معمل لتكرير النفط في العالم، فهي مركز رئيسي لشركة أرامكو النفطية لما يسمى بأعمال المنطقة الجنوبية الغنية بالزيت والغاز، وهي الخاضعة ضمن الحدود الإدارية لمنطقة الأحساء، حيث يقع فيها حقل غوار الأكبر في العالم وحقل خريص وشيبة وغيرها، كما انها الإدارة التي تشرف على المنشآت لشركة أرامكو مثل شدقم والعضيلية والعثمانية وشيبة وحرض وخريص ومحاسن بالمبرز.

تعود تسمية بقيق إلى وجود منطقة إلى الشمال منها تسمى بقة، وهي عبارة عن منبع ماء. وقيل إن اسم بقيق يعود لانتشار حشرة البق في المنطقة. وتتكون بقيق من قسمين: بقيق أرامكو، وتقع في الجهة الشرقية والشمالية وهي المدينة التي أسستها شركة أرامكو في الأربعينيات، وتعتبر خاصة بالشركة، وهي مدينة متكاملة نموذجية راقية، تحتوي على مساكن خاصة لموظفي الشركة انشئت عندما قررت أرامكو في بدايتها بناء أربع مدن نموذجية متكاملة في مواقع العمل الرئيسية: الظهران، ورأس تنورة، والعضيلية بالإضافة إلى بقيق. ويحتوي المجمع على قسمين رئيسيين: سكن خاص للعوائل «السنير» وهي أشبه ما تكون بأحياء المدن الأمريكية الراقية، وقسم خاص بالعزاب، وكل قسم يحتوي على كل المستلزمات الضرورية والترفيهية من مطاعم وملاعب ومسابح وسينما وغيرها.

وتقع في بقيق أرامكو أهم معامل الشركة الضخمة التي تأسست عام 1933 باسم شركة كاليفورنيا العربية للزيت القياسي، وفي عام 1944 تغير الاسم إلى شركة الزيت العربية الأمريكية أرامكو، ثم تحول الاسم إلى شركة أرامكو السعودية في عام 1988 ويقع مقرها الرئيسي في مدينة الظهران. ولدى أرامكو أكثر من 70 ألفا ما بين موظف وعامل تابعين لها، ونحو 100 ألف موظف وعامل تابعين لمقاولين يعملون للشركة. وتضخ معامل بقيق معظم النفط السعودي الذي يقدر بنحو 11 مليون برميل يوميا إلى ميناء رأس تنورة ومصاف أخرى والبحرين، ويعمل في معاملها النفطية في بقيق 3 إلى 4 آلاف موظف من قبل شركة أرامكو أو من المقاولين. ويوجد على بعد 30 كيلو مترا تقريبا من بقيق أرامكو من جهة الشرق شاطئ القرية الساحلي المطل على مياه الخليج وهو خاص بموظفي الشركة فقط.

البلد

تأسست بقيق البلد عندما اتخذ بعض المقاولين العاملين لشركة أرامكو من المساحة خارج أسوار الشركة مقرا لمكاتبهم وسكنا لموظفيهم وعامليهم، والتي هي عبارة عن مواقع مكتبية وسكنية من الصفيح والخشب، وبعض الخيم للبدو الرحل، ومع مرور الأيام والسنين أخذ الناس في الاستيطان فيها وبناء المنازل الحديثة إلى أن صارت ما عليه الآن. وقد اتسعت كثيرا ووصلت أحياؤها قرب الطريق السريع الذي يربط الدمام بالهفوف، كما توجد في بقيق حاليا دوائر لأغلب الجهات الحكومية وفيها مستشفى حكومي واحد صغير، وعدد من المدارس التعليمية للبنين والبنات لجميع المراحل، كما توجد بها محطة قطار.

تمثل بقيق مركزا مدنيا وتجاريا مهما بالنسبة للقرى والهجر التابعة لها كالدغيمية وعين دار والجوية، وأصول أهل هذه المناطق أغلبهم من قبائل معروفة تسكن في المنطقة منذ زمن طويل: هواجر وعجمان ومرة وخوالد. ويعمل فيها الآلاف من المواطنين والمقيمين في الدوائر الحكومية والقطاعات الأهلية والتجارية، وقد قامت بلدية بقيق بمساعدة من شركة أرامكو بتطوير المنطقة السكنية الحكومية عبر إنشاء عدد من المشاريع الخدماتية والجمالية، والأحياء الجديدة النموذجية، التي توزع غالبا على موظفي الشركة، ومعظم سكان المدينة حاليا من أصول تعود إلى خارج المنطقة الشرقية. تتكون بقيق من أحياء صغيرة وشوارع قليلة وقصيرة أخذت تعج بالمركبات التي هي غالبا من نوع الدفع الرباعي الجيب «لاند كروز» التي تحظى بشعبية كبيرة لدى أبناء المدينة والهجر المجاورة.

ضياع

لم تتمكن مدينة بقيق من التطور أسوة بالمدن الحديثة التي قامت بعد اكتشاف النفط خلال الخمسين عاما الأخيرة بالرغم من دورها ومكانتها في صناعة النفط، وهناك أسباب لذلك منها انها تقع في منتصف المسافة الفاصلة بين مدينة الهفوف وبقية المدن في واحة الأحساء ذات التاريخ العريق وبين مدن حاضرة الدمام الخبر والظهران الحديثة بالإضافة إلى محافظة القطيف التاريخية، فقربها من الموقعين لم يخدمها كثيرا لكي تتطور أكثر كبقية المدن في حاضرة المنطقة الشرقية الحديثة (الدمام الخبر والظهران) التي لم ترحم مدينة بقيق، إذ استطاعت هذه الحاضرة وعبر مدنها المتطورة والنموذجية من جذب كل من يعشق التمدن والحداثة وكل ما هو جديد، من قبل موظفي شركة أرامكو الذين وجدوا في مدن حاضرة الدمام الموقع المناسب للاستيطان لمن هم من خارج المنطقة الشرقية وخاصة الأحساء والقطيف.

ولعل جاذبية كل من الأحساء صاحبة التاريخ العريق ورائحة التراث المتجدد، وجاذبية حاضرة الدمام النموذجية العصرية والحداثة أصابها بالحيرة والجمود أمام قوة القطبين اللذين يتمتعان بعوامل تفتقدها المدينة الوليدة الهادئة، مما أدى إلى أن تكون تابعة وملتصقة بهما وقابلة بوضعها.

لقد كانت بقيق - التابعة حاليا لحاضرة الدمام مباشرة - منذ تأسيسها وإلى قبل سنوات قليلة تابعة إداريا لمنطقة الأحساء، وأقرب مدينة لها هي العيون، إذ تبعد عنها نحو 25 كلم، بالإضافة إلى أن أكثر الموظفين والعاملين في الدوائر الحكومية وشركات النفط والتجار والكسبة فيها من أهالي الأحساء وبالتالي فهي تعتمد بشكل كامل تموينيا وإداريا وبشريا عليها. وقرب المسافة بين بقيق ومدن الأحساء أدى إلى عدم تفكير الأحسائيين العاملين فيها في الاستقرار فيها وجلب عوائلهم، وهذا ساهم في عدم تنمية بقيق بالشكل المناسب لتصبح كالمدن الجديدة التي تأسست بعد اكتشاف النفط مثل الخبر والدمام والظهران ورأس تنورة.

مدينة الذكريات

أهالي المنطقة الشرقية لهم ذكريات كثيرة مع مدينة بقيق أرامكو التي لم تعتبر مجرد ممر لمن يتوجه إلى الدمام أو الأحساء، ولكنها كانت محل جذب للبعض لما تحتويه على مميزات، حيث كانت قبل ثلاثة عقود من الزمن شبه مقتوحة في استطاعة أي شخص وبالخصوص لمن يعرف أي موظف في الشركة الدخول والاستمتاع بمرافق الشركة الترفيهية مثل الأكل في الكانتين أو الذهاب إلى السينما وغيرها، فأهالي المنطقة الشرقية وبفضل وجود مدن أرامكو كانوا يذهبون إلى السينما منذ عقود من الزمن.

خُرَيْص هجرة فقيرة

خُرَيْص هي هجرة صغيرة تقع ضمن الحدود الإدارية لمنطقة الاحساء، تبعد عن مدينة الهفوف العاصمة الادارية للأحساء 160 كلم من ناحية الغرب في اتجاه الرياض التي تبعد عنها بنحو 150 كلم، وكانت قبل عقدين من الزمن محطة مهمة لاستراحة المسافرين من وإلى الأحساء وعموم المنطقة الشرقية ودول الخليج، يمر عبر الهجرة طريق يسمى بطريق الموت لأنه قديم وخطر، وقد فقد الطريق أهميته بعد إنشاء طريق جديد سريع يربط الرياض بالشرقية، وتأتي أهمية خريص لوجود عدد من حقول النفط فيها، وقد اهتمت شركة أرامكو السعودية بها في العقد الأخير بإقامة عدد من المشاريع العملاقة لصناعة النفط حيث يقدر إنتاجها 1.2 مليون برميل يوميا من الزيت العربي الخفيف، ويسكن هجرة خريص الصغيرة عوائل من قبيلة الدواسر وهم السكان الأصليين، وهم يعانون من افتقاد الخدمات الأساسية، ومنذ عقود من الزمن يطالبون السلطات الحاكمة بتعويضات عن أراضيهم التي سيطرت عليها أرامكو من دون دفع أي تعويض لهم والاهتمام بهجرتهم الفقيرة رغم انها تنتج أفضل أنواع من البترول الخفيف.

رياضة

دوري أبطال أوروبا
جولة وصمة العار وكشف أكذوبة ثورة التغيير

دي ماريا يحتفل بتسجيله في مرمى ريال مدريد

لندن – «القدس العربي»: عادل منصور

أُسدل الستار على الجولة الافتتاحية لدوري أبطال أوروبا، بنتائج كانت متوقعة، وأخرى جاءت خارج التوقعات، باستثناء سهرة «حديقة الأمراء»، التي شهدت تعرض ريال مدريد بقيادة زين الدين زيدان، لأثقل هزيمة أوروبية في ولايتيه مع اللوس بلانكوس، بالانحناء أمام باريس سان جيرمان بدون أسلحته الفتاكة كيليان مبابي ونيمار وإدينسون كافاني، بثلاثية نظيفة كانت قابلة للزيادة، لولا الثقة الزائدة لأنخيل دي ماريا بعد قتل المباراة بأول هدفين في أول نصف ساعة.

كيف حدث ذلك؟

اتفقت جُل الصحف الإسبانية على أن ما حدث في عاصمة الضوء والموضة، وصمة عار جديدة لسلطان القارة العجوز، بعد فضيحة رباعية أياكس أمستردام في إياب دور الـ16 الموسم الماضي، وبعيدا عن النتيجة الثقيلة، فالصورة التي بدا بها الفريق، هل تختلف كثيرا عن نسخة الريال مع جوليان لوبيتيغي أو مع الضحية سانتياغو سولاري؟ بالعكس ربما تكون أكثر سوءا. نعم عزيزي المدريدي، باعتراف زيدان نفسه، قال بعد المباراة: «كنا سيئين للغاية ولم نخلق فرصة حقيقية على المرمى»، إذن أين الخلل؟ بصراحة يكمن في قرارات زيدان وتخبطه منذ يومه الأولى في الولاية الثانية، وما حدث في ليلة باريس وما سيحدث في المستقبل القريب، لا يعكس سوى توتره وعدم اتزانه، ربما تكون انتقادات لاذعة على غير العادة للمدرب العبقري، لكنها تبقى الحقيقة، التي رسخها المدرب في قراراته غير الحكيمة، كما فعل في الصيف، بالاستغناء بغرابة عن موهبة متفجرة في وسط الملعب مثل ماركوس يورينتي، ومعه ماتيو كوفاسيتش، قبل أن يتأكد من التوقيع مع بول بوغبا أو كريستيان إريكسن أو اسم آخر كان يخطط لضمه قبل غلق الميركاتو، وبدلاً من أن يضغط على الرئيس للتوقيع مع سفاح لحل معضلة عشرات الأهداف التي كان يسجلها كريستيانو رونالدو كل عام، ذهب للتوقيع مع إدين هازارد، وأيضا قبل أن يتخلص من المنبوذين كفاريث بيل وخاميس رودريغيز، ولا تنسى عزيزي القارئ أنه لديه في نفس مركز الموهوب فينيسيوس جونيور وأيضا ماركو أسينسيو قبل إصابته، هذا بخلاف التخلي عن حارسه الأمين كيلور نافاس، من أجل عيون الحارس المتواضع للغاية تيبو كورتوا، الذي يُثبت من مباراة لأخرى أن قميص الريال ثقيل جدا عليه، بعجزه على الحفاظ على نظافة شباكه منذ فبراير/شباط الماضي، هذا لا يحدث مع حارس من المفترض أنه الأول لنادي القرن، أليس كذلك؟ نستنتج من ذلك أنه فرط في أسماء بالجملة كانت تستحق البقاء، وفي المقابل استمر معه سواء رغما عنه أو بقناعاته الشخصية أسماء لم تكن تستحق فرصة أخرى، وتأكيدا أن أموره لا تسير على ما يرام، أن الجماهير لم تلمس ملامح ثورة التغيير التي وعد بها في المؤتمر الصحافي في ولايته الأولى، نفس الأسماء التي أدمنت الانكسارات بعد رحيل صاروخ ماديرا، دفاع متهالك ويزداد تهالكا كلما غاب سيرخيو راموس، ومن المفارقات. أنه في المباريات الخمس الأخيرة التي غاب فيها القائد عن الفريق في دوري الأبطال، كلها خسرها الريال!

بداية سقوط القناع

أشرنا الأسبوع الماضي في نفس عمودنا إلى أن دوري الأبطال واختبار باريس سان جيرمان يُمثل «طوق نجاة» لزيدان ومفترق طريق لمغامرته المحفوفة بالمخاطر مع الريال قبل ضغط جدول المباريات في ما تبقى من الشهر الجاري وحتى فترة التوقف الدولي، والآن وبعد مشاهدة الأداء الكارثي للفريق باستثناء فرصتي الهدفين الملغيين بقرارات من حكم «الخار»، بدا واضحا أن المدرب الفرنسي ما زال يُعاني الأمرين لوضع يده سواء على الإستراتيجية السحرية أو الأسماء القادرة على تنفيذ أفكاره، مرة أخرى عاد للاعتماد على 4 في خط الدفاع، بعد حقل تجارب الطرق الأخير، باللعب بأكثر من 3 طرق مختلفة في أول 4 جولات في الليغا ما بين 4–3–3 ومشتقاتها و3–5–2 بنفس الكيفية، والأخطر من ذلك حالة اللا مبالاة التي اعتاد عليها قدامى اللاعبين، والحديث عن توني كروس وكاسيميرو ورافاييل فاران وداني كاربخال وكذلك كريم بنزيمة من حين لآخر، حتى هازارد، تشعر وكأن زيدان لا يوظفه في المكان المناسب، وهذا بسبب أسلوب لعب الريال الذي لا يعطي الغالاكتيكو البلجيكي فرصة إخراج كل طاقته في آخر 20 لـ25 مترا في الملعب، دائما يلعب كجناح كلاسيكي في الجانب الأيسر، مطالب باستنزاف جزء من مخزونه البدني في المهام الدفاعية، لدعم ميندي والضعيف دفاعيا خاميس رودريغيز، هناك جبهة شبه معطلة في الجانب الأيسر بسبب التباعد وعدم الانسجام والتفاهم بين اللاعبين الثلاثة، رغم أنها من المفترض جبهة نارية يعول عليها كثيرا في حل شفرات المدافعين، تقريبا نفس الدور الذي كان يؤديه اللاعب مع كونتي في «ستامفورد بريدج»، لكن لو راجع مقاطع هازارد مع ساري، سيجده أكثر فاعلية وواقعية بسبب

توظيفه الصحيح، يوضع الكرة بين قديمه بالقرب من خط منطقة الجزاء، وفي وضع يجعله لاعب ضد لاعب لتظهر إبداعاته في أهم مناطق في الملعب، وهذا في الحقيقة ما توقعه وانتظره الجميع من زيدان، لكن أمام باريس، لاحظنا كيف أهدر طاقته بركض وإهدار طاقة في مناطق لا قيمة لها في منتصف الملعب. والحل؟ إعادة التفكير جيدا في توظيف اللاعبين بالاعتماد على طريقة تكون مناسبة لإخراج أفضل ما لديهم، ويبدو لي الطريقة الكلاسيكية 4–4–2 تبدو الأكثر منطقية، بالمفاضلة بين مارسيلو وميندي في الظهير الأيمن مع إعطاء ميليتاو فرصة أكثر من فاران بجانب راموس، وهناك في الجانب الأيمن أدريزولا، الذي أبلى بلاء حسنا قبل إصابته السيئة الموسم الماضي، وفي الوسط كاسيميرو وواحد من الثنائي لوكا مودريتش وتوني كروس وعلى الطرفين فينيسوس وخاميس رودريغيز، وإدين هازارد كلاعب أقرب لصانع الألعاب، بمصطلح المحللين الإنكليز «رقم 10 كاذب»، اللاعب الذي يتخذ القرار في اللمسة قبل الأخيرة أو الأخيرة، أو قد تكون نظرتنا غير صائبة، ويكون بحاجة لمزيد من الوقت ليدشن مشروع العقد كما يريد.

هل تعلم الدرس؟

مرة أخرى ظهر باريس سان جيرمان بالصورة المخيفة التي رسمها لنفسه في مرحلة المجموعات على مدار السنوات الماضية، الفارق الوحيد هذه المرة، كما قال المدرب الألماني توماس توخيل: «إنها جاءت أمام فريق اسمه ريال مدريد»، وهذا بطبيعة الحال يعني الكثير للباريسيين، لا سيما وأنه تحقق بدون الأسلحة الثقيلة، كإشارة واضحة إلى أن بطل الليغ 1، عازم على تحقيق شيء هذه المرة، وليس الاكتفاء بالخروج بطرق هيتشكوكية كل مرة، يتبقى فقط ما ينتظره عشاق النادي وقبلهم ناصر الخليفي كل عام، أن تستمر هذه الصورة حتى مارس/اذار وأبريل/نيسان، ولما لا حتى إطلاق صافرة نهاية دوري الأبطال، كما هي الخطة المستهدفة منذ وصول الإدارة القطرية لسُدة الحكم في «حديقة الأمراء» عام 2011، ومن أجل هذا الحلم، جاء ليوناردو ليضع قواعد جديدة داخل غرفة خلع الملابس، بهدف فرض أقصى درجات الالتزام والانضباط، بدلاً من سياسة التدليل التي فشلت فشلا ذريعا مع المدير الرياضي السابق انتيرو هنريكي، وبوجه عام، يُحسب للمدرب توماس توخيل تحضير وإعادة لاعبيه بهذه الطريقة، ليخدش كبرياء زيدان وكتيبته بثلاثية لن تمحى بسهولة من الذاكرة، كيف لا وهي أول هزيمة للريال على يد الفريق الباريسي في تاريخ المواجهات المباشرة بينهما، وما قدمه أعاد إلى الأذهان ملحمة «مسرح الأحلام»، عندما عاد «إلبي إس جي» من مانشستر بانتصار عظيم بهدفين نظيفين في ذهاب دور الـ16 الموسم الماضي، لكن بسبب التراخي وعدم الانضباط والتعامل بواقعية مع المنافس، خسر الفريق بطريقة لا تتكرر كثيرا في عالم كرة القدم في مباراة الإياب، ويوم الأربعاء، أثبت باريس أن مشكلته لا تكمن في جودة لاعبيه حتى لو كانوا البدلاء، الذين ظهروا بنفس مستوى الأساسيين، نتحدث عن نجم المباراة أنخيل دي ماريا، الذي بالغ في قسوته على رفاقه القدامى، بتقديم ربما أفضل مباراة في مسيرته كلاعب، في ليلة كان محظوظا فيها بتسجيل هدفين، ليصبح ثاني أرجنتيني يدك حصون عملاقي الليغا في الأبطال بعد سيرجيو أغويرو، وما قدمه فريق بحجم وعراقة ريال مدريد، سيشعل المنافسة بين الجميع في الثلث الأخير من الملعب، لأنه تقريبا قام بدور مبابي ونيمار معا، بتقمصه دور البطل بتسجيل أول هدفين والمساهمة بالتمريرة قبل الأخيرة في الهدف الثالث، بخلاف الانفراد الصريح الذي أهدره مع المتذبذب تيبو كورتوا عندما كانت النتيجة 2–0، وهدايا أخرى قدمها لسرابيا وباقي اللاعبين، وهذا صدر للمشاهدين شعورا بأن الفريق الباريسي يلعب المباراة مكتمل الصفوف وليس بدون نصف تشكيلته الأساسية، منهم أهم ثلاثة لاعبين، وما ساهم في ظروف ممثل الليغ 1 بهذه القوة والشراسة، وجود القطعة الثابتة التي كان يبحث عنها الفريق الباريسي طوال فترة تجميد المتمرد السابق أدريان رابيو، والإشارة إلى الإنسان الآلي أدريسا غايي، الذي أعطى إضافة وعمق لوسط تشكيلة توخيل، بطاقته وركضه المتواصل في كل مكان في الملعب، لمنع وصول الكرة إلى الأمتار الأخيرة، ووضح ذلك في تفوقه على كروس وكاسيميرو في المواجهات المباشرة بينهما، كان أشبه بحائط الصد المنيع أمام تياغو سيلفا وماركينيوس، بجانب ذلك حالة الانضباط المزوجة بالعدوانية التي كان عليها الجميع في هذه الليلة، فهل كانت البداية الحقيقية لعهد باريس سان جيرمان المنضبط مع ليوناردو؟ أم تعلم توخيل من دروس الماضي؟ أم هي العادة التي لا تفارقهم في آخر 3 سنوات؟ دعونا ننتظر

عودة خجولة للبرغوث

قبل 24 ساعة من قمة باريس والريال، اتجهت جُل الأنظار إلى محيط صرخة الرعب «سيغنال ايدونا بارك»، لمشاهدة قمة بوروسيا دورتموند وبرشلونة، خاصة بعد الإعلان المسبق عن استعداد ليو ميسي للدفاع عن ألوان الكتالان للمرة الأولى هذا الموسم بإدراجه في قائمة المباراة بعد انتهاء معاناته مع ربلة الساق، وكما كان متوقعا، حاول الفريق الإسباني فرض أسلوبه على أسود الفيستيفاليا بالتمريرات القصيرة من الخلف إلى الأمام لإرباك المنافسين وخلخلته بضربه إما من العمق أو عن طريق الأطراف، لكن كل هذا لم ينطل على كتيبة المدرب لوسيان فافر، في وجود الصخرة الألمانية ماتس هوملز، الذي أثبت مرة أخرى أنه كان القطعة المفقودة في تشكيلة الموسم الماضي ليحافظ البوروسيا على صدارة البوندسليغا، بفضل خبرته التي ساعدت شريكه الأصغر سنا مانويل أكانجي لغلق كل المنافذ أمام لويس سواريز، ليكمل عامه الرابع على التوالي بلا هدف يتيم خارج «كامب نو» على مستوى الأبطال، وفي الشوط الثاني حاول فالفيردي إنقاذ ما يُمكن إنقاذه بالدفع بميسي في آخر 30 دقيقة، على أمل أن يوقف الزحف الأصفر والأسود على مرمى تير شتيغن، إلا أن الحالة البدنية التي كان عليها النجم الأرجنتيني بعد عودته من الإصابة، لم تسعفه لنثر إبداعه المعروف عنه، فقط طوال فترة وجوده في المباراة، أكمل مراوغتين بشكل صحيح وقام بتمريرة الكرة 18 مرة وتسديدة واحدة على المرمى، هذا في الوقت الذي اختفى فيه أنسو فاتي، وكأنه لاعب آخر غير الذي أبهر العالم في أول 10 دقائق أمام خفافيش فالنسيا، والأداء الجماعي عموما لم يكن حتى مقنعا بالنسبة لمشجعي النادي، الذين يعتقدون أن فريقهم أفلت من «سيغنال ايدونا بارك» بفضل براعة تير شتيغن في تصديه للاختبارات الصعبة التي تعرض لها، أبرزهم تصديه لركلة جزاء ماركو رويس مع بداية الشوط الثاني، لذا باتفاق الأغلبية استحق أن يكون رجل المباراة التي لم تف بكل وعودها، ومثله الشاب الإنكليزي جادون سانشو، الذي أرهق سيميدو وقبله خوردي ألبا في 35 مواجهة مباشرة بينهما في الثلث الأخير من الملعب، منهم واحدة أسفرت عن التعثر المفاجئ لرجال الرجل الحماسي أنطونيو كونتي مع سلافيا براغ بهدف لمثله، ليبقى ترتيب مجموعة الموت السادسة كما هو، إلى أن يحل فريق الأفاعي ضيفا على «كامب نو» في الجولة القادمة وفي نفس التوقيت، سيخوض ممثل البوندسليغا مباراة خارج التوقعات في التشيك.

ميرتنز ساهم في اسقاط البطل ليفربول

سقوط حامل اللقب

من غرائب الجولة الافتتاحية، البداية المتواضعة للأندية الإنكليزية التي هيمنت على نهائيي الأبطال واليوروبا ليغ وكذلك مباراة الكأس السوبر الأوروبية، وكانت البداية بالرقم السلبي الذي بصم عليه يورغن كلوب بوجه خاص وليفربول عموما بعد السقوط أمام نابولي بهدفين نظيفين في قلب «سان باولو»، إذ منها تجرع المدرب الألماني من مرارة الهزيمة في آخر 5 زيارات له للملاعب الإيطالية، وأيضا فريقه، أصبح أول حامل لقب يتلقى الهزيمة في أول لقاء في حملة الدفاع عن لقبه منذ 24 عاما، حين هُزم ميلان أمام أياكس أمستردام في موسم 1994–1995، كما أنها الهزيمة الثالثة للفريق خارج قواعده في دور المجموعات، لكنها تبقى مجرد هزيمة لا تستدعي القلق، لأنها جاءت في أول أسبوع بعد العطلة الدولية وبعد مباراة صعبة أمام جيوش المدينة في ثلاثة عقود، وربما لو كان هناك قليل من الربط بين ماني وصلاح في أكثر من هجمة مرتدة، لما انتهت المباراة بهذه النتيجة، ليبقى حق الرد مكفولا لصلاح ورفاقه لإثبات أن الهزيمة كانت ظرفا استثنائيا، عندما يستضيفون سالزبورغ على ملعب «أنفيلد» في الجولة المقبلة، في اختبار لا يُستهان به، خاصة بعد الفوز العريض الذي حققه الفريق النمساوي، بالفوز على جينك البلجيكي بنتيجة 6–2، منها ثلاثة أهداف لصاحب أول هاتريك في الأبطال اليافع النرويجي إيرلينغ هالاند، ابن لاعب مانشستر سيتي السابق إينغه هالاند. إذا فاز حامل اللقب، ستكون الأمور عادت إلى نصابها الصحيح، أما إذا حدث عكس ذلك، ستتعقد الأمور كثيرا في قادم المواعيد، في ظل الحالة المختلفة التي يظهر عليها نابولي منذ بداية الموسم، على غرار ملحمة يوفنتوس العظيمة في مباراة 4–3، ثم بإسقاط حامل اللقب بأداء وروح قتالية مختلفة تماما حتى عن أفضل لحظات الفريق في بداية الموسم الماضي، ولم يكن ليفربول الفريق الإنكليزي الوحيد الذي خرج من الجولة الافتتاحية بنتيجة مخيبة لآمال جماهيره، هناك أيضا تشلسي لم يسلم من نفس المصير، بخسارة على حين غرة أمام فالنسيا الخارج من مذبحة بخماسية من «كامب نو»، حتى وصيف النسخة الماضية توتنهام، فرط في ثلاث نقاط كانت في المتناول أمام أولمبياكوس اليوناني بعد تقدمه بثنائية هاري كاين ولوكاس مورا، لكن بغرابة شديدة استقبل الفريق هدفين في الوقت الذي كان يبحث فيه عن قتل المباراة برصاصة الرحمة الثالثة، الاستثناء الوحيد في أندية البريميرليغ، كان مانشستر سيتي الذي عاد من أوكرانيا بفوز عريض على شاختار دونيتسك بنتيجة 3–0، معوضا خيبة أمل ضياع ثلاث نقاط جديدة في حملة الدفاع عن الدوري الإنكليزي للعام الثاني على التوالي، بهزيمة مفاجئة أمام نوريتش في بداية الأسبوع، أما جُل نتائج الجولة خصوصا نتائج الأندية الكبيرة، لم تشهد مفاجآت صارخة إلا العودة الصعبة لأتلتيكو مدريد أمام يوفنتوس بتسجيل هدفين من كرتين ثابتتين ليتعادل في النتيجة 2–2 بعدما كان متأخرا بهدفين نظيفين.

10 أرقام أسطورية حائرة بين ميسي ورونالدو هذا الموسم !

لندن – «القدس العربي»:

مع تعافي أيقونة برشلونة ليو ميسي من الإصابة التي حرمت عشاق الكرة الجميلة من الاستمتاع بسحره وإبداع في أول أربع مباريات في الموسم المحلي الجديد، يكون البرغوث دق طبول حرب الأرقام القياسية مع غريمه الأزلي كريستيانو رونالدو، في موسم استثنائي يتطلع خلاله كل منهما للتفوق على الآخر بأرقام سيُحكى عنها للأجيال القادمة.

تحديات ميسي

لا شك أبدا أن ميسي حقق في السنوات الأخيرة نجاحات وإنجازات سيتوقف عندها كاتب التاريخ لعقود قادمة، نتحدث عن ملك الأرقام القياسية في برشلونة والليغا، باعتباره الهداف الأسطوري لدوري الريال والبارسا، وأسرع لاعب على مر العصور يتخطى حاجز الـ300 هدفا في الدوريات الأوروبية الكبرى، احتاج الأمر منه 334 مباراة فقط، عدا أنه هداف كلاسيكو الأرض والـ، مع ذلك أمامه تحديات مهمة هذا الموسم، ليس فقط ليُثبت من جديد أنه ظاهرة استثنائية في اللعبة الشعبية الأولى على مستوى العالم، بل ليتخطى كريستيانو في صراع الأرقام القياسية الخارقة. لعل أبرز هذه التحديات، حاجته للحفاظ على عادته بتسجيل 50 هدفا أو أكثر في موسم واحد، وبما لم يَعد ليو بحاجة لإثبات تفوقه أو على الأقل معادلة أعتى الهدافين الأسطوريين، الذين تجاوزوا الـ600 هدف، مثل بوشكاش وبيليه ودي ستيفانو والظاهرة رونالدو ومارادونا، لكن الفارق بين ميسي ورونالدو وكل من احترف كرة القدم، السجل التهديفي الخارق للعادة، بتسجيل ما لا يقل عن 50 هدفا في 6 مواسم سابقة، منها عام 2012 ختمه الأعجوبة الأرجنتينية بتسجيل 91 هدفا، ويأتي خلفه في هذه الإحصائية كريستيانو بـ61 هدفا.

أن تتجاوز الـ50 هدف، يعني أن اللاعب مضطر لتسجيل ولو هدف في كل مباراة خلال الموسم، وهذا شبه مستحيل في الكرة الحديثة، إلا أن كريستيانو كان سباقا بنسف هذا الاعتقاد 6 مرات، وذلك بطبيعة الحال قبل انتقاله من ريال مدريد إلى يوفنتوس، ولحق به البرغوث العام الماضي، بالتساوي معه في هذا الإنجاز الفريد من نوعه، بإنهاء حملة 2018–2019 بـ54 هدفا، ليُصبح الآن بحاجة لمعادلة سجله التهديفي في الموسم الأخير، ليُعيد صياغة التاريخ من جديد، كأول كلاعب يصل لهذا المعدل في سبعة مواسم في مسيرته الاحترافية. أما التحدي الثاني، فهو الاقتراب من الوحش البرتغالي في معركة الجلوس على عرش هدافي دوري أبطال أوروبا، برصيد112 هدفا مقابل 126 لكبير الهدافين، وهذا لن يتحقق أو على الأقل يتقلص إلا برقم قياسي على مستوى الهاتريك في المباراة الواحدة، الآن لدى كل منهما ثماني مرات هاتريك في الكأس ذات النسق الذي ختم به الموسم الماضي، ستكون أمامه فرصة تاريخية ليكون أول لاعب يُسجل 10 هاتريك في أعرق وأمجد بطولات القارة العجوز، وهذا ليس بالأمر الصعب عليه، وذلك بالنظر إلى التطور المذهل في كل عام بقميص البارسا بالذات، رغم رحيل جُل النجوم الذين ساعدوه في بداية مسيرته، آخرهم تشافي وإنييستا، بالإضافة للساحر البرازيلي نيمار، كما نعرف، سجله التهديفي ومعدل صناعته للعب يرتفع كلما غادر أحد النجوم.

التخلص من صداع رونالدو إلى الأبد

تحدي آخر يُنتظر تحطيمه على يد ميسي عاجلا أو آجلا سواء هذا الموسم أو المواسم القادمة، بإزاحة كريستيانو رونالدو من صدارة الأكثر تسجيلاً للهاتريك في الدوري الإسباني. صحيح ليو له باع أكثر من الدون في الليغا، وخاض عدد مباريات وسنوات أكثر من غريمه، الذي لعب تسعة مواسم مع الريال، إلا أنه ما زال يحتل المركز الثاني في قائمة الأكثر تسجيلا للهاتريك في إسبانيا، فعلها 33 مرة حتى الآن مقابل 34 للآخر، ما يعني ان معادلة الرقم وتجاوزه لم تعد سوى مجرد مسألة وقت، ليتخلص من هذا الصداع إلى الأبد، وأيضا ليضمن لنفسه السيطرة على كل الأرقام المستحيلة في الليغا بعد اعتزاله، لكن سيبقى أمامه تحد رابع ليؤكد من خلاله أنه الرمز الأول والأخير لليغا، بكسر رقم أسطورة بلباو تيلمو زارا، صاحب الست جوائز «بيتشيتشي»، أفضل هداف في الدوري الإسباني، وإذا فعلها هذا الموسم، بإنهاء الموسم على رأس قائمة الهدافين، سيصل للجائزة السابعة، وهو ما لم يفعله أي لاعب آخر في تاريخ الدوري الإسباني، فقط الوحيد من خارج الليغا الذي فاز بجائزة هداف إحدى الدوريات الخمسة الكبرى 7 مرات، هو جيرد مولر في الفترة بين 1966 و1978، أما التحدي الخامس والأخير، هو الخروج من الموسم ببطولتين على أقل تقدير، ليُعادل رقم أسطورة مانشستر يونايتد رايان غيغز، كأكثر لاعب فائز بالألقاب الجماعية في أوروبا، إذ أنهى الجناح الويلزي مسيرته وفي جعبته 36 بطولة مع شياطين مانشستر، والآن لدى ليو 34 لقبا، بفارق لقب عن زميل الأمس داني الفيش، بدون احتساب بطولاته مع البرازيل وباهيا البرازيلي، واثنين عن غيغز. والسؤال الآن: هل سينجح في هذه التحديات مع نهاية الموسم؟

ماذا يُريد صاروخ ماديرا؟

هو الآخر وضعه لا يختلف كثيرا عن منافسه الأرجنتيني، رغم اقترابه من الاحتفال بعيد ميلاده الـ35، لكنه ما زال في أعلى مستوى تنافسي في عالم كرة القدم، والأكثر غرابة، أنه ما زال جائعا لحصد المزيد من الجوائز سواء الجماعية أو الفردية، وكأنه في بداية عقد العشرينات وليس ذاك الوحش الذي فاز بالكرة الذهبية وأفضل لاعب في العالم 5 مرات من قبل، ومُحطم عشرات بل مئات الأرقام القياسية، وهذا يرجع في الأساس لإصراره على مواصلة تحدي ليو حتى يوم الأخير في ملاعب كرة القدم، وكي يتقدم خطوة عملاقة نحو هدفه الذي أشار إليه في المقابلة التلفزيونية مع الإعلامي البريطاني بيرس مورغان، أن يكون في تصنيف أعلى من ميسي في كتب التاريخ بالفوز بالكرة الذهبية 6 أو 7 أو 8 مرات، ينبغي عليه تحقيق أهدافه كما يُريد مع إطلاق صافرة نهاية هذا الموسم، وهذا بطبيعة الحال بصرف النظر عن فرصه في الحصول على إحدى الجائزتين هذا الموسم من غريمه أو فان دايك، يأتي في مقدمة هذه الأهداف أو بالأحرى التحدي الأول، تعويض ما فاته في موسمه المنافسين أكثر من أي لاعب آخر، صحيح كان له دور كبير في احتفاظ البانكونيري بالاسكوديتو للعام الثامن على التوالي، بفضل أهدافه الـ21، لكنه أنهى الموسم في المركز الرابع في لائحة الهدافين، وهذا لا يتماشى لا مع اسمه ولا الصورة التي رسمها وعرفها عن نفسه طيلة الـ15 سنة الأخيرة. ربما يكون هناك أكثر من مهاجم فاز بجائزة هداف الدوري في 3 بلدان مختلفة، مثل رود فان نيستلروي، فعلها في الإيردفيسي والبريميرليغ والليغا، ونفس الأمر ينطبق على السفاح الأوروغواني في نفس الدوريات، لكن لم يسبق لأي لاعب آخر أن فاز بالجائزة في ثلاثة دوريات من المصنفة، الخمسة الكبرى، فقط رونالدو أمامه فرصة نادرة ليكون أول لاعب في التاريخ يحصد جائزة الهداف في 3 من الدوريات الكبرى، بعد فوزه بالحذاء الذهبي مع مانشستر يونايتد في بلاد الضباب موسم 2007–2008 ومع اللوس بلانكوس في مواسم 2010–2011، 2013–2014 و2014–2015، وبطبيعة الحال إذا فعلها هذا الموسم، سيعزز أسهمه في الاستحواذ على لقب الأفضل في كل العصور (GOAT)، وبالنسبة للتحدي الثاني، فيُمكن القول بأنه سيخرج لا محالة من رحم التحدي الأول، باعتباره لن يتحقق إلا إذا ضمن اعتلاء صدارة الهدافين، أو تخطي حاجز الـ30 هدفا على مستوى الدوري، ليصبح أول من وصل لهذا المعدل التهديفي الضخم في نفس تصنيف الدوريات.

الحلم والتحدي

يعرف الصغير قبل الكبير أن يوفنتوس تعاقد مع رونالدو من أجل إنهاء نحس الكأس ذات الأذنين المتمنعة على سيدة إيطاليا العجوز منذ قرابة الربع قرن، مع ذلك فشلت المحاولة الأولى بالخروج المفاجئ أمام أياكس في الدور ربع النهائي الموسم الماضي، وهذا التحدي الثالث والأهم لرونالدو في موسمه الثاني في إيطاليا، أولاً سيُعادل رقم أسطورة ريال مدريد باكو غينتو، الفائز بدوري الأبطال 6 مرات، أضف إلى ذلك سيكسر رقم بابلو مالديني في عدد الظهور في المباريات النهائية، كليهما شارك في ست مباريات نهائية، وبالتبعية ستتجدد فرصه في منافسة ألفريد دي ستيفانو وبوشكاش في الأكثر تسجيلاً في النهائي، حيث يملك في سجله 4 أهداف على بعد 3 أهداف من الثنائي الراحل، وهي أرقام كفيلة بوضعه على رأس قائمة المرشحين للفوز بالكرة الذهبية العام المقبل، إذا لم تذهب توقعاته سدى ولم يعانقها هذا العام، وما يعزز ذلك أن هذا سيضمن له معادلة رقم آخر، كان يراه البعض شبه مستحيل، والخاص بالهولندي كلارينس سيدورف، الفائز بنفس البطولة مع 3 فرق مختلفة، وقبل هذا وذاك، سيكون البطل الذي أعاد يوفنتوس لمنصة التتويج الأوروبية للمرة الأولى منذ الفوز على أياكس عام 1996، وهذا في حد ذاته، إن لم يضمن له احتكار جوائزه الفردية المفضلة بنسبة تزيد عن 99%، فعلى الأقل سيعطيه دفعة لمواصلة العطاء بنفس النسق والمستوى الهوليودي لموسمين أو ثلاثة قادمين، ويبقى التحدي الخامس والأخير، الذي يتشارك فيه مع ميسي، بالبحث عن اثنين هاتريك في دوري الأبطال، لينفرد بالرقم القياسي كأول من يصل لـ10 هاتريك في البطولة الأوروبية، فيا ترى من سيكون أكثر حظا ويتجاوز التحديات الخمسة بامتياز؟ هذا ما ستكشف عنه الأسابيع المقبلة مع اشتعال الصراع بعودة ميسي.

كيف يحل مدرب المنتخب الألماني صراع حراس المرمى؟

لندن – «القدس العربي»:

تصاعدت حرب الكلمات بين نجمي حراسة مرمى المنتخب الألماني مانويل نوير ومارك اندري تيرشتيغن، ليتشتت تركيز المدرب يواخيم لوف بين كيفية حسم بطاقة تأهل الفريق إلى نهائيات يورو 2020، وبين حل المنافسة بين الحارسي البارزين وحالة الشد والجذب بينهما، قبل ان يتحول الأمر إلى صداع جديد في رأس لوف.

وأصبح لوف بحاجة إلى حسم هذه المشكلة قبل خوض المراحل الأخيرة من التصفيات المؤهلة ليورو 2020، حيث يواجه عندما يلتقي المنتخب الأرجنتيني في 9 تشرين الأول/أكتوبر المقبل ثم يستأنف مسيرته في التصفيات بمواجهة إستونيا في عقر داره في 13 منه. ويختتم المانشافت مسيرته في التصفيات باستضافة المنتخبين البيلاروسي والأيرلندي الشمالي في 16 و19 من تشرين الثاني/نوفمبر. ويبدو الاختيار بين الحارسين نوير قائد بايرن ميونيخ وزميله تيرشتيغن المتألق مع برشلونة أمرا صعبا على لوف. وتحولت وفرة حراسة المرمى من نعمة يحسد عليها لوف والمنتخب الألماني إلى نقمة وصداع في رأسه. وبينما واصل لوف الاعتماد على نوير الفائز مع المنتخب بكأس العالم 2014، وثاني أكثر حراس المرمى مشاركة مع المانشافت عبر التاريخ، يحتاج لوف إلى التعامل مع الغضب والضيق المتزايد من الحارس الآخر تيرشتيغن بسبب وضعه المستمر على مقعد البدلاء. وكشف تيرشتيغن عن انزعاجه بعد غيابه التام عن مباراتي المانشافت أمام هولندا وأيرلندا الشمالية قبل أيام ضمن مسيرة المانشافت في التصفيات. وقال تيرشتيغن (27 عاما): «ليس من السهل إيجاد تفسير لأنني أقدم في كل مباراة أفضل ما لدي لأجعل القرار (بشأن اختيار من يحرس المرمى) أكثر صعوبة». ورد نوير على زميله بإنه لا يشعر بأن تصريحات تيرشتيغن كانت مفيدة، مشيرا إلى أنها «لا تخدم روح الفريق». وأوضح: «لا أعلم إذا كان هذا النوع من التصريحات مفيدا للفريق. خاصة في مركز حراسة المرمى. هناك العديد من حراس المرمى الجيدين هنا (في ألمانيا)». ورد تيرشتيغن: «بالتأكيد، لدي شيء أقوله في هذا الموضوع وهو أنك لا يمكن أن تعلن عن منافسة ثم تتوقع أن اللاعبين، الذين لا يلعبون، سيكونون سعداء بهذه المنافسة». وأضاف: «يجب على مانو ألا يقول شيئا عن مشاعري، فهذا رأيي الشخصي»، واستطرد: «عندما ينظر المرء إلى طريقة تصرفي في السنوات الأخيرة، فعندئذ ستكون هذه التصريحات غير مناسبة». وقال بعدها نوير (33 عاما) إنه لن يدلي بأي تصريحات أخرى بهذا الشأن. كما قال الكرواتي نيكو كوفاتش مدرب البايرن إنه من الضروري ترك حراس المرمى من أجل التفرغ لعملهم، خاصة وأن «كلا من نوير وتيرشتيغن يؤدي دوره بشكل جيد».

وخاض نوير 90 مباراة مع المنتخب ولعب دورا بارزا في فوزه بمونديال 2014، كما حمل شارة قيادة الفريق لثلاث سنوات حتى الآن، ويأتي في المركز الثاني في قائمة أكثر الحراس مشاركة مع المانشافت في المباريات الدولية بفارق خمس مباريات فقط خلف سيب ماير. وكان دعم لوف لنوير واضحا عندما ترك الباب مفتوحا أمام لحاقه بقائمة الفريق لمونديال 2018 حتى اللحظة الأخيرة قبل تقديم القائمة إلى الفيفا نظرا للإصابة التي عانى منها نوير لعدة شهور قبل المونديال. لكن نوير لم يعد الحارسي الأوحد لدى جماهير المانشافت بعد الخروج المهين للفريق من الدور الأول في مونديال 2018. وأظهر استطلاع رأي أن 60% من مشجعي المانشافت يرون أن تيرشتيغن هو الحارس الأفضل حاليا. والحقيقة أن المنافسة القوية في حراسة المرمى ليست جديدة في المانشافت، وليست كذلك للوف الذي كان مساعدا ليورغن كلينسمان في تدريب الفريق بين 2004 و2006، عندما كان كلينسمان مضطرا للمفاضلة بين الحارسين العملاقين أوليفر كان وينز ليمان في كأس العالم 2006. وقال ليمان إن المنافسة الدائرة حاليا بين نوير وتيرشتيغن ستفيد الحارسين، لكنه أشار إلى أنه يفضل اختيار نوير لحراسة مرمى الفريق. وقال: «نوير يتمتع بالأسلوب المتغطرس الذي أحبه... له الحق في أن يكون هكذا لأنه يعزز هذا من خلال مستوى أدائه». وإلى جانب المنافسة الشرسة بين نوير وتيرشتيغن، يدور صراع من نوع مختلف بين حارسين آخرين متميزين هما بيرند لينو حارس أرسنال الإنكليزي وكيفن تراب حارس إنتراخت فرانكفورت حيث يتنافسان على مقعد الحارس الثالث في صفوف المانشافت.

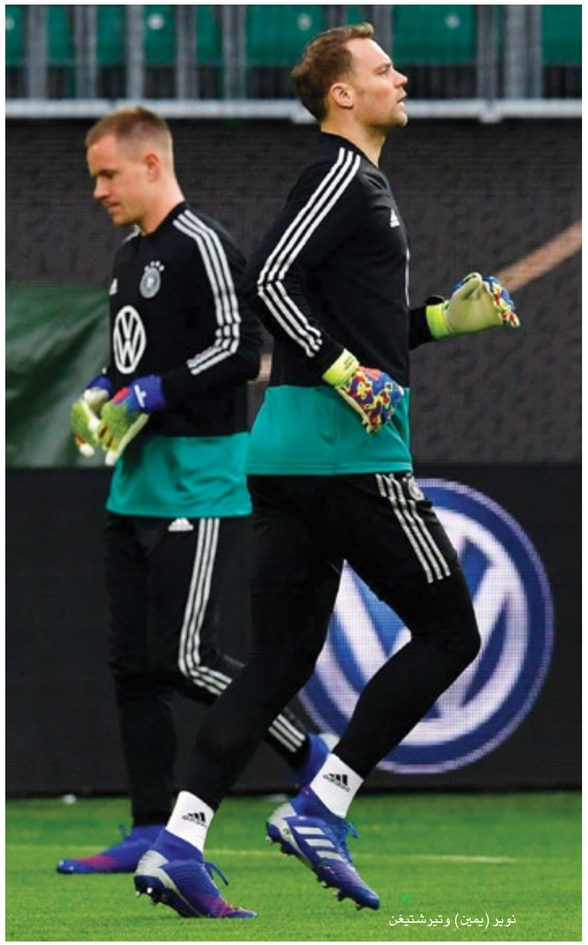

نوير (يمين) وتيرشتيغن

خلدون الشيخ

الحياة «المملة» لكريستيانو رونالدو!

ما زال حلم كل طفل وفتى أن يصبح نجماً كروياً في العصر الذهبي لكرة القدم، ولا يزال حلم كل أب ان يرى ابنه أحد مواهب هذا اللعبة، والأهم أحد أثريائها، على غرار ليونيل ميسي وكريستيانو رونالدو.

هكذا نرى نجوم اللعبة هذا الأيام، على أنهم أبرز مشاهير العالم، يجذبون الأضواء اينما يحلون، ويتلاعبون بالمال ويملكون العقارات والسيارات الفارهة في حياة رغدة، لا تشوبها شائبة في مخيلتنا، لكن ألا يوجد وجه آخر لهذه الشهرة وهذا الثراء؟

المقابلة الرائعة التي أجراها مشجع ارسنال الشهير بيرس مورغان مع كريستيانو رونالدو الاسبوع الماضي كشفت وجهاً آخر للنجم البرتغالي، بعيدا عما نتخيله، وبعيدا عن ملاعب كرة القدم، بل الأهم تعرفنا على شخصيته الانسانية وما يدفعه إلى تحقيق النجاح تلو الآخر، ففاجأنا عندما وصف حياته اليومية بـ«المملة»، رغم توافر كل شيء له، فهو لا يتذكر كم سيارة رياضية فارهة يملك، بين 17 و20 سيارة، ومن كل صنف اثنان، 2 فيراري و2 رولز رويس و2 مكلارين و2 لامبورغيني، لكن لما هو بحاجة إلى كل هذا الاسطول من وسائل التنقل؟ والجواب ببساطة لأنه يستطيع، فهو يملك من المال ما يكفي ويزيد، وليس بحاجة إلى المزيد، وربما عند كثيرين هذه هي الوصفة السحرية لحياة أبدية سعيدة، لكن ليس عند كريستيانو.

فهو ضحى بحياته الخاصة، فلا يستطيع اصطحاب اطفاله الاربعة إلى الاسواق ولا التنزه في حديقة عامة، ولا يستطيع الخروج من دون ان تجتاحه أمواج الفضوليين من أنصار وعشاق وصحفيين يقتلون كل خصوصية يملكها، وهي ضريبة يدفعها، حتى انه اعتبر ان افضل يوم في حياته على الاطلاق عندما تنكر مع صديقه ليستمتع بسهرة ليلة واحدة في مدريد، ورغم ان هويته تكشفت لدى الساهرين الا ان تنكره سمح له في وعيه ان يكون شخصاً آخر لليلة واحدة.

كريستيانو دائماً يظهر بصورة المتكبر والمتعجرف في ملاعب كرة القدم، ودائما ينفعل، فيغضب بسرعة وسهولة وأيضاً يفرح كالطفل عند تسجيل الأهداف والفوز بالالقاب، وكأنه مليء بالعواطف الجياشة دائما، لكن في هذه المقابلة عرفنا سر هذه الانفعالات، فهي وراثية، فوالده جوزيه، الذي توفي في 2005 بسبب فشل كلوي من تأثير الكحول، ظهر في حديث مؤثر خلال منافسات كأس الأمم الاوروبية عام 2004، وكان كريستيانو يشاهدها للمرة الاولى وبعدها أذرف الدموع متأثراً، فقال الوالد انه لا يستطيع حضور المباراة النهائية لان يصيبه التوتر العالي ولا يستطيع تحمل القلق والضغط الكبير، وهو الامر ذاته الذي يحدث مع والدته، إلى درجة ان كريستيانو منع والدته من مشاهدة مبارياته المهمة من الملعب أو خلف شاشات التليفزيون، لأن أيضاً يصيبها التوتر العالي إلى درجة الانهيار، بل ذكر كريستيانو انها اصيبت بالاغماء وفي مناسبات أخرى كسرت أسنانها من فرط الانفعال وربما السقوط. هنا ندرك عندما ينفعل كريستيانو، او مثلما رأيناه في يورو 2016، عندما خرج مصاباً أمام فرنسا في المباراة النهائية، فقام بدور المحمس والمدرب بصورة مؤثرة، لم تكن تمثيلاً، بل هذا هو.

كريستيانو ربما النموذج المثالي الوحيد للرياضي الرائع، فهو، رغم سنه الكبير رياضيا، وبلوغ منتصف الثلاثينات، فانه لا يفوت حصة تدريبية ولا يوم من دون دخول صالة الالعاب، فحتى بوجوده في المنزل وخلال لعبه ولهوه مع أطفاله لا يتوانى عن تذكر موعد التدرب، فرغم الحياة الرغدة والأموال الطائلة فانها لم تمنعه من الالتزام بالحفاظ على لياقته، وهو ببساطة ما يجعله أيقونة، وما يدفعه إلى ذلك انه يريد دائماً ان يكون الرقم «1» في كل شيء.

حياة كريستيانو من صغره حتى الآن دائماً مليئة بالأحداث والصراع والكفاح، لكن لا شك أن السبب هو موهبته الفطرية، التي كانت أساس ما وصل اليه اليوم، فعندما كان كشاف نادي سبورتنغ لشبونة يرسل تقريرا لناديه عن الموهبة الجديدة التي اكتشفها في مدينة فونشال في جزيرة ماديرا، كتب قائلاً: «لم أر موهبة في حياته مثله... أنه يراوغ قطرات المطر».

نعم قد يملك رونالدو كل شيء يتمناه كل شاب، لكنه لا يملك الحياة التي يمارسها كل شاب «الخصوصية الكاملة».

@KhaldounElcheik

مجتمع

إحصائيات مرعبة عن تدهور أوضاع العائلة العراقية

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

كشفت إحصائيات حكومية وحقوقية ودولية حديثة، أرقاما مفزعة عن العديد من مظاهر التدهور الاجتماعي في العراق، أبرزها ارتفاع حالات الطلاق والانتحار والبطالة والفقر وفشل التعليم وغيرها من الأزمات المزمنة، التي تعكس الانهيار الشامل للمنظومة الاجتماعية منذ 2003 وحتى الآن.

ففي حالات الطلاق، كشف «مرصد الحريات للدفاع عن المرأة المعنفة» (منظمة مستقلة) عن ارتفاع كبير في حالات الطلاق هذا العام.

ونقل المرصد، الإحصائيات الرسمية الصادرة من مجلس القضاء الأعلى، التي أشارت إلى أن نسب الطلاق في العراق في النصف الأول من سنة 2019 بلغت 33970 يقابلها 149459 حالة زواج، فيما بلغت حالات الطلاق في سنة 2018 في حدود 73569 حالة طلاق يقابلها 245296 حالة زواج في بغداد والمحافظات العراقية باستثناء محافظات إقليم كردستان، وبارتفاع عن عدد الحالات في سنة 2017 التي بلغت 49328 حالة طلاق يقابلها 262007 حالة زواج.

وعبر المرصد عن «تخوفه من ارتفاع حالات الطلاق في نهاية العام الحالي وتسجيل نسبة تتجاوز الحد المعقول، بعد ارتفاعها في السنوات الأخيرة».

وحسب إحصائية أخرى للمحكمة الاتحادية، فقد «تم تسجيل أكثر من ثلاثين ألف حالة زواج في عموم المحاكم العراقية خلال شهر تموز/يوليو الماضي، بينما سجلت أكثر من سبعة آلاف حالة طلاق» أي أن حالات الطلاق شكلت ما نسبته الخمس قياسا بحالات الزواج.

كما سجلت المحاكم أكثر من أربعة آلاف حالة طلاق خلال شهر حزيران/يونيو الماضي.

وهذه الإحصائية للمحاكم لا تشمل حالات الطلاق في إقليم كردستان شمال العراق.

وقد عزا قانونيون وخبراء، تصاعد معدلات الطلاق لعام 2018 واحتلت محافظة المثنى الأعلى بنسبة الفقر إذ بلغت 52 في المئة».

ونوه الوزير إلى أن «نسبة الفقر خلال السنوات السابقة كانت 23 في المئة في عام 2007 وانخفضت إلى 19 في المئة في عام 2012 لكنها ارتفعت إلى 23 في المئة عام 2014 نتيجة أحداث داعش وانخفاض أسعار النفط، بالمقارنة مع 28 في المئة عام 2004».

الانتحار

وفي المجتمع العراقي الذي كان الانتحار فيه قليل الوقوع رغم كل الظروف الصعبة التي مرت عليه، كشفت مفوضية حقوق الإنسان، عن ارتفاع في عدد حالات ومحاولات الانتحار في البلد خلال العام الجاري.

وأعلن عضو المفوضية فاضل الغراوي في بيان إن «عدد حالات ومحاولات الانتحار من بداية عام 2019 ولغاية الأول من أيلول/سبتمبر بلغت 274 حالة لعموم محافظات العراق». وكذلك ذكرت إدارة مستشفى الشيخ زايد في بغداد، انها انقذت 60 شخصا حاولوا الانتحار خلال شهر آب/اغسطس الماضي فقط.

وكان المتحدث باسم شرطة السليمانية، كوسرت أحمد، أعلن عن تسجيل أكثر من مئة حالة انتحار خلال العام 2017 لافتا إلى أن أغلبها تمت بسبب الأزمة المالية التي يمر بها الإقليم.

وقد أدى تصاعد حالات الانتحار إلى إطلاق دعوات لبحث هذه الظاهرة وتحديد أسبابها ووضع الحلول لها، ومن ذلك تأكيد ممثل المرجعية الدينية في النجف عبد المهدي الكربلائي، خلال خطب صلاة الجمعة: «أن الانتحار أصبح ظاهرة ومشكلة» منوها إلى أن «ذلك يؤشر إلى وجود خلل مجتمعي وخلل في مؤسسات الدولة». وشدد على ضرورة «الاهتمام ببناء القيم والمعنويات للإنسان العراقي».

وتعزو الجهات المطلعة، أسباب تصاعد حالات الانتحار إلى مشاكل اجتماعية وضغوط نفسية والبطالة وتفشي حالة الإحباط من امكانية حصول تغيير أو إصلاح في أوضاع البلد.

الفقر والبطالة

وعن الفقر والبطالة كشف وزير التخطيط نوري الدليمي، في تصريح صحافي ان «نسبة الفقر بلغت 20.5 في المئة لعام 2018 واحتلت محافظة المثنى الأعلى بنسبة الفقر إذ بلغت 52 في المئة».

ونوه الوزير إلى أن «نسبة الفقر خلال السنوات السابقة كانت 23 في المئة في عام 2007 وانخفضت إلى 19 في المئة في عام 2012 لكنها ارتفعت إلى 23 في المئة عام 2014 نتيجة أحداث داعش وانخفاض أسعار النفط، بالمقارنة مع 28 في المئة عام 2004».

وأدعى الدليمي «انخفاض معدل البطالة في العراق خلال عام 2018 إلى 14 في المئة، إلا أنه أقر أن «معدل بطالة الشباب بلغ 19 في المئة في العام نفسه، وهي الأعلى نسبيا مقارنة بالمعدل الوطني».

ويعتقد المطلعون أن حجم البطالة الحقيقي هو أكبر بكثير من الأرقام الرسمية المعلنة.

فشل العملية التربوية

وإذا كان الجميع يتفقون على أن التعليم هو أهم ركائز البناء الاجتماعي السليم، فإن العراقيين يدركون الآن فشل العملية التعليمية منذ 2003.

فقد كشف الجهاز المركزي للإحصاء، أن عدد التلاميذ المتسربين في المدارس الابتدائية بلغ 131 ألفا و468 تلميذا وتلميذة في العام الدراسي 2017–2018.

كما اصيب التعليم في العراق بارتفاع نسبة الرسوب في الامتحانات النهائية، وهو ما اعترف به وكيل وزارة التربية السابق نهاد الجبوري، عندما كشف عن إحصائية تفيد برسوب مليون و400 ألف طالب وطالبة في مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والاعدادية خلال عام دراسي واحد، رغم أن العراق قد يكون البلد الوحيد في العالم الذي فيه ثلاث أدوار امتحانات.

وكان الواقع المزري للتعليم، مبررا لإطلاق عدة جهات، تحذيرات من خطورة تدهور هذا المرفق الحيوي، حيث دعا ممثل المرجعية الدينية أحمد الصافي في إحدى خطبه، أهل القرار إلى تدارك إصلاح التعليم في العراق قبل ان «نحاصر بجيل لا يحب بلده» مشيرا إلى وجود «غفلة وعدم استشعار بهذه الخطورة والبعض لا يكترث ولا توجد آذان صاغية وهناك تصدع في المجتمع وراؤه عوامل عدة قد تخلف حالة فوضى». وشدد على أن «الإهمال في التربية تسبب في عيش الأسر حالة من التفكك، بسبب افراغ عقول أبنائهم».

وأكد السياسي والمفكر نديم الجابري، على أن «السياسات العامة للحكومة تسببت في تراجع التعليم في العراق». وقال في حديث تلفزيوني «إن هناك طريقة ممنهجة لتدمير التعليم في العراق» مشيرا إلى وجود متنفذين يملكون مدارس أهلية دمروا التعليم الحكومي، وكاشفا أن التعليم العالي في العراق خرج، ولأول مرة، عن التصنيف الدولي وأن دول العالم لم تعد تعترف بشهادات خريجيه.

وتشير منظمة «هيومان رايتس ووتش» الدولية، إلى أن «التعليم الأساسي في العراق يمر بأسوأ حالاته، وهناك 14 ألفا و658 مدرسة، تسعة آلاف منها متضررة، و800 طينية البناء، وأن هناك حاجة إلى 11 ألف مدرسة جديدة».

الجريمة في العراق

وتصاعدت الجريمة المنظمة (قتل، خطف، سرقة) في البلد لأول مرة في تاريخه الحديث، حيث صنف «مؤشر الجريمة العالمي» (نامبيو) العراق من بين الدول التي تشهد ارتفاعاً في معدل الجرائم لعام 2019.

وكشف المؤشر في تقريره السنوي، أن «عدداً من الدول العربية والافريقية أبرزها مصر والمغرب والجزائر تصدرت قائمة الأعلى بمعدل الجرائم تلتها سوريا ثم العراق في قائمة أخطر دول العالم في جرائم قتل وتعذيب واغتصاب الأطفال والقتل العمد والسرقة إضافة إلى الجرائم الأسرية والانتحار».

وضمن الجرائم الاجتماعية الإتجار بالبشر، إذ كشف المرصد العراقي لضحايا الإتجار بالبشر، عن خمس عشرة شبكة إتجار بالبشر في بغداد والمحافظات تستدرج النساء وتستغل كبار السن وذوي الاحتياجات الخاصة والفتيات دون السن القانوني. في مؤشر خطير على ظواهر جديدة تعكس حجم انهيار المجتمع. وقال تقرير للمرصد إنه وثق 15 شبكة إتجار بالبشر في بغداد وعدد من المحافظات، تعمل على استدراج النساء للعمل ضمن شبكات الدعارة، واستغلال كبار السن وذوي الاحتياجات الخاصة خلال كانون الأول/ديسمبر 2018 وحتى كانون الثاني/يناير 2019. فضلا عن تجارة الأعضاء البشرية وتهريب العمالة الأجنبية. كما وثق المرصد وجود شبكات إتجار بالبشر في البصرة وأربيل.

المخدرات

وأغرقت مدن العراق بشكل مخيف بعد 2003 ومصدرها الرئيسي هو إيران، فتقوم شبكات محلية مرتبطة بأحزاب سياسية وميليشيات بترويجها، ولا يمر يوم إلا ويتم إلقاء القبض على تاجر أو ناقل أو متعاطي للمخدرات بأنواعها سواء داخل المدن أو عند النقاط الحدودية بين العراق وإيران.

وكانت مفوضية حقوق الإنسان في العراق، كشفت نهاية عام 2018 عن إحصائية تظهر مستوى إدمان المخدرات في العراق (المثبتة رسميا فقط) وأشارت إلى أن الذكور أكثر تعاطيا لها وبواقع 6672 موقوفا في مراكز الاحتجاز، أما الإناث فعددهن 134 موقوفة.

والغريب انه رغم الواقع المأساوي الذي وصل إليه المجتمع العراقي فان العديد من المسؤولين ما زالوا يعلنون عن انجازات تحققت في عراق ما بعد 2003 ومن ذلك إعلان قائد حزب الدعوة ورئيس الوزراء العراقي الأسبق، نوري المالكي، بانه «لولا حزب الدعوة لما كان هناك شيء اسمه العراق»!

ومما لا شك فيه، ان التدقيق البسيط في الإحصائيات والأرقام المرعبة عن انهيار المجتمع، يتوصل إلى ان المشكلة ليست فقط في وجود منظومة الفساد المتحكم في كل جوانب المجتمع من أجل نهب مقدرات البلد، أو الفشل في إدارة الدولة منذ 2003 بل أن القناعة لدى العراقيين مترسخة بأن الانهيار الشامل الذي وصلت إليه أوضاع بلدهم هو برنامج شامل تنفذه قوى داخلية وخارجية، تلتقي بعض أهدافها الخبيثة على تدمير أسس البناء الاجتماعي والتربوي من أجل خلق أجيال مدمرة لا تهتم بالبناء الاجتماعي السليم والوطنية والإنسانية، لكي لا تقوم لهذا البلد قائمة في الحاضر والمستقبل. وبالتالي فإن وجود العراق كدولة ومجتمع مهددة بخطر حقيقي لن يتم تجاوزه إلا بثورة إصلاحية عارمة تقتص من رموز الفساد والخراب والفشل.

المكمورة

المقادير

كيلو طحين أبيض
كأس طحين قمح
كأس زيت زيتون كبير
كأسان زيت نباتي
3 كيلو بصل
دجاجة مقطعة إلى قطع صغيرة
ملح
كمون
معلقة لبن للعجن
نصف فنجان سمسم
نصف فنجان حبة البركة

طريقة التحضير

نقطع الدجاج قطعا صغيرة والبصل قطع متوسطة الحجم. نضع الدجاج والبصل في قدر على الغاز وننتظر حتى ينشف ماء البصل مع التحريك مع إضافة كأس زيت نباتي ونصف كأس زيت الزيتون والملح والكمون فقط. نضع الطحين في وعاء ونضيف الملح والسمسم وحبة البركة ورشة كمون واللبن ونعجن بماء فاتر إلى ان تصبح متماسكة، نقطعها قطع ونتركها إلى ان يستوي البصل والدجاج نصف استواء عندما تنشف المياه عن البصل نبدأ بالتطبيق.

نفرد قطعة العجين الأولى ونضعها في صينية لا يلتصق فيها الطعام، ونضع أسفل القطع زيت زيتون ونفرد العجين بزيت نباتي ثم نضع قطعة دجاج مع بصل ونردها على جميع القطعة ثم نفرد قطعة أخرى من العجين ونضعها فوقها ونضع الدجاج على الأطراف والبصل ثم نبدأ بوضع العجين والبصل والدجاج طبقات مع توزيع الدجاج.

نضع الصينية في الفرن حتى تستوي العجينة وتؤكل مع السلطة.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بإرسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

عنب الأوريغون

عنب الأوريغون أو عنب الجبل، نبات زهري ثنائي الفلقة، ويعد الساحل الغربي لأمريكا الشمالية من كولومبيا البريطانية إلى شمال ولاية كاليفورنيا موطنه الأصلي. فهو ينتشر في غابات التنوب الأمريكي وفي مختلف الغابات البرية وتعتبر زهوره رمزاً لولاية أوريغون الأمريكية. وبالرغم من أن أصله شمال أمريكا فهو يزرع أيضا في أوروبا وأنحاء كثيرة من العالم.

قبل الاستعمار الأوروبي كان أهالي شمال أمريكا من الهنود الحمر يعالجون كل مشاكلهم المرضية بتناول عنب الأوريغون. وقد صنعوا الشاي من جذوره لمعالجة اليرقان، والتهاب المفاصل والإسهال، والحمى والعديد من المشاكل الصحية الأخرى.

تنمو شجيرات عنب الجبل أو المعروف أيضاً باسم عنب الأوريغون إلى ارتفاع يصل إلى 5 ـ 1 أمتار، وأوراقه سميكة جلدية المظهر، سوقه وأغصانه تكتسي بلحاء فليني سميك يعطي أزهاراً تتفتح في أواخر الربيع لها منظر أصفر جذاب وتستعمل في الصناعات العشبية (من قبل العطارين) وفي بعض الصناعات الطبية العشبية.

وثماره ذات لون ضارِبٌ إلى الأُرْجُوَانِيّ المسود تحتوي على بذور كبيرة وتدخل في الطعام التقليدي لسكان الشمال الغربي للمحيط الهادي من أصل صيني قديم، وغالباً ما تمزج مع بعض أنواع الأسماك والفاكهة الحلوة. كما تدخل في صناعة بعض المشروبات الكحولية حيث تحتوي نسبة عالية من السكر.

جذوره استخدمت طبيا وعلى نطاق واسع كونه يحتوي على مادة البربيرين الذي أثبت فعالية في علاج حالات الإسهال للمرضى المصابين بالكوليرا وذلك لقيامه بإبطاء وتقليل الوقت الذي تستغرقه المعدة لنقل الطعام إلى الأمعاء. والبربيرين له القدرة أيضا على منع البكتيريا المسببة للمرض من الالتصاق بخلايا الجسم مما يساعد على منع العدوى وبالتحديد في الحلق، والأمعاء، ومجرى البول. وهو كذلك يعزز ويقوي وظائف الجهاز المناعي للجسم.

وفي دراسة طبية حديثة، ثبت أن المرهم المستخلص من عنب الأوريغون فعال جدا في معالجة داء الصداف أو الصدفية (مرض جلدي). كما ثبت أن كل مستخلصات عنب الأوريغون فعالة جدا في تقليل الالتهابات (عادة المتعلقة بالصداف) وذلك بتنشيط نوع من كريات الدم البيضاء المعروفة باسم الخلايا الأكولة التي تعمل على الحد من تفاقمه لدى المرضى الذين يعانون منه.

الحمل

تعرف صداقات جديدة اليوم

الثور

تواجه معارضين لخططك في العمل

الجوزاء

تكون متفائلاً جداً وتتحسن ظروفك

السرطان

حاول البحث عن حليف ليلطّف الأجواء

الاسد

إذا أرهقت نفسك أكثر ستكون العواقب وخيمة

العذراء

اختر الوقت المناسب للزواج

الميزان

لا تكثر من الصراخ في وجه من تقابله

العقرب

النيّات تجاهك ليست سليمة

القوس

التنافس مع الشريك لا يفيد أحداً منكما

الجدي

تحرّك بثقة ومارس نشاطك المعهود

الدلو

تتخلص من خيبة أمل بسيطة واجهتك أخيراً

الحوت

تواجه بعض المصاعب وفقدان الحيوية

جديد الطب

تدخين الأم أثناء الحمل يضر بخصوبة ذريتها الإناث عند الكبر

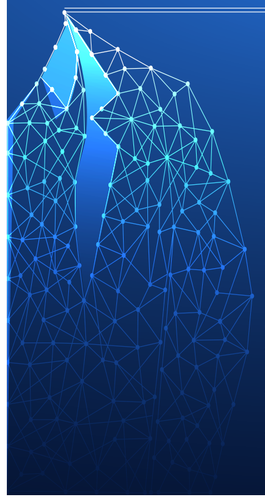

حذرت دراسة تركية حديثة، من أن تدخين الأمهات أثناء الحمل، يضر بخصوبة ذريتهن الإناث في المستقبل، ويعرضهن لمشاكل الصحة الإنجابية على المدى الطويل.

الدراسة أجراها باحثون بمستشفى «سيغلي» الحكومي للتدريب في تركيا، وعرضوا نتائجها أمس أمام مؤتمر الجمعية الأوروبية لطب الغدد الصماء للأطفال، الذي يعقد في الفترة بين 19 ـ 21 أيلول/سبتمبر الجاري، في العاصمة النمساوية فيينا.

وأوضح الباحثون أنه من المعروف على نطاق واسع، أن التدخين أثناء الحمل يضر بصحة الأم والطفل، لكن الضرر يطول أيضا بعض الحوامل اللاتي يتعرضن للتدخين السلبي، ويستنشقن السموم الموجودة في دخان السجائر. وللتوصل إلى نتائج الدراسة، راقب الفريق 56 أنثى و64 ذكرًا حديثي الولادة، كانت أمهاتهم تدخن التبغ أثناء فترة الحمل.

ووجدوا أن تدخين الأم أدى إلى زيادة تعرض الإناث لهرمون الذكورة أو «التستوستيرون» في الرحم، وهو ما يؤثر على نمو أعضائهن التناسلية بصورة طبيعية، ويعرضهن لتأثيرات سلبية طويلة المدى على خصوبتهن والتمثيل الغذائي لديهن.

وأضافوا أن التدخين يحدث اضطرابات في الغدد الصماء لدى الأم، وهو ما يعرض الإناث المواليد لمشاكل الصحة الهرمونية والإنجابية على المدى الطويل، لكن في المقابل لم يرصد الباحثون تأثيرات على خصوبة المواليد الذكور مقارنة بالإناث. وقال الدكتور دينيز أوزالب كيزيلاي، قائد فريق البحث، إن «تعرض الفتيات المفرط لهرمون التستوستيرون نتيجة تدخين الأم، يشكل خطرا على الصحة الإنجابية، بما في ذلك التمثيل الغذائي والخصوبة على المدى الطويل».

وأضاف: «على حد علمنا، هذه المرة الأولى التي يتم فيها رصد الآثار السلبية لتدخين الأم على خصوبة ذريتها الإناث، وهي مساهمة قيمة في فهمنا بشكل أفضل للآثار السلبية لتدخين الأم على الأجيال القادمة».

وأثبتت دراسات سابقة أن «النساء اللواتي يدخنّ أثناء الحمل، أكثر عرضة لولادة أطفال يعانون مشاكل صحية، أبرزها انخفاض الوزن عند الولادة، والولادة المبكرة، والعيوب الخلقية، ومتلازمة موت الرضع المفاجئ». وأضافت أن تدخين الأم يؤثر أيضا على كفاءة الرئتين لدى المواليد، وهي أسباب رئيسية تزيد معدلات وفيات الرضع، إضافة إلى تأثيره السلبي على النمو البدني والنضج في مرحلة المراهقة.

وقالت منظمة الصحة العالمية، في أحدث تقاريرها، إن التبغ يقتل قرابة 6 ملايين شخص بإقليم شرق المتوسط سنويا، بينهم أكثر من 5 ملايين متعاطون سابقون وحاليون للتبغ، وحوالي 600 ألف شخص من غير المدخنين المعرضين للتدخين السلبي. وأضافت أن التدخين يعد أحد الأسباب الرئيسية للعديد من الأمراض المزمنة، بما في ذلك السرطان، وأمراض الرئة، وأمراض القلب، والأوعية الدموية. (الأناضول)

من صداع التوتر إلى الصداع النصفي
التشخيص والعلاج المناسب

بالرغم من اختلاف أعراضه، فإن مرض الصداع من الأمراض المزعجة التي تصيبنا بشكل متكرر، ومع اختلاف أنواع الصداع وأعراضه، تختلف كذلك طرق علاجه.

ووفقا للخبراء فإن الصداع الذي نصاب به مرارا وتكرارا، ليس بالضرورة أن يكون مرضا له أعراض ثابتة، إذ أن الأطباء يفرقون بين 14 إلى 250 نوعا مختلفا من الصداع بحسب ما نشر موقع «ميركور» الإلكتروني الإخباري الألماني. ومع اختلاف أنواع الصداع وأعراضه، تختلف كذلك طرق العلاج. وقد يسبب التوتر صداعا، في حين هناك ما يدعى بالصداع العنقودي، والذي يتكرر باستمرار، كما أن ألم صداع الشقيقة يختلف عن غيره من الآلام الأخرى التي تصيب الرأس.

الأكثر شيوعا

ووفقا للموقع الألماني فإن صداع التوتر هو الأكثر شيوعا بين أنواع الصداع المعروفة، حيث يؤكد الطبيب ميشائيل مولينفيلد، وهو طبيب أسرة في بريمن ورئيس معهد تدريب الرعاية الأولية في جمعية أطباء الأسرة الألمانية، أن هذا النوع من الصداع هو المسبب للألم في أكثر من نصف الحالات المعروفة.

ووفق الموقع الألماني المتخصص «نتدكتور» غالبا ما يكون صداع التوتر في شكل ضغط مسلط على جانبي الرأس، حيث تشعر كما لو أن شريطا مطاطيا أو خوذة تضغط على دماغك. وتتسبب هذه الحالة في بعض التشنج على مستوى الرقبة والكتفين لأن صداع التوتر عادة ما يكون ناتجا عن تقلص عضلات الرقبة والتوتر والإجهاد العقلي. قد تشعر نتيجة هذا الصداع بأن الضوء والأصوات العالية لا تطاق.

ويعد ألم الرأس الناتج عن الصداع النصفي أو الشقيقة أيضا من الأعراض الشائعة، ويأتي في المرتبة الثانية في الانتشار بعد صداع التوتر. وهناك أيضا الصداع العنقودي، وهو يحدث في الليل ولا يمكن علاجه. وينجم عن اختلال عصب الوجه، ويتركز عادة في المنطقة حول العين، كما يوضح البروفيسور غيريون نيلز، وهو عضو مجلس إدارة الجمعية المهنية لأطباء الأعصاب الألمانية: «هذا النوع من الألم لا يمكن علاجه للأسف».

هناك أنواع أخرى من الصداع قد تتسبب بفعل التهاب الجيوب الأنفية، أو الحمى أو حتى من تناول العقاقير أو المخدرات.

هل يوجد علاج؟

تتوفر العديد من العلاجات للحد من هذا الصداع على غرار استخدام بعض مضادات الالتهاب، واتباع نمط حياة معين إلى جانب تعاطي بعض الأدوية، مثل تحسين جودة النوم. ويوضح الطبيب مولينفيلد: «يساعدنا المسح التفصيلي والاختبارات المختلفة في معرفة نوع الألم الذي يعاني منه المريض وما إذا كان يجب استشارة أخصائي».

ويصيب صداع التوتر الرأس بأكمله. أما الصداع النصفي فيحدث دائمًا في جانب واحد من الرأس. ويمكن أن يصاحب ألم الصداع النصفي أعراض مثل الغثيان.

من ناحيته يرى الطبيب نيلز أن «سبب الصداع النصفي غير معروف حتى الآن». والصداع النصفي ليس قابلا للشفاء. وغالبا ما يتم الاستعانة ببعض الأدوية للتخفيف منه، مثل ما تسمى بأدوية التريبتان. وحسب الأطباء تعمل هذه العقاقير على جعل الأوعية الدموية المتوسعة في المخ تضيق مرة أخرى وتقلل بالتالي من الألم.

ويمكن استخدام المسكنات في معظم أنواع الصداع ومنها: الإيبوبروفين، وحمض الأسيتيل الساليسيليك أو الباراسيتامول وهما متاحان بدون وصفة طبية. ومن لا يريد اللجوء إلى المسكنات التقليدية لديه بدائل. يوصى بالكثير من النوم والراحة. أما عند اللجوء إلى تبريد الرأس، فيجب الحذر. إذ غالباً ما يساعد ذلك على الإصابة بالصداع النصفي أيضًا، حسب الطبيب مولينفيلد.

الموقع المتخصص «نتدكتور» قدم أيضا بعض النصائح العلاجية، ففي حالة صداع التوتر ينصح بالإضافة للعقاقير والمسكنات تدليك الرأس والرقبة بزيت النعناع للتخفيف من الألم.

أما في حالة نوبة الصداع النصفي، فينصح الخبراء بضرورة البقاء في غرفة مظلمة وهادئة بالإضافة إلى وضع كمّادات باردة مع تدليك فروة الرأس والضغط عليها خاصة في منطقة طرفي الجبين. ورغم أنه لا يوجد علاج للصداع النصفي، إلا أنه يمكننا السيطرة عليه حتى ننعم بحياة جيّدة، لذلك من المهم جدا أن يتم تشخيصه. (Dw)

منوعات

تعمل مع الفئات الأقل حظاً وتدرب طلابها على الخدمة المجتمعية

أماني جوزع جذور تمتد في القدس وتبحث عن وطنها في حكايات الأجداد

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

هو استراق سمع أدى لهذا الحوار. فعل غير محبب لكن سيرة فلسطين حولته لفعل ايجابي. كانت مفاجأة جميلة أن تأتي أماني جوزع إلى طاولة جمعتني بالمخرجة عليّة الخالدي في مقهى بيروتي لتبادر قائلة: «سمعتكو بتحكو عن فلسطين. أنا فلسطينية من الأردن أتابع في بيروت دورة تدريبية في الدراما والمسرح كعلاج للأطفال من تروما الحروب. وهادكرتي بتمنى نتواصل». رحبنا بها واتفقنا على أن نتواصل. وكان لقاء في المقهى عينه وحوار حول عمل أماني جوزع في الأردن المهني منه والتطوعي، وكذلك وعن فلسطين التي زارتها مراهقة، وعاهدت نفسها بأن لا تفعل ثانية «فهذا تطبيع». هنا نص الحوار:

○ شكلت فلسطين بوصلة حوارنا هذا فماذا قال لك سماع سيرتها في أحد مقاهي بيروت؟

● من غادروا فلسطين أو من ولدوا خارجها تحديداً وبات لقاءهم معها سماعيا فقط، ومن خلال الأهل كما حالي، يسترقون السمع للتدقيق في كلام أو سيرة عنها. إنها رغبة دفينة بمزيد من المعرفة عن الوطن المسلوب. تصلنا المعرفة الحسية عبر الأشخاص وهي تختلف عن القراءة حتى وإن كانت لكتب لا تُحصى. وتختلف أيضاً عن مشاهدتها عبر الأخبار أو الأفلام والمسرح. الحاجة الدائمة هي للإستماع من خلال الناس لقصص حية وحقيقية، فمعها يصل الإحساس. من جهتي لا أمل من سماع قصص الذين غادروا قسرا، أو الذين بقوا في أرض الوطن. تجذبني حكاية ذاك المفتاح الذي يتمسك به الفلسطينيون. وحكايات لا تُحصى عن «الطبخة» التي بقيت «تتكك» على النار بإنتظار عودة أهل البيت. نعم أتحركش بكبار السن لسماع حكاياتهم. سرد لي جدي بعض القصص مرات ومرات، وفي كل مرة كان لديه جديد مشوق. ولهذا نظمت في الأردن مبادرة لجمع الأجداد مع الأحفاد. فالأحفاد الحاليون المتمون للتكنولوجيا بعيدون جداً عن الأجداد، وبعيدون عن القصص الشفوية.

○ وماذا حصدت تلك المبادرة؟

● نجمع الأجداد مع شباب وصبايا من عمر أحفادهم، ونمضي معهم أوقاتاً طويلة أحياناً. يحرص الأجداد على رواية ما يعرفونه عن فلسطين، وكذلك تعليم الأحفاد العاباً مسلية منها السبع حجرات، وكذلك الشطرنج الذي بات للأسف واحداً من التطبيقات الهاتفية ويُلعب بين شريكين بعيدين جغرافياً. هذا النشاط من ألعاب وحوارات وروايات نكرره مرة كل شهرين تقريباً.

○ وهل الحماس لهذا اللقاء متساوٍ بين الجيلين؟

● بصراحة وصدق شعرت بحماس الأجداد ويفوق بكل تأكيد حماس الأحفاد. فقد الأجداد التواصل والمتعة بلقاء أحفادهم المباشرين، وهم يسمعون أخبارهم عن بعد، لأنهم يقيمون أو يدرسون خارج البلد. ولهذا كانت لهم لهفة على من التقوهم من شباب كأحفاد غير مباشرين.

○ ماذا عن دورة التدريب التي تتابعينها في بيروت؟ وما هي طبيعة عملك في الأردن؟

● الدورة من تنظيم «ميبي –أي الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية، وورد ليرننغ والجامعة الأمريكية في بيروت». تقدمنا بالأوراق المطلوبة للمشاركة في هذه الدورة، وتم اختياري بعد منافسة على مستوى الأردن إلى جانب شاب أردني يعمل في المجال الاجتماعي والإنساني. ويشارك في هذه الدورة عدة شباب وشابات من بلدان عربية أخرى. وجميعنا يتلقى محاضرات أكاديمية حول القيادة ومهارات التواصل، وكذلك حل المشكلات والنزاعات. وفي المحور التطبيقي نعمل مع المجتمع المدني على مشاريع خاصة بنا. مهنياً أعمل في عمّان في مؤسسة الملك حسين وفي مدرسة اليوبيل تحديداً، وأدرّس برامج تطوير الشخصية. مع العلم أن مدرسة اليوبيل خاصة بالمتميزين والموهوبين، وتضم طلاباً من مختلف المحافظات بعد خضوعهم لاختبارات قياس مستوى الذكاء في الرياضيات والعلوم، والذكاء الاجتماعي والفني بما يعني الموسيقى وفنون أخرى. يبدأ هؤلاء الطلاب من الصف التاسع إلى الثاني عشر، ويخضعون للنظام التربوي الوطني والدولي. وفي جهة أخرى أعمل مدربة في مجال العلاقات الإجتماعية أو ما يُسمى الحاجات العلاقاتية وهو جزء من التدريب على مهارات الحياة، وتشمل الوالدية أو الزوجية، أو العلاقة بمدير العمل، وحتى معرفة الذات.

○ وهل العلاج بالدراما الذي تقومين به من أساسيات عملك؟

● نعم، وهو ضمن المشروع الذي أعمل عليه حالياً بالتعاون مع منظمة «رايت تو بلي» أو «الحق في اللعب». هي منظمة عالمية موجودة في لبنان والأردن وفلسطين وغيرها. عمل هذه المنظمة ينتقل من فكرة اللعب، بدءاً من كرة القدم التي تزيد التواصل بين الأطفال وتخفف العنف. إضافة للتعلّم عن طريق اللعب. ودورِ الموسيقى في حياة الأطفال. وتابعت سابقاً دورات تدريبية في الدراما التعليمية. فالدراما واللعب تتيح لنا تحويل عقول الأطفال الصغيرة إلى نامية. ويمكن لتلك البرامج أن تطال أعماراً أكبر مع بذل مزيد من الجهود.

إذاً هو الأسلوب نفسه يتم اعتماده مع الصغار والكبار فقط الأدوات تتغير.

○ كثير من الأسئلة تدور حلول منظمات المجتمع المدني تتولى تلك النشاطات خاصة تمويلها الغربي، فهل استهدافها لمجتمعاتنا بريء؟

● نعم لا يزال ما يُعرف بالمجتمع المدني بريئاً حيث هو في مراحله الأولى في عدد من البلدان. خلال وجودي في بيروت لمست أهمية العمل الذي يقوم به المجتمع المدني في لبنان وكم هو مساند أو حتى يقوم بدور مطلوب من الحكومات. في تونس كان للمجتمع المدني قدرة تغيير سياسات. بينما المجتمع المدني في كل من العراق والأردن يحتاج لمزيد من التطوير بخصوص الوعي وثقافة التغيير بحيث تصب كافة الجهود في اتجاه واحد ليكون مؤثراً.

○ هل كان لك نشاط محدد في بيئة اللاجئين الفلسطينيين والنازحين السوريين في الأردن؟

● الأقل حظاً هم الهدف الأساسي لأي نشاط، والمخيمات في الطليعة. وهذا لا يقتصر عليّ بل بمشاركة التلامذة الذين أدرّسهم في مؤسسة الملك حسين. نشاط طال العديد من المخيمات الفلسطينية وتناول تعليم اللغة الإنكليزية والرياضيات. فمن ضمن برنامج مدرسة اليوبيل تنفيذ 120 ساعة خدمة مجتمع سنوياً لكل تلميذ. للتلامذة حرية اختيار المكان الذي يخدمون فيه لكننا نوجههم إلى حيث الحاجة ملحة في التعليم، وتبييض جدران المدارس القديمة، أو المساعدة في إنجاز مدارس قيد البناء. والمساهمة في زرع الأشجار في كل مكان متاح من المناطق التي تحتاج لجمالية. من جهتي تنوعت اهتماماتي وعملي وكان من بينها كاريتاس حيث درّبت المعلمين على كيفية التواصل مع الأطفال الذين تعرضوا لصدمات أو حتى خوف. فهؤلاء الأطفال يحتاجون لحصص دراسية أكثر ممتعة. اطفال النازحين السوريين يدرسون في المدارس الأردنية وفي دوام خاص، وقد دُمجت الصفوف بعضها بالآخر تبعاً لمستوى التلامذة. لذلك تكون الحصص غير ممتعة نظراً لإنتماء التلامذة لأكثر من صف وللتفاوت الكبير في أعمارهم. وقد اطلعت على كيفية تطبيق تلك الدورات على أرض الواقع في المدارس.

○ لا شك العمل مع النازحين وخاصة الأطفال منهم مؤلم. هل يسعى العاملون معهم لمزيد من بذل الجهود وبالتالي النتائج لإزاحة ذاك الألم؟

● سوف تبكيني. بالطبع عمل مؤلم ومرهق نفسياً. نتركهم وتبقى سيرتهم معنا نرويها لآخرين متسائلين ماذا حدث حتى وصل هؤلاء إلى هذه الحياة. هل الجهل؟ قلة الوعي؟ أم الإقصاء؟ الفقر أو البطالة؟ لكن كما قلت إن نحصد نتيجة العمل الذي نقوم به مع نهاية البرنامج يشكل تعويضاً جميلاً. جميل جداً أن نقرأ فرح طفل تمكن من الكتابة. هذا الفرح يبهرني، كما يبهرني أن تخبرني أم «إبني لم يعد يضرب أخيه». وأفرح حين تقول طفلة صغيرة «لأول مرة أعرف أن صوتي جميل وأغني». فهي لم تكن تعرف أن غناءها أمر عادي ومتاح. والإنجاز المفرح أيضاً أن ينطق طفل ويشارك بعد صمت لشهرين. هذا العمل تطوعي، ويستلزم صبراً وطول أناة. أن نستسلم في منتصف الطريق فهذا يشكل خيبة لمن نستهدفهم ومن جهة أخرى قطع للخير الذي أمدنا به الله. دائماً أسأل نفسي لماذا لا أتمتع بعطلتي الأسبوعية وأخصص بعضها للعمل التطوعي؟ يأتي جوابي هذا وقت الأقل حظاً في المجتمع. ولأنه عمل من دون أجر اشعر كم يحتضن من بركة لهؤلاء الناس.

○ هل تولين مخيمات الفلسطينيين اهتماماً أكثر من سواهم؟

● ربما، والسبب أن الدخول إلى مخيمات الفلسطينيين لا يلزمها إجراءات، بعكس الدخول إلى مخيم الزعتري للنازحين السوريين. لكن التطوع يجد طريقاً له بالعمل مع المخيمات العشوائية للسوريين وهي متعددة. من جهة أخرى يجد العمل التطوعي طريقه للأقل حظاً من الشعب الأردني والموجودين في المحافظات كافة. من جهتي لم أغض الطرف عن أي فئة تحتاج للدعم.

○ كفلسطينية جذورها ممتدة في القدس هل ستزورينها لعمل تطوعي؟

● أكيد. عمتي تسكن في باب العمود وجدار بيتها يتكئ عليه. تتعرض دائماً للتعنيف من قبل المستوطنين، كمثل رمي النفايات عليها، ودخول مطبخها ورمي الطعام من الشرفة. ولهذا تعيش بناتها في رام الله ليس خوفاً بل لصعوبة الحياة والتنقل بين الحواجز. زرت فلسطين بواسطة تصريح من عائلة والدتي في الخليل سنة 1999 وجلت من حيفا إلى يافا إلى الخليل ونابلس وبيت لحم. شهر كامل أمضيته في ربوع وطني ومن بعده كان قراري بعدم العودة. حزنت على وطن محتل يعاملوننا على أرضه بازدراء. حتى الدخول إلى المسجد الأقصى من الباب الصغير الذي يستلزم انحناءة للدخول مهين، فيما الأبواب الكبيرة مقفلة. كنت في عمر المراهقة والآن اعتبر تقديم جوازي للسفارة الإسرائيلية للحصول على تأشيرة تطبيعاً، ولن أفعل.

تسليع الكتابة وابتزاز الكاتب

قراءة في الفيلم المغربي «كاتب تحت الطلب»

لحسن ملواني

أن تكتب لغيرك حسب هواه أمر يحمل من المرارة الشيء الكثير، أن تصير كاتبا تكتب تحت ظل أوامر الآخر شيء صعب الاحتمال، أن تكتب حول مواضيع تملى عليك دون أن تأتي من منبع حاجاتك والهاماتك الشخصية أمر فيه من المشقة ما فيه. والكتابة وفق إمـلاءات الغير موضـوع الفيلم المغربي «كاتب تحت الطلب» الذي عرضه التلفزيون المغربي القناة الثانية «دوزيم» وهو من إخراج المغربي لطيف لحلو، مدته ساعة ونصف، بطولة سعيد باي وأسماء الخمليشي ومهدي الوزاني.

القصة

تتمحور أحـداث الفيلم حول كاتب صحافي يجيد الكتابة، ولحاجاته المادية عمل صحافيا لفائدة مدير جريدة، وكان يكتب الافتتاحيات وغيرها موقعة باسم هذا المدير، الذي حاول استغلاله وتوريطه في ديـون كي يخضع لطلباته باستمرار ولكنه لم يفلح في ذلك. يقدم الفيلم البطل شابا طموحا يعيش مع امرأته في جو حميمي فريد، يحب الكتابة وهو يطمح في نشر أعماله في الرواية والمسـرح، في الوقت الـذي عمل صدفة عند مدير جريـدة، وكان يكتب له الافتتاحيات وغيرها من الموضـوعـات الـتي تتماشى مع أهدافـه في الانتخابات وغيرها مقابل أجـرة غير مـحـددة، ولأن كتاباته الصحافية جميلة الطرح والأسلوب فقد فكر المدير العمل باحتيال من أجـل الحفاظ عليه مستخدما إلى أجل غير مسمى. ولتحقيق ذلك قـام بأمور كثيرة بالتدريج كي يحكم قبضته عليه منها:

ـ توريطه في شراء كمبيوتر غال يسدد ثمنه بالتقسيط.

ـ توريطه في شراء شقة يدفع ثمنها بالتقسيط أيضا

ـ توريطه فـي استبدال أثـاث منزله القديم بأثاث جديد والدفع بنفس الطريقة بموافقة زوجته.

أمور جعلت البطل مثقلا بالديون ليقع بين مشكلتين هما محاولة تحقيق بعض أحلامه، وفي ذات الوقت كيفية التصرف من أجل تسديد هاته الديون.

وقد جرب مدير الجريدة نجاح إخضاعه له حين قرر السفر بعيدا كي يسند إليه مهمة تسيير أمور دواجنه، فانخرط في ذلك ولبى رغبته قبل أن يعود من سفره.

المدير ورغباته المتعددة

يبدو أن المدير في الفيلم لا تنتهي رغباته الاستغلالية، فقد تراءى له التقرب إلى امرأة الصحافي التي أعجب بها يوم زار منزله فانبهر بجمالها مما جعله يقوم بكثير من الأمور التي تمكنه من التقرب إليها (إدخالها إلى معهد الرقص، إيصالها إلى منزلها بسيارته من حين إلى آخر، دعوته إياها لجلسة في مقهى...) وكان كل ذلك استدراجا لها من أجل الانقضاض عليها في منزله يحاول اغتصابها لكنها فرت منه ملتحقة بمنزلها.

وقد أخبرت زوجها بالواقع مما جعله يغادر فورا كي يواجه المدير مهددا إياه بإفشاء سر المقالات التي ينشرها باسمه وقد احتفظ بنسخها الأصلية. وعليه توقيع الـتزام دفـع باقي الـديـون التي عليه مقابل التستر عليه، وهو ما سيخضع لتنفيذه ما دام يحاول الحـفـاظ على مركـزه ومساعيه الانتخابية.

نقاط القوة في الفيلم

موضوعه: يعد موضوع الفيلم موضوعا قليل التواجد في الأفلام العربية والغربية، موضوع يحاول كشف التدليس الـذي يلجأ إليه الكثيرون من أجل الاستفادة من عرق المبدعين من كتاب وغيرهم، فيجعلون أنفسهم في الواجهة مستفيدين بلا جهد يذكر سوى الاحتيال والخدعة ويذكرنا بفيلم «ألون في المنفى» حيث عانى الفنان من الفقر والعزلة إلى حد الجنون في الوقت الـذي كانت صديقته التي ينتظر التزوج بها مستمتعة بلوحاته التي كانت تبيعها بأثمان رفيعة جدا وهي تدعي أن زوجها مات وترك لها تلك اللوحات.

ومـوضـوع الـفـيـلم مـن هـذه الناحية نوعي جدير بالطرح التفاتا إلى معاناة الفنان واستفادة غيره على حسابه.

المـمـثـلـون والـفـضـاءات: الـشـخـصـيـات الـرئـيـسـيـة وهـي تتحرك في الفيلم تتحكم فيها مصالح وتحديات ورغبات لا يخلو تحقيقها من مخاطر سـواء تعلق الأمر بالكاتب الصحافي وزوجته، أو مشغله وامرأته.

لـقـد أحـسـن المـخـرج اخـتـيـار الممثلين كما أحسن في إدارتهم بشكل أحدث الاتزان على الفيلم، وجـعـل الـواقـعـيـة تـعـم الفيلم من البداية حتى النهاية ضمن فضاءات مناسبة تجعلك تعيش أجواء العمل الصحفي وما وراءه من مقاصد ومتاعب.

والفيلم في اعـتـقـادنـا ممتع مستحسن من كل الجوانب إضاءة وموسيقى تصويرية وتنويع اللقطات والمشاهد بشكل متناسق.

الرسالة في الفيلم

نعتقد بعدم وجـود فيلم ينجز بعيدا عن رسالة يريد إيصالها وكـمـا قـد تـكـون هـذه الـرسـالـة بناءة قد تكون هدامة، والحال أن الرسالة التي يروم الفيلم معالجتها تتعلق بكون الإنسانية والقيم أغلى من كل شيء. فالكاتب الصحافي المحتاج إلى كمبيوتر ومال وشقة لم يمنعه ذلك من مغادرة مكتب المدير موبخا إياه مهدد له قبل أن يـغـادر ويصطحب امرأتـه وهما يحملان أمتعتهما القليلة يبحثان عـن مـكـان آخـر يـشـهـد تحقيق أحلامهم شيئا فشيئا.

يقدم الفيلم موضوعه بحبكة رصينة ومتينة تجعلك في قالب الأحداث من دون الشعور بالضياع في محاولة القبض على اتجاه الخـط الـسـردي ضـمـن مشاهد تغلب عليها الواقعية ضمن صراع للمواقف وسعيا نحو تحقيق الأغراض الشخصية بين من يلجأ في ذلك إلى الانتهازية والاحتيال، وبـيـن مـن يـحـاول تحقيق ذلك بعرق جبينه وبوتيرة تفرضها عليه حالته المادية. وهو ما يقدم صراعات متفاوتة تحتد وتخف لتحقيق الإثـارة المـاتـعـة، وهي العنصر الإبـداعـي المنشود في الأعمال الدرامية بلا استثناء.

السودان: ميادة تركت الطب وأقبلت على بحور الألوان

الخرطوم ـ «القدس العربي»:

بعد انضمامها لاعتصام القيادة العامة قبالة مقر الجيش السوداني في الخرطوم، قررت طبيبة الأسنان ميادة حسن بابكر، ترك مهنة الطب والتفرغ التام للرسم والتلوين، الذي سبق وأن تخلت عنه بعد التحاقها بكلية الطب في جامعة الخرطوم في العام 2014 ولم تجد ميادة وقتاً ولا رغبة كما قالت لـ «القدس العربي» لممارسة الطب، وتضيف بأن دراستها للطب كانت رغبة والدتها، وأنها دراسة تحتاج إلى ذهن صافي وتفرغ كامل.

وتحكي ميادة عن سر ارتباطها بفن الغرافيتي في ميدان الاعتصام الذي تم فضه في 3 حزيران/يونيو الماضي، أنها كانت تتجول في ميدان اعتصام القيادة، واكتشفت أن هناك مجموعة من الفنانين يرسمون ويلونون جدران وأسطح وأرضية المباني قرب المقر، وسرعان ما انضمت إليهم، وكان أن قرروا تنفيذ جدارية تحكي قصة ثورة ديسمبر، فانجزوا أطول جدارية قماش في العاصمة الخرطوم والتي تبلغ 3 آلاف متر، وتقول ميادة «في تلك اللوحة الأضخم قمت برسم 3 وجوه لشهداء الثورة» وتكمل: «لم نترك جداراً أو أرضية إلا وزينتها برسومات تعبر عن روح الثورة. الأعمال الفنية التي نُفذت فتحت شهية عسكريين في القوات المسلحة فشاركوا بالرسم، وهناك من طلبنا منهم كتابة الاسم فقط». وتضيف: «عندما اخترت رسم وجوه الشهداء لم أبحث عن حالة جمالية، انما كنت أراهم بيننا يتحركون ويتنفسون ويراقبون بل ويحرسون الثورة».

وحول الأثر الذي أحدثته الفنون وسط السودانيين أثناء الثورة ذكرت ميادة انها أحبت الموت، وجعلته مبتسما وبذلك أدرك كثيرون قيمة الفنون وأول من أبدى اعجابه بالرسم والتلوين أسرتي التي حفزتني بعد أن كانت تشكل حاجزاً.

ميادة وبعد الفض الدامي للاعتصام أمام القيادة العامة، انضمت إلى مجموعة من الفنانين والرسامين، الذين قرروا جميعهم تزين مدارس وسجون ومستشفيات في العاصمة الخرطوم، وتخلت عن وظيفتها كطبيبة للأسنان، ولم تؤكد إن كان القرار نهائياً أم انها ستعود إلى عيادتها بعد فترة.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) ✻ فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
✻ هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
✻ هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 ✻ هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk ✻ www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) ✻ Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco ✻ Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 ✻ Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الحادية والثلاثون العدد 9672 الأحد 22 أيلول (سبتمبر) 2019 – 23 محرم 1441 هـ
Volume 31 - Issue 9672 Sunday 22 September 2019

كينيا: حمار وحشي من فصيلة نادرة يجذب الأنظار

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

في محمية ماساي مارا الوطنية في جمهورية كينيا، لاحظ آنتوني تيرا ـ دليل سياحي ـ وجود حمار وحشي فريد جداً من نوعه، مما دفعه إلى الاعتقاد في الوهلة الأولى أن هذا الحيوان الصغير ينتمي إلى فصيلة مختلفة أو أنه تم أسره وصباغته. غير أن المرشد السياحي الكيني، تأكد بعد ذلك أن جلد هو الجلد الطبيعي لهذا الحمار الوحشي الفتي.

فعلى عكس نظرائه ذوي الخطوط السوداء والبيضاء، فإن هذا الحمار الوحشي الذي جذب الأنظار وتم تصويره مؤخراً من قبل فرانك ليو، له جلد أسود مذهل مع نقاط بيضاء. ووفقا للمصور فإن عمره لا يتجاوز الأسبوع.

وتعتقد مجلة « Geo» المتخصصة أن هذا الحمار الوحشي الذي أطلق عليه اسم «تيرا» نسبة إلى اسم مرشد السياحي الذي اكتشفه آنتوتي ـ تيرا، يعتقد أنه مرتبط بـ«الميلانية الزائفة» وهي طفرة جينية تؤثر على إنتاج الميلانين، تلك الصبغة داكنة اللون التي تؤثر على اللون الشعر والجلد.

والنقاط السوداء للحمار الوحشي الصغير تم إنشاؤها بواسطة الشعر الذي يحتوي على الميلانين بينما يأتي اللون الأبيض من الشعر الذي لا يحتوي عليها. وإنتاج «تيرا» لكثير من الميلانين، حوّل الخطوط البيضاء على جلده إلى نقاط بيضاء، مما أعطاه مظهراً أصلياً فريداً من نوعه بالنسبة لحمار وحشي.

لكنه ولسوء الحظ، فإن جلده هذا الفريد من نوعه، قد يحتفظ له بمستقبل مظلم، كما يشرح المختص بارميل لميان، في موقع» Daily Nation» موضحاً أن أياً من فصائل الحمير الوحشية المولودة بأوجه تشابه جينية مع تلك الموجودة في «تيرا» لم يستطيعوا البقاء على قيد الحياة أكثر من ستة أشهر في المحميات.

وفي الواقع، فإن فصائل أو عينات الحمير الوحشية الخالية من الخطوط، والتي تعمل بمثابة طارد للحشرات، أكثر عرضة للسع، بما في ذلك لسع ذباب «tsé-tsé» الخطير، وبالتالي فهذه الحمير الوحشية على غرار «تيرا» هي عرضة للأمراض التي يمكن أن تنقلها هذه الحشرات. ولكن إذا نجا «تيرا» في الأشهر الأولى، فإن تحوله الجيني لا يجب أن يمنعه من التكاثر، مثل زملائه.

للمرة الأولى «ناسا» تطلق اسم عالم مصري على كويكب

أطلقت وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» اسم عالم الفضاء المصري فاروق الباز، على كويكب مكتشف حديثا، تقديرا لإسهاماته العلمية البارزة.

وأطلق الاتحاد العالمي للفلك، التابع للأمم المتحدة، اسم الباز على الكويكب، لدوره مع «ناسا» بداية بمشروع «أبوللو» لاستكشاف سطح القمر منتصف ستينيات القرن الماضي، مرورا بتصوير الأرض من المدار على رحلة «أبوللو سيوز» الأمريكية ـ الروسية المشتركة.

وتعد هذه المرة الأولى التي يتم إطلاق اسم عالم مصري على كويكب في السماء، فيما قدمت وزيرة الدولة للهجرة وشؤون المصريين في الخارج نبيلة مكرم، التهنئة للباز عبر حساب الوزارة على «فيسبوك».

يذكر أن الباز، ولد في 2 كانون الثاني/يناير 1938 في مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية (شمال) ونال البكالوريوس في علوم الكيمياء والجيولوجيا من جامعة «عين شمس» في عمر العشرين.

كما حصل في 1961 على ماجستير في علوم الجيولوجيا، ودكتوراه عام 1964، ثم عمل في وكالة «ناسا» خلال برنامج «أبوللو». (الأناضول)

أوزبكستان تفرض قيودا للحد من البذخ في حفلات الزفاف

فرض برلمان أوزبكستان قواعد على مراسم حفلات الزفاف في البلاد شملت تحديد فرقتين موسيقيتين وثلاث سيارات فارهة للموكب كحد أقصى فضلا عن اقتصار عدد الضيوف على 250 فردا وذلك بهدف الحد من البذخ والإفراط في الانفاق والسخط الاجتماعي.

ورغم أن متوسط الدخل في العاصمة طشقند أو المدن الرئيسة الأخرى في البلد الواقع بوسط آسيا يبلغ ما بين 200 و300 دولار شهريا، إلا أن أسر العروس أو العريس تنفق على الأرجح نحو 20 ألف دولار على الزفاف.

وتجلب هذه الأموال في الغالب بالاقتراض من أصدقاء وأقارب على أن ترد خلال السنوات التالية.

ونقل موقع «كون دوت يو زد» الإخباري المحلي عن عضو البرلمان إقبال ميرزو قوله في تعليقه على القواعد الجديدة التي تدخل حيز التنفيذ العام المقبل «حفلات الزفاف لدينا وصلت إلى المستوى الذي يمكن أن تسبب فيه إفلاس البلاد دون أي حرب».

ويعيش كثير من أبناء أوزبكستان في الخارج وبالأخص في روسيا لدعم أسرهم داخل أوطانهم وتذهب معظم أموالهم على أعمال تجديد المنازل وحفلات الزفاف.

وانتقد رئيس البلاد شوكت ميرضيائيف حفلات العرس المترفة قائلا إنها تتسبب كثيرا في وفاة أفراد في الخمسينيات من أعمارهم بسكتات دماغية وأزمات قلبية بسبب تخلفهم عن سداد ما عليهم من ديون. (رويترز)

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الحادية والثلاثون العدد 9672 الأحد 22 أيلول (سبتمبر) 2019 – 23 محرم 1441 هـ
Volume 31 - Issue 9672 Sunday 22 September 2019

كينيا: حمار وحشي من فصيلة نادرة يجذب الأنظار

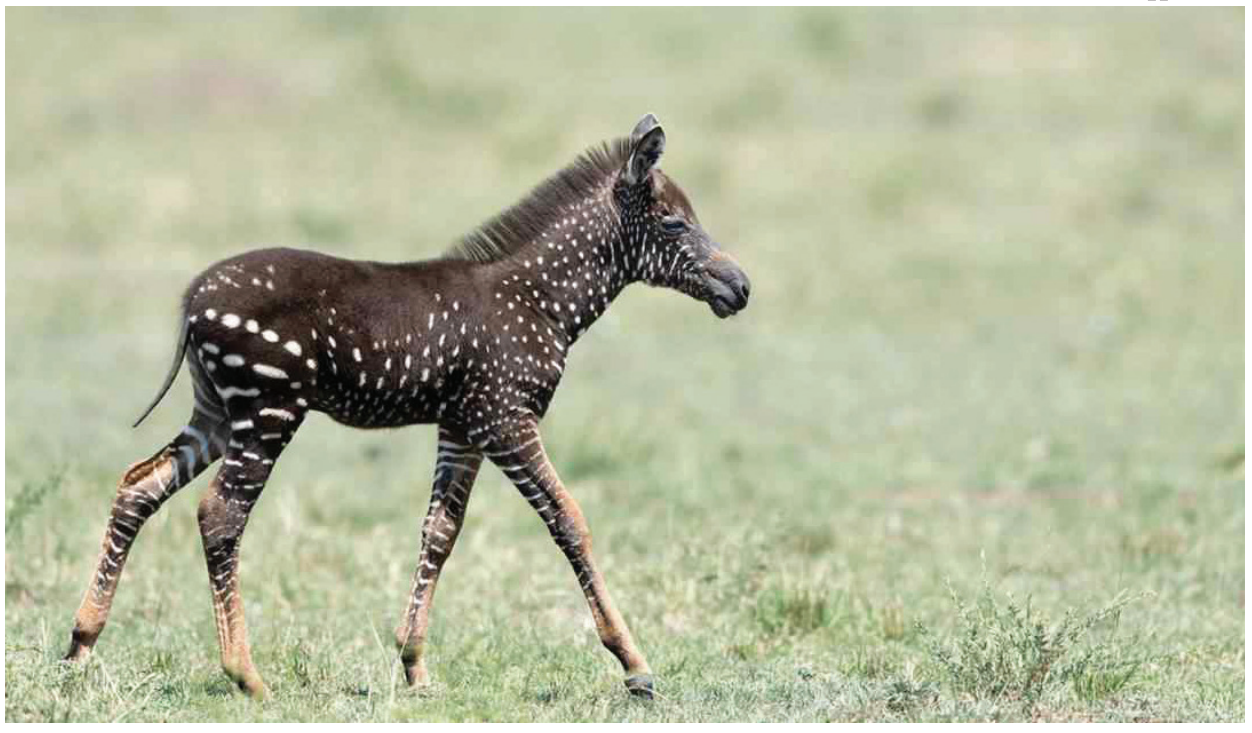

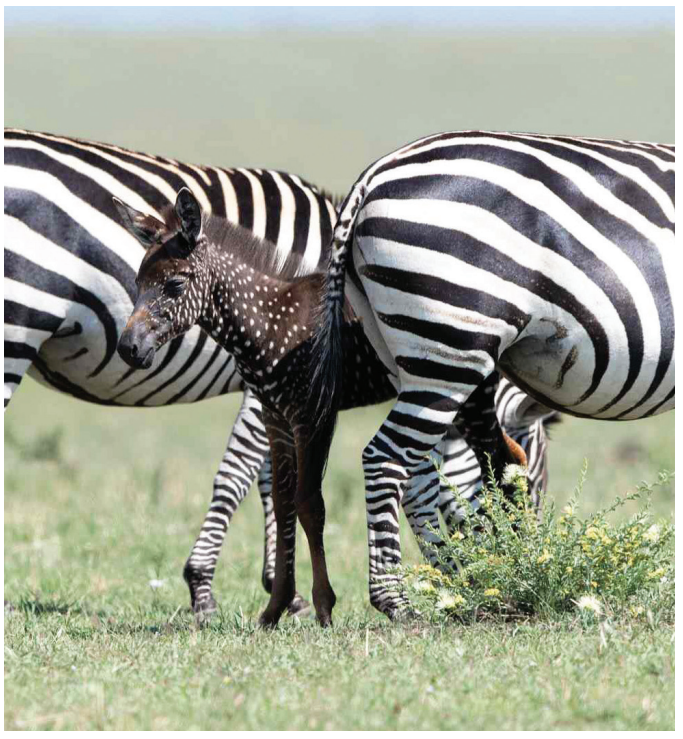

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

في محمية ماساي مارا الوطنية في جمهورية كينيا، لاحظ آنتوني تيرا ـ دليل سياحي ـ وجود حمار وحشي فريد جداً من نوعه، مما دفعه إلى الاعتقاد في الوهلة الأولى أن هذا الحيوان الصغير ينتمي إلى فصيلة مختلفة أو أنه تم أسره وصباغته. غير أن المرشد السياحي الكيني، تأكد بعد ذلك أن جلد هو الجلد الطبيعي لهذا الحمار الوحشي الفتي.

فعلى عكس نظرائه ذوي الخطوط السوداء والبيضاء، فإن هذا الحمار الوحشي الذي جذب الأنظار وتم تصويره مؤخراً من قبل فرانك ليو، له جلد أسود مذهل مع نقاط بيضاء. ووفقا للمصور فإن عمره لا يتجاوز الأسبوع.

وتعتقد مجلة « Geo» المتخصصة أن هذا الحمار الوحشي الذي أطلق عليه اسم «تيرا» نسبة إلى اسم مرشد السياحي الذي اكتشفه آنتوني ـ تيرا، يعتقد أنه مرتبط بـ«الميلانية الزائفة» وهي طفرة جينية تؤثر على إنتاج الميلانين، تلك الصبغة داكنة اللون التي تؤثر على اللون الشعر والجلد.

والنقاط السوداء للحمار الوحشي الصغير تم إنشاؤها بواسطة الشعر الذي يحتوي على الميلانين بينما يأتي اللون الأبيض من الشعر الذي لا يحتوي عليها. وإنتاح «تيرا» لكثير من الميلانين، حوّل الخطوط البيضاء على جلده إلى نقاط بيضاء، مما أعطاه مظهراً أصلياً فريداً من نوعه بالنسبة لحمار وحشي.

لكنه ولسوء الحظ، فإن جلده هذا الفريد من نوعه، قد يحتفظ له بمستقبل مظلم، كما يشرح المختص بارميل لميان، في موقع» Daily Nation» موضحاً أن أياً من فصائل الحمير الوحشية المولودة بأوجه تشابه جينية مع تلك الموجودة في «تيرا» لم يستطيعوا البقاء على قيد الحياة أكثر من ستة أشهر في المحميات.

وفي الواقع، فإن فصائل أو عينات الحمير الوحشية الخالية من الخطوط، والتي تعمل بمثابة طارد للحشرات، أكثر عرضة للسع، بما في ذلك لسع ذباب «tsé-tsé» الخطير، وبالتالي فهذه الحمير الوحشية على غرار «تيرا» هي عرضة للأمراض التي يمكن أن تنقلها هذه الحشرات. ولكن إذا نجا «تيرا» في الأشهر الأولى، فإن تحوله الجيني لا يجب أن يمنعه من التكاثر، مثل زملائه.

للمرة الأولى «ناسا» تطلق اسم عالم مصري على كويكب

أطلقت وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» اسم عالم الفضاء المصري فاروق الباز، على كويكب مكتشف حديثا، تقديرا لإسهاماته العلمية البارزة.

وأطلق الاتحاد العالمي للفلك، التابع للأمم المتحدة، اسم الباز على الكويكب، لدوره مع «ناسا» بداية بمشروع «أبوللو» لاستكشاف سطح القمر منتصف ستينيات القرن الماضي، مرورا بتصوير الأرض من المدار على رحلة «أبوللو سيوز» الأمريكية ـ الروسية المشتركة.

وتعد هذه المرة الأولى التي يتم إطلاق اسم عالم مصري على كويكب في السماء، فيما قدمت وزيرة الدولة للهجرة وشؤون المصريين في الخارج نبيلة مكرم، التهنئة للباز عبر حساب الوزارة على «فيسبوك».

يذكر أن الباز، ولد في 2 كانون الثاني/يناير 1938 في مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية (شمال) ونال البكالوريوس في علوم الكيمياء والجيولوجيا من جامعة «عين شمس» في عمر العشرين.

كما حصل في 1961 على ماجستير في علوم الجيولوجيا، ودكتوراه عام 1964، ثم عمل في وكالة «ناسا» خلال برنامج «أبوللو». (الأناضول)

أوزبكستان تفرض قيودا للحد من البذخ في حفلات الزفاف

فرض برلمان أوزبكستان قواعد على مراسم حفلات الزفاف في البلاد شملت تحديد فرقتين موسيقيتين وثلاث سيارات فارهة للموكب كحد أقصى فضلا عن اقتصار عدد الضيوف على 250 فردا وذلك بهدف الحد من البذخ والإفراط في الانفاق والسخط الاجتماعي.

ورغم أن متوسط الدخل في العاصمة طشقند أو المدن الرئيسة الأخرى في البلد الواقع بوسط آسيا يبلغ ما بين 200 و300 دولار شهريا، إلا أن أسر العروس أو العريس تنفق على الأرجح نحو 20 ألف دولار على الزفاف.

وتجلب هذه الأموال في الغالب بالاقتراض من أصدقاء وأقارب على أن ترد خلال السنوات التالية.

ونقل موقع «كون دوت يو زد» الإخباري المحلي عن عضو البرلمان إقبال ميرزو قوله في تعليقه على القواعد الجديدة التي تدخل حيز التنفيذ العام المقبل «حفلات الزفاف لدينا وصلت إلى المستوى الذي يمكن أن تسبب فيه إفلاس البلاد دون أي حرب».

ويعيش كثير من أبناء أوزبكستان في الخارج وبالأخص في روسيا لدعم أسرهم داخل أوطانهم وتذهب معظم أموالهم على أعمال تجديد المنازل وحفلات الزفاف.

وانتقد رئيس البلاد شوكت ميرضيائيف حفلات العرس المترفة قائلا إنها تتسبب كثيرا في وفاة أفراد في الخمسينيات من أعمارهم بسكتات دماغية وأزمات قلبية بسبب تخلفهم عن سداد ما عليهم من ديون. (رويترز)